أعلام الحجاز
في القرن
الرابع عشر والخامس عشر الهجري

تأليف
محمد علي مغربي

ح محمد علي مغربي

مغربي ، محمد علي .
اعلام الحجاز في القرنين الرابع عشر والخامس عشر .
... ص ؛ .. سم
ردمك ٢ - ٣٤٨ - ٢٧ - ٩٩٦٠
١ - الحجاز - تراجم ٢ - السعودية - تاريخ
أ . العنوان .
ديوي ٥٣١٢، ٩٢٠ ١٤/٢١١٥

رقم الإيداع : ١٤/٢١١٥
ردمك ٢ - ٣٤٨ - ٢٧ - ٩٩٦٠

الطبعة الأولى ١٤١٤هـ

أعلام الحجاز

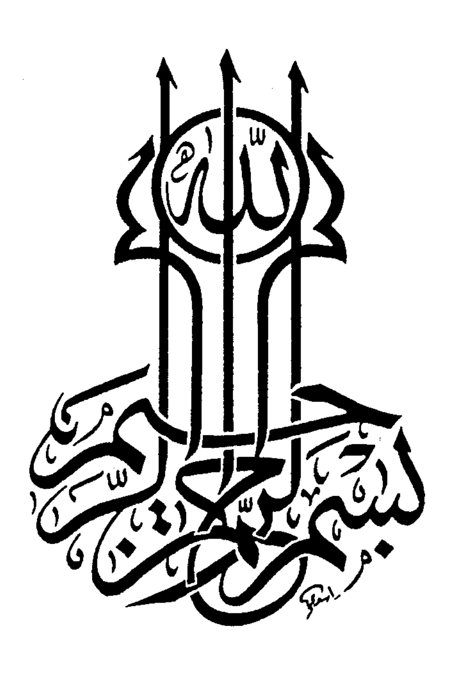
في القرن

الرابع عشر والخامس عشر الهجري

تصميم الغلاف : عباده الزهيرى



مطابع دار البلاد ـ جدة ـ ت : ٦٧٠٠٣٣٣


بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة

الحمد لله حمداً يليق بجلاله ، والشكر له شكراً يليق بنعمائه وآلائه ، وصلاة وسلاماً على خير خلقه وخاتم رسله وأنبيائه وبعد .

فهذا هو الجزء الرابع من أعلام الحجاز تحدثت فيه عن عشرة من أعلام الرجال كانوا ملء السمع والبصر ، وقد فارقوا هذه الحياة الدنيا فانتهت حياتهم ، وبقيت لنا آثارهم وذكرياتهم .

ولعل أطول هذه التراجم وأحفلها بالمادة التاريخية هي ترجمة الشيخ عبدالله غازي مؤلف الكتاب الموسوعة في تاريخ مكة والذي سمّاه « افادة الأنام في أخبار البلد الحرام » هذا الكتاب المخطوط في ست مجلدات كبيرة ضخمة ، وقد استخلصت منه ما أعتبره اكمالاً لما سبق أن ورد في الأجزاء الماضية من أعلام الحجاز عن آثار مكة المكرمة والكعبة المشرفة والمسجد الحرام ، وقد فصلّت ذلك كله في مكانه ليكون القارىء ملماً بهذا التاريخ الضخم عبر القرون ، وبتلخيص كتاب افادة الأنام للشيخ الغازي يكون هذا الجزء من أعلام الحجاز قد احتوى على حقائق تاريخية كثيرة عن الكعبة المشرفة والمسجد الحرام ، ومكة المكرمة وجبالها وعيونها ومعالمها ، وبعض هذه الحقائق يرجع تاريخه الى قرون سالفة كثيرة ، ولا أريد الاطالة في الحديث عن كتاب الغازي في هذه المقدمة فقد تحدثت في الترجمة نفسها عن ذلك باسهاب .

والأعلام الذين تحدثت عنهم في هذا الجزء فيهم العالم والمؤرخ والشاعر والتاجر والمصلح والأديب والناشر ، وكل منهم كان علماً في مجاله ، وقد اجتهدت ما وسعني أن أقول فيهم كلمة حق مشيداً بالحسنات مبتعداً عن الشوائب والهنات التي لا تخلو منها حياة الناس ، والله أسأل أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم وأن ينتفع القارىء بما في سيرة هؤلاء الرجال من القدوة الطيبة والعمل الصالح إنه وحده سميع مجيب .

محمد علي مغربي




السيد أحمد الفيض آبادي
مؤسس مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة



السَّيد أحمد الفيض آبادي

أسمر اللون ، متوسط القامة ، ينمُّ بريق عينيه عن ذكاءٍ وقَّادْ ، قويَّ العزم ، اشتعل رأسه شيْباً قبل أن يبلغ المشيب ، خفيف اللحية التي يختلط فيها البياض بالسواد ، بسيط المظهر ، يرتدي ثوباً من القماش الأبيض ، ويعتمر قلنسوة حجازية ملتصقة بالرأس(1) ، تفيض نفسه بالرغبة في الاصلاح والمحبة للناس ، مشغول الفكر بالعمل العظيم الذي نذر نفسه لتحقيقه رغم المصاعب والعقبات .

الاسم والنسب :

ولد السيد أحمد الفيض آبادي بقرية « بانكرمو » التابعة لفيض آباد بتاريخ ٢١ ربيع الثاني ١٢٩٣هـ ، ويرجع نسبه الى الحسين بن علي رضي الله عنهما ، حيث هاجر جَدُّه الأعلى السيد نور الحق الى الهند في عهد السلاطين الغزنويين واستقر بقرية « الله داربور » من أعمال فيض آباد التي استوطنتها أسرته جيلاً بعد جيل ، حتى نزح منها حفيده حبيب الله الى الحجاز ، وحبيب الله هو والد السيد أحمد الفيض آبادي .

تعليمه :

التحق أحمد الفيض آبادي بمدرسة حكومية في قرية تانده ، حيث كان والده مدرساً بها ، ونجح الطالب أحمد وكوفىء باعانة مالية شهرية من قبل القائمين بأمر المدرسة تشجيعاً له .

ثم التحق بمدرسة ديوبند الجامعة في سنة ١٣١٥هـ حين بلوغه الثانية والعشرين من العمر ، وبعد تخرجه بعام واحد هاجر والده من الهند الى المدينة المنورة بأسرته وجاء الشاب أحمد الفيض آبادي الى المدينة المنورة مع أسرته ، ولكنه لم يلبث أن عاد الى الهند حيث بقي بها

---

(1) ٢ـ١٧ـ١٨ السيد أحمد الفيض آبادي لعبدالقدوس الأنصاري .

أربعة أعوام ، وفي عودته الى الهند اتصلت أسبابه بالسيد أحمد الكنكوهي طيلة عامي ٢١ ، ٢٢ ، ولازمه ملازمة الظل وأفاد من هذه الصحبة رياضة النفس على الأخلاق الفاضلة .

كان السيد أحمد على علم باللغات فقد كان يتكلم اللغتين الفارسية والأردية الى جانب اتقانه للغة العربية مع إلمام بمبادىء اللغتين التركية والانجليزية .

وكان يتقن الخط والكتابة ، وكتابته بقلم النسخ آية في الجمال ، وأجمل منها كتابته بقلم التعليق الفارسي (١).

أسـرته :

وينتمي السيد أحمد الى أسرة اشتغلت بالعلم والتعليم فوالده عمل رئيساً للمدرِّسين في مدرسة صفي بور بالهند ، ثم تنقَّل في البلاد والأعمال حتى ألقى عصا التسيار ببلده ـ بانكرمو ـ فعين مدرساً باحدى مدارسها واقترن بابنة عمه وهو مقيم بها ، وبها ولد ابناؤه صديق ، وأحمد الفيض آبادي ، وشقيقه حسين ، ومن هذه البلدة هاجر الى المدينة المنورة (٢) .

وشقيقه السيد حسين أحمد ، الذي وصل الى المدينة برفقة والده كان مشتغلاً في بدء حياته بالعلم والتعليم .

كانت له حلقة بالمسجد النبوي الشريف وتتلمذ على يديه الكثيرون من علماء المدينة المنورة وشعرائها منهم . على سبيل المثال ،الشيخ / عبدالحفيظ كردي عضو المحكمة الكبرى بالمدينة المنورة وأحد شعرائها ، وأحمد البساطي نائب القاضي ، ثم أحد مدرسي القسم العالي بمدرسة العلوم الشرعية ، ومنهم بشير الابراهيمي الزعيم الجزائري الذي وصل الى المدينة مهاجراً من بلده ، بعد أن احتلَّته فرنسا وأصرَّتْ على اعتبار الجزائر اقليماً فرنسياً .

وحسين أحمد هو الذي نصح الابراهيمي الزعيم الجزائري وزميله عبدالحميد باديس بالعودة الى بلدهما قائلا لهما ما معناه .

ان بقاءكما بالمدينة لن يفيد الجزائر بشيء ، ولكن عودوا الى بلادكم وابدأوا بتعليم القرآن الكريم في كل مكان يتيسر لكما ذلك ، ان الفرنسيين لن يستطيعوا الأمر بمنع تعليم أطفال الجزائر القرآن الكريم .

وهذا القرآن هو الذي يفتح الباب للعمل لاستقلال الجزائر ، وعاد الابراهيمي وعاد معه عبدالحميد باديس ، وبدأ العمل لاستقلال الجزائر من كتاتيب تعليم الأطفال سور القرآن الكريم ، وقد كتب الله لحسين أحمد العودة الى الهند ليشارك في العمل على اخراج الانجليز من الهند فكان واحداً من أبرز الرجال الذين عملوا لاستقلال الهند ، ونعود بعد هذا الاستطراد لنتحدث عن حسين أحمد بالمدينة .

---

(١) ١ ـ ٥٩ ـ ٦٢ أحمد الفيض أبادي .

(٢) ١ ـ ٢٧ السيد أحمد الفيض أبادي لعبدالقدوس الانصاري .

ظل حسين أحمد مقيماً بالمدينة يلقي الدروس على تلاميذه بالمسجد النبوي الشريف الى أن نشبت الحرب العالمية الأولى ، فسافر الى مكة المكرمة والطائف ، وبعد أن قامت الثورة على الحكومة العثمانية طُلب منه أن يفتي بوجوب الخروج على الدولة ، ولم يكن يرى ذلك فامتنع فنُفي الى جزيرة مالطة ومكث بها الى أن انتهت الحرب العالمية وأطلق سراحه فعاد الى الهند ، وعمل بالنصيحة التي نصح بها الابراهيمي وباديس ، فعاد الى الهند ليبدأ جهاده فيها ، رائداً ينشر العلم ، ومصلحاً يوقظ الهمم الخامدة ، داعياً الى الاصلاح الديني والاجتماعي ، فهما السبيل الى رفعة الأمة لتخلع عن عاتقها نير الاستعباد وكان الرجل يتقن اللغتين العربية والأردية كما رزق موهبة الخطابة والفصاحة ، فكان لذلك تأثيره القوي في السامعين .

وبعد كتابة ما تقدم قرأت للاستاذ/ محمد حسين زيدان في سبب نفي حسين أحمد الى مالطة مايلي :

والصحيح أنه جمع أموالاً تبلغ أكثر من مليون روبية فذهب بها الى الطائف عوناً للباشا التركي ضد موقف الحسين بن علي ، فحكومة الشريف هي التي سلمته للانجليز فنفوه الى مالطه[1] .

أقول : انني شخصياً استبعد صحة هذه الرواية التي ذكرها الزيدان ولم يذكر مصادره فيها ، فالزمن الذي قام فيه الحسين بن علي بالثورة على الأتراك زمن الحرب العالمية الأولى ، فكيف تمكن حسين أحمد وهو بالمدينة أن يجمع المليون روبية ويذهب بها الى الطائف ليسلمها للقائد التركي هناك وأهل المدينة ليس لديهم ما يكفيهم وحجاج الهند بينهم وبين الوصول الى المدينة الحرب العالمية . ؟

أخشى أن يكون الخبر مكذوباً أو مبالغاً فيه .

اشتغل حسين أحمد مدرساً بالجامعة التي تخرج منها فشغل منصب مشيخة علم الحديث النبوي ، كما عمل نائباً لرئيس جمعية العلماء في دهلي .

وقدم الى المدينة زائراً سنة ١٣٥٨هـ وألقى محاضرة قيِّمة في مدرسة العلوم الشرعية التي أسسها أخوه السيد أحمد ، فكانت محاضرة جامعة تحدَّث فيها عن المجتمع الاسلامي ، ارتجلها باللغة العربية الفصحى ، فكانت آيةً في الاستيعاب والدقة ، والملاحظات الشاملة ، وقد نشرت هذه المحاضرة في مجلة المنهل في أعداد متسلسلة[2] .

وأخوه الثاني جميل أحمد ، التحق بالمكتب الاعدادي التركي بالمدينة المنورة ، ومن هذا المكتب أوفد الى الاستانة للالتحاق بالمدارس العليا بها ، ولكن المنيَّة وافته وهو في ذروة شبابه فتوفي بالمدينة قبل اكمال دراسته العليا .

---

(١) ذكريات العهود الثلاثة ص ٤٣ .

(٢) ١٨ - ٢٠ السيد أحمد الفيض ابادي .

وأخوه الرابع محمود أحمد ، التحق بالمكتب الاعدادي في المدينة المنورة ، وتخرج منه عام ١٢٣٥هـ والتحق كاتباً بالمحكمة الشرعية بالمدينة ، وتدرج في وظائفها حتى أصبح رئيساً لكتاب المحكمة في العهد الهاشمي ، وفي العهد السعودي استمر في عمله بالمحكمة ثم انتدب قاضياً لمدينة جدة ، ومارس فيها وظيفة القضاء عامين ، ثم عاد الى المدينة بعد أن اعتذر عن البقاء في جدة ، واشتغل بالأعمال التجارية الى جانب الأعمال الحكومية التي أسندت اليه ، ومنها كتابة عدل المدينة المنورة ، وعضوية المجلس الاداري ، ورئاسة مجلس الأوقاف ورئاسة المجلس البلدي[١] .

تفكيره في تأسيس المدرسة :

في هذه البيئة العلمية نشأ أحمد الفيض آبادي ودرج ، فلما عاد من الهند واستقر بالمدينة المنورة ، رأى أن هذه البلدة الطيبة في حاجة الى مدرسة تنشر العلم بطريقة منظمة ، كانت الدروس الدينية وحلقات العلم موجودة بالمسجد النبوي الشريف ، ولكن المدرسة التي فكَّر فيها أحمد الفيض آبادي نمطاً آخر يجمع بين ما يُلقى في حلقات المسجد النبوي الشريف من علوم الدين ، وما يحتاج اليه الناس في حياتهم من أسباب المعاش ، يقول أحمد الفيض آبادي عن ذلك :

منذ وصلت الى المدينة المنورة مهاجراً اليها مع الوالد عام ١٣١٦ هجرية تعلَّق بذهني مشروع انشاء مدرسة لتعليم أبناء هذه البلدة المطهرة ما يعيد اليهم مجد أسلافهم في ناحيتي العلم والعمل ، وظلَّت هذه الأمنية الغالية عالقة بذهني الى أن قدم أحد معارفنا من أثرياء الهند الى المدينة المنورة سنة ١٣٣٤هـ ، فعرضت عليه تفاصيل مشروعي فأبدى استعداده للتبرع بمبلغ سبعة عشر ألف روبية للمشروع اذا شرعت فيه .

لذلك تقدَّم أحمد الفيض آبادي الى الحكومة التركية بطلب الأذن بتأسيس المدرسة وذكر الوعد الذي تلقاه من الثريِّ الهندي بالمبلغ الكبير الذي رصده لهذا المشروع .

كانت الحكومة التركية قد قرَّرت انشاء جامعة اسلامية بالمدينة المنورة تحمل اسم صلاح الدين الأيوبي يلتحق بها المتخرجون من المدرسة الاعدادية الوحيدة بالمدينة والتي تأسست عام ١٣١٨هـ ، ويرغبون في مواصلة دراستهم العالية ، وكانت الدولة العثمانية تبعث طلاب الدراسات العليا الى القدس والأستانة .

شرعت الدولة العثمانية في بناء الكلية عام ١٣٣٢ ، وتم تشييد الطابق السفلي منها بالحجارة السود المنحوتة التي تبنى بها المباني العظيمة في المدينة المنورة .

---

(١) ٢١/٢٠ السيد أحمد الفيض أبادي .

وحينما تقدَّم أحمد الفيض آبادي بطلبه الترخيص ببناء المدرسة قوبل بالرفض وطلب منه تقديم تبرع الثريِّ الهندي الى مشروع الجامعة الاسلامية التي تبنيها الدولة .

وكان هذا الرفض ضربة لآمال أحمد الفيض آبادي تلقَّاها على مضض وهو يترقب ما تأتي به الأيام .

أما مشروع الدولة العثمانية فكان وقوع الحرب العالمية الأولى من الأسباب التي قضت عليه ويقول الدكتور محمد العيد الخطروي ان الطابق السفلي من مدرسة طيبة الثانوية في الوقت الحاضر كان هو النواة لبناء الجامعة المذكورة التي بدىء في تأسيسها(١) .

جاءت الحرب العالمية الأولى وهاجر الناس من المدينة وهاجر أحمد الفيض آبادي مع من هاجر من أهلها الى أدرنة في تركيا ، ثم عاد اليها مع من عاد من أهلها سنة ١٣٣٧ ومازالت فكرة المدرسة تلح على خيال الرجل وتستولي على أفكاره .

وفي سنة ١٣٣٩ قدم للحج أحد أغنياء الهند وكانت له معرفة سابقة بأحمد الفيض آبادي ، وأتيحت له الفرصة ليتحدث الى هذا الثريِّ عن آماله في انشاء المدرسة بالمدينة المنورة ووعده الرجل خيراً ، وبعد عودته الى الهند بعث الى أحمد الفيض آبادي أربعين جنيهاً ذهباً كانت هي النواة الأولى للعمل في مشروع المدرسة العتيد .

البدء بالمشروع :

لم يكن أحمد الفيض آبادي من ذوي اليسار ، ولكنه كان عالي الهمة حسن التدبير وهداه تفكيره أن يبدأ بمشروع المدرسة صغيراً ليكبر مع الأيام .

اشترى أرضاً بجوار المسجد النبوي وابتدأ البناء فيها مستعيناً بالمبلغ الذي تلقاه من الثري الهندي ، وبما يصل اليه من تبرعات بعد ذلك ، وقرر التوسع في البناء كلما توفرت له الموارد وهي في البداية انما تأتي من تبرعات أثرياء الهند الذين يفدون للحج والزيارة في كل عام ، وكانت البداية سنة ١٣٤٠ للهجرة .

ولم يكن المبلغ الذي تبرع به الثريُّ الهندي كافٍ للقيام بالمشروع فاقترض ثمن الأرض التي اختارها بجوار المسجد النبوي الشريف ، اقترض قيمة هذه الأرض من الشيخ عبدالجبار الدهلوي من كبار تجار مكة المكرمة ، ومن أخيه السيد محمود أحمد الذي تحدثنا عنه آنفاً(٢) .

وفي سنة ١٣٤١ كمل البناء الابتدائي للمدرسة ، وقام أحمد الفيض آبادي باختيار المدرسين الذين يقومون بالتعليم فيها ، واختار للعمل معه الشيخ محمد الطيب الأنصاري ، وكان له تلاميذ كثيرون يتلقون العلم على يديه في المسجد النبوي الشريف ليل نهار .

---

(١) ٩/٨ مدرسة العلوم الشرعية للخطراوي

(٢) مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة .

فكان هؤلاء التلاميذ مع من لحق بهم هم النواة الأولى لطلاب المدرسة ، وقد بقي الكثيرون منهم حتى تخرجوا من المدرسة وعملوا فيها[1] .

بدأت الدراسة باثني عشر مدرساً يرأسهم الشيخ محمد الطيب الأنصاري ، وكان البرنامج الذي وضعه مؤسس المدرسة يجمع بين العلم والعمل ، فالى جانب العلوم الدينية التي تلقى على التلاميذ ، كانت هناك الفنون الحديثة التي تفتح عقول الطلاب وتستهوي أفكارهم .

ولما كانت موارد المدرسة تقوم على التبرعات وخاصة من أثرياء الهند ، فقد أحدث المؤسس قسماً للتعليم الصناعي ليكون وارد هذا القسم رافداً من روافد المدرسة لمواجهة مصروفاتها .

القسم الصناعي :

هذا القسم الصناعي كان يقوم على تعليم الطلاب بعض الحرف المهنية مثل مزاولة الخياطة الآلية ، وزخرفة الأخشاب ونجارتها ، ونسيج السجاجيد المحلاة بالزخارف والصور ، وعمل لوحات جميلة مكتوبة من الخشب المزخرف وصناعة الأدوات المنزلية ذات النقوش المتموجة ، وتطور القسم الصناعي مع الأيام فصار يقوم بصنع الكراسي والمناضد والمكاتب ، ولما نشبت الحرب العالمية الثانية ، وانقطع استيراد الآلات من الخارج تطور هذا القسم فأصبح يسدُّ حاجة المدينة وغيرها من قطع المكائن التي تحتاجها الزراعة في المدينة ، فالمدينة بلد زراعي ، وقد تعرفت على المكننة في ري المزارع بها ، فلما نشبت الحرب العالمية الثانية انقطع ماكان يرد اليها مما تحتاجه من قطع الغيار لهذه المكائن فكانت مخارط مدرسة العلوم الشرعية تقوم بصنع القطع المطلوبة لمن يحتاجها ، فكان ينتج البساتم والبنوز وطلمبات رفع الماء .

وفاضت شهرة القسم الصناعي بما يخرجه من آلات متقنة فكانت الادارات الحكومية تطلب منه ما تحتاج اليه ، كما كان يقدِّم هذه القطع للمكائن الزراعية التي يملكها الأمراء والمواطنون في الرياض وعنيزة وحائل وغيرها من مدن المملكة علاوة على سدِّ حاجة المدينة المنورة منها .

ومن هذا القسم الصناعي تخرج المهندسون الذين عملوا في تسيير الآلات اللاسلكية للدولة ، فكان منهم المهندسون والمساعدون[2] .

هذا القسم الصناعي كما قلنا كان رافداً من روافد الصرف على المدرسة وقد أدرك أحمد الفيض آبادي بما وهبه الله من الحكمة وبعد النظر أن أمور الحياة لا تستقيم إلا على الموازنة بين

---

(١) ٣٨/٣٥ أحمد الفيض أبادي .

(٢) ٥٠/٤٨ أحمد الفيض أبادي .

الأمور فالمدرسة التي قامت على تبرع المحسنين تفتقر الى مورد ثابت ، وهي تكبر مع الأيام ، لهذا فقد قام باحداث هذا القسم الصناعي ليسدَّ به حاجة المدرسة لما تحتاج اليه من نقص في ايرادها ، ولتخرج في نفس الوقت صناعاً يتقنون بعض المهن التي تحتاج اليها البلاد ، وهذا في حد ذاته كسب للطلاب وللبلد الذي ينتمون اليه .

ويقوم فريق من المتخرجين من القسم الصناعي بادارة مطبعة المدرسة وتسيير مطحنتها اللتان تساعدان على تنمية واردات المدرسة لمواجهة النفقات المستمرة في الاتساع(١) .

نستطيع أن نقول بحق أن أحمد الفيض آبادي كان بما أحدثه في مدرسة العلوم الشرعية من الجمع بين علوم الدنيا والدين رائداً من الرواد ، كان رائداً في ادخال التعليم المهني ضمن برامج مدرسته الرائدة ، وقد أثبتت الأيام أن هذا القسم الصناعي أحدث أثره الطيب حينما نشبت الحرب العالمية الثانية ، واحتاجت البلاد الى انتاجه لتسيير الآلات التي كادت أن تتعطل عن العمل والدوران .

المكائد تثور :

يتعرض المصلحون في كل زمان ومكان لمكائد الكائدين وحسد الحاسدين ، وبقدر اخلاصهم وثباتهم يهيىء الله تعالى لهم أسباب النجاح والظفر .

قامت المدرسة في رحاب المدينة المنورة ، وانتظم فيها الطلاب وافتتح فيها القسم الصناعي وبدأت تؤتي أكلها الطيب ، وأخذ الناس يشعرون بما تقدمه هذه المؤسسة بقسميها العلمي والصناعي من فائدة لسكان طيبة الطيبة ، فأثار هذا النجاح حقد بعض الحاقدين الذين لا يخلو منهم مجتمع أو مكان .

رأوا أن تبرعات الأثرياء الهنود تأتي الى مؤسس المدرسة فصوَّرت لهم نفوسهم الأمارة بالسوء أن ينسبوا اليه أنه اتخذ هذه المدرسة أداة لجمع المال ، مع أن التبرعات لم تكن تكفي لمواجهة مصاريف المدرسة التي تتصاعد عاماً بعد عام .

ان المدرسة تبدأ صغيرة بفصل واحد ثم تزيد فصولها عاماً بعد عام .

ورأوا أن القسم الصناعي يُدر على المدرسة بعض المال لتغطية مصروفاتها فزاد ذلك من غيظهم ومكائدهم .

كان العهد هو عهد الحكومة الهاشمية ، وكان الخلاف بين هذا العهد وبين المذهب الوهابي الذي تمثله دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب والذي يراه آل سعود معروفاً للكافة .

ومن هذه الثغرة دخل المغرضون فاتهموا المدرسة أنها تعلم طلبتها المذهب الوهابي يقول الدكتور محمد العيد الخطراوي :

---

(١) ٤٩/ ٥٠ أحمد الفيض أبادي .

استغل الحاقدون هذا الوضع ، وأشاعوا أن مؤسس المدرسة السيد أحمد رحمه الله وهابي وأن المدرسة انما أسست لخدمة المذهب الوهابي ، متخذين من قيام المدرسة بتدريس كتب الحديث وشروحاتها البعيدة عن الخرافة ، وتدريس الفقه وأصوله أصبعاً تشير الى وهابيته ، علماً بأن الوهابية لقب أطلقه أعداء الدعوة السلفية على أتباع الدعوة للنيل منها ، واظهارها بمظهر الابتداع والمروق ، وانما كان الشيخ محمد بن عبدالوهاب رجلاً حنبليَّ المذهب ، دعا الناس الى تصحيح عقائدهم ، وتطهيرها مما علق بها من خرافات وأضاليل ، ولكن الموازين عند هؤلاء وأمثالهم تنقلب ، لتصبح الاستقامة على منهج السلف جرماً يعاقب عليه ، وتهمة توجه لتقويض الناس والمؤسسات .

اغلاق المدرسة :

فعلت الوشايات والمكائد فعلها فقام المسؤولون الحكوميون عن التعليم بالمدينة المنورة بالتفتيش على المدرسة والتأكد مما نسب اليها والى صاحبها ، وبعد محاورات مريرة مع السيد أحمد والمدرسين أمروا باغلاق المدرسة وتسريح طلابها وموظفيها .

أغلقت المدرسة أبوابها ، ولكن المؤسس والمدرسين انتقلوا بطلابهم الى رحاب المسجد النبوي الشريف فباشروا تدريس الطلاب في حلقات في رحاب المسجد الشريف ، واتخذوا العلنية شعاراً لهم ليرى الناس ويسمعوا ما يلقى في هذه الحلقات من دروس واستمروا يمارسون عملهم هذا بضعة أسابيع كانت كافية لتفنيد التهم الكاذبة والوشايات المغرضة المدسوسة فعادت المدرسة الى مقرها في منتصف عام ١٣٤٣هـ .

وتلقى مؤسس المدرسة الموافقة من امارة المدينة بالترخيص للمدرسة بالعمل فعادت الى مقرها في شهر شوال من عام ١٣٤٣[1] .

وهكذا انتصر الخير على الشر ، وأبطل الله كيد الكائدين ومكر الماكرين ، وعادت المدرسة لمزاولة عملها الطيب دون حذر أو مخاوف .

معاونة الطلاب :

من المشاكل التي واجهت مدرسة العلوم الشرعية ، أو على الأصح التي واجهت مؤسسها السيد أحمد الفيض آبادي نشوب الحرب العالمية الأولى ، واشتغال الناس بتدبير أمور معاشهم ، وانصراف الآباء عن تعليم أولادهم ، ولترغيب الآباء في تعليم أولادهم ، عمد السيد أحمد الى تخصيص مكافآت شهرية للمتفوقين من الطلاب ، وخصَّ الفقراء منهم بمكافآت أسبوعية أو يومية مراعياً حالة الآباء المادية ، واحتياجهم الى تشغيل ابنائهم والافادة منهم .

---

(١) ٢١/١٩ مدرسة العلوم الشرعية و ٤٢/٣٨ أحمد الفيض أبادي .

هذا الاسلوب نفسه عمد اليه الحاج محمد علي زينل بالنسبة لطلاب القسم العلمي ، كانت الدراسة في مدرسة الفلاح ست سنوات ، ثم أنشأت المدرسة القسم العلمي ومدته ثلاث سنوات ، يتخرج منها الطالب بعد تقوية معلوماته في العلوم الدينية والعربية ، ورأى كثير من آباء الطلاب أن السنوات الست الأولى كافية ، فحينها يتخرج منها الطالب يستطيع أن يعمل كاتباً في البيوت التجارية ، أو موظفاً في دوائر الحكومة ، وهذه الوظيفة حكومية أو أهلية تتيح للأسرة الاستفادة من عمل أبنائها ، ورغب مؤسس الفلاح أن يستبقي المتفوقين من الطلاب للدراسة في القسم العلمي ، فعمد الى ترتيب مرتب شهري لآباء الطلبة المتفوقين حتى يسمحوا لأولادهم بالاستمرار في هذه الدراسة العلمية المتخصصة ، وقد أشرت الى ذلك في ترجمتي للحاج محمد علي زنيل مؤسس الفلاح في الجزء الأول من أعلام الحجاز[1] .

هذه السياسة التي انتهجها السيد أحمد الفيض آبادي في مدرسة العلوم الشرعية حققت الاقبال من قبل الطلاب وآبائهم على المدرسة ، فأقبلوا على الدراسة فيها زرافات ووحدانا[2] .

وهذا التشجيع على طلب العلم من مؤسس مدرسة العلوم الشرعية مع قلة الموارد في المدرسة واعتمادها على التبرعات وعلى واردات القسم الصناعي بها يدل على أن فكرة المدرسة احتلت من قلبه وفكره مكاناً عظيماً .

وهذا البذل مع الاقلال ، لا يجود به إلا العظماء من الرجال .

المتخرجون :

ثم افتتاح المدرسة في سنة ١٣٤٠ للهجرة كما ذكرنا ، وانتظمت الدراسة وبدأت المدرسة تؤتي ثمارها يانعة طيبة ، ونورد فيما يلي أعداد المتخرجين منها في الأقسام المختلفة من بدء افتتاح المدرسة الى نهاية العام الدراسي ١٣٥٨ ـ ١٣٥٩هـ .

عدد المتخرجين

١٨٧ من شعبة القرآن الكريم .

٦٧ الحاصلون على الشهادة الابتدائية .

٣٠ الحاصلون على شهادة العلوم العربية العالية[3].

(١) أعلام الحجاز جـ ١ ص ٣٢٢/٣٢٣ .
(٢) أحمد الفيض آبادي ٨٣/٨٤ .
(٣) انظر أسماء المتخرجين من الشعب المختلفة في مدرسة العلوم الشرعية صفحة ٤٩/ ٦٤ .

هذه هي أعداد المتخرجين في السنوات الثماني عشر التي ذكرناها ، فاذا قرأنا أسماء هؤلاء المتخرجين وجدنا بينهم رجالاً برزوا في مختلف مجالات الحياة العامة ، وتسلم بعضهم أعلى المراكز نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر :

- الشيخ محمد علي الحركان : الذي تولى القضاء بالمدينة المنورة ثم تولى رئاسة المحكمة الشرعية الكبرى بجدة ، وكان أول وزير للعدل في المملكة ، ثم اختير أميناً لرابطة العالم الاسلامي الى جانب عضويته في هيئة كبار العلماء في المملكة[١] .
- الاستاذ عبدالقدوس الأنصاري : المؤرخ والمؤلف والأديب الغني عن التعريف مؤسس مجلة المنهل وصاحب التآليف الكثيرة المشهورة ، والذي عمل مدرساً بمدرسة العلوم الشرعية ثم عمل في ديوان امارة المدينة المنورة ثم انتقل الى مكة المكرمة رئيساً لتحرير جريدة أم القرى ، ثم نقل الى ديوان سمو نائب الملك بالحجاز ، ثم تقلد وظائف كثيرة في مجلس الوكلاء بعد تأسيسه[٢] .
- الاستاذ محمد عمر توفيق الوزير والكاتب الشهير وصاحب المؤلفات المعروفة ، والمقالات المستفيضة في مختلف الصحف ، تقلب في وظائف عديدة وأسند اليه جلالة المرحوم الملك فيصل وزارة المواصلات ، ثم ضم اليها وزارة الحج والأوقاف[٣] .
- الاستاذ محمد الحافظ من أبرز قضاة المحكمة الشرعية الكبرى بالمدينة المنورة ، عمل مدرساً بمدرسة العلوم الشرعية وتتلمذ على يديه الكثيرون من أدبائها وعلمائها كما عمل مدرساً بالمسجد النبوي الشريف ، وشارك في النشاط الأدبي والعلمي بالمدينة المنورة[٤] .
- الاستاذ عبدالعزيز الربيع : الذي قضى حياته في التربية والتعليم مديراً لبعض المدارس في المدنية الى أن تولى مديرية التعليم بها وله مؤلفات ومساهمات أدبية كثيرة معروفة[٥] .
- الاستاذ محمد هاشم رشيد : شاعر المدينة المنورة ورئيس ناديها الأدبي وصاحب الدواوين الشعرية الكثيرة ، والنشاطات الأدبية العديدة[٦] .

ونكتفي بهذا القدر من أعيان المتخرجين ، ومن رغب الاستزادة فليرجع الى كتاب الدكتور محمد العيد الخطراوي الذي أورد أسماء المتخرجين في مدرسة العلوم الشرعية من أقسامها المختلفة وحسب سنوات تخرجهم .

---

(١) انظر ترجمته في مدرسة العلوم الشرعية ص ٥٨٨/ ٥٩٠ .
(٢) انظر ترجمته في مدرسة العلوم الشرعية ص ٥٩١/٥٩٣ .
(٣) انظر ترجمته في مدرسة العلوم الشرعية ص ٥٩٠ .
(٤) انظر ترجمته في مدرسة العلوم الشرعية ص ٥٩٤/٥٩٦ .
(٥) انظر ترجمته في مدرسة العلوم الشرعية ص ٥٩٧/٥٩٩ .
(٦) انظر ترجمته في مدرسة العلوم الشرعية ص ٦٠٠/٦٠١ .

ان متعلماً واحداً في أسرة هو كسب عظيم لها ، وكم رأينا آباءً حرموا من نعمة العلم ، هبط الجهل بهم ، ثم ظهر من أبناء هذا الرجل عالم واحد ارتفع بأبويه فبرزت أسماؤهم ، وتحسنت أحوالهم فاغتنوا بعد فقر ، واذا كان هذا شأن العلم والمتعلمين في الأسرة الواحدة فان شأنه بالأمة أعظم .

لهذا كان هؤلاء المتخرجون من مدرسة العلوم الشرعية ، وأمثالها من المدارس كسباً عظيماً لأهليهم ولبلادهم .

واذا علمنا أن مؤسس مدرسة العلوم الشرعية انما أسسها في العهد العثماني الذي كان التعليم المنظم فيه قليلاً ، والجهل فيه فاشياً أدركنا مدى أهمية هذا العمل ، وبُعد همة المؤسس يرحمه الله ، ثلاثة رجال عظماء ظهروا في هذه البلاد المباركة في ثلاث مدن مختلفة من مدن الحجاز ، أدركوا فداحة ما تعانيه الأمة من الجهالة والفقر ، فانشأوا المدارس ،كل في البلد الذي ظهر فيه ، بدأوا صغاراً ، كما تبدأ المزرعة بغراس صغيرة ، حتى كبرت مع الأيام فآتت أكلها أشجاراً عالية تحفل بالثمر الجني وتمتد ظلالها الوارفة ، فيفيء اليها الناس آمنين مطمئنين .

أولهم الشيخ / رحمه الله العثماني مؤسس المدرسة الصولتية بمكة الذي أسس مدرسته بمكة سنة ١٢٨٥ للهجرة[١] .

وثانيهم الحاج محمد علي زينل رضا مؤسس مدارس الفلاح بدأها بافتتاح مدرسة الفلاح بجدة سنة ١٣٢٣ ، ثم بافتتاح مدرسة الفلاح بمكة المكرمة سنة ١٣٣٠ ، واتبعهما بمدرستي الفلاح في دبي والبحرين سنة ١٣٤٧ ، ومدرسة الفلاح في بومباي سنة ١٣٥٠[٢] .

وثالثهم هو السيد أحمد الفيض آبادي الذي خصصنا له هذه الترجمة مؤسس مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة سنة ١٣٤٠ للهجرة .

كان الدافع للرجال الثلاثة واحداً ، هو الرغبة الجامحة في محو الجهالة ، ونشر العلم والمعرفة .

بدأوا صغاراً ثم كبروا مع الأيام .

بعث الله الأميرة الهندية صولت النساء لأداء فريضة الحج ، واتصلت أسباب الشيخ رحمة الله العثماني بها حينما قدمت الى مكة ، وقد أحضرت معها مبلغاً من المال لتشيد به رباطاً باسمها فأقنعها أن مكة تحتاج الى مدرسة أكثر من حاجتها الى رباط ، فتحولِ مشروع الرباط الى مدرسة سماها الشيخ رحمه الله المدرسة الصولتية نسبة الى هذه الأميرة الخيِّرة الكريمة .

---

(١) انظر ترجمته في الجزء الثاني من أعلام الحجاز ص ٢٨٦/٣١٣ .

(٢) انظر ترجمته في الجزء الأول من أعلام الحجاز ص ٣١٧/٣٣٠ .

وبدأ محمد علي زينل مدرسته في مقعد بأحد المنازل بمدينة جدة ، ثم تبرعت زوجته بمجوهراتها وحليها ليشتري المبنى الذي حوله الى مدرسة الفلاح بجدة ، وهاجر الى الهند ليعمل بالتجارة حيث يتوفر له المال للصرف على المدرسة ففتح الله له أبواب الرزق ، وعمل في تجارة اللؤلؤ حتى أصبح ملك اللؤلؤ في العالم ، ثم ظهر اللؤلؤ الصناعي وانهارت أسعار اللؤلؤ الأصلي ، ولكن مدارس الفلاح بقيت،فقد حلّت الأمة كلها محل الرجل الذي أنفق على مدارس الفلاح طيلة أربعين عاماً .

واقترض أحمد الفيض آبادي من أخيه ومن أحد تجار مكة قيمة الأرض التي بنى بها مدرسته بجوار المسجد النبوي الشريف وبدأت المدرسة صغيرة حتى أصبحت صرحاً شامخاً بمبناها الاسلامي الطراز .

وهكذا بارك الله في أعمال الرجال الثلاثة الذين وهبوا حياتهم للعلم فتخرج من مدارسهم الأجيال الذين أمسكوا زمام الأمور في البلاد ، فكان منهم العلماء والوزراء ، والقضاة والمدرسون والكُتَّاب ، والذين عملوا في مختلف مجالات الحياة فأفادوا واستفادوا رحمهم الله تعالى وجزاهم أفضل ما يجزي به عباده العاملين والمصلحين .

وفاة السيد أحمد الفيض آبادي :

توفي السيد أحمد الفيض آبادي عصر يوم العاشر من شوال سنة ١٣٥٨ للهجرة عن عمر يناهز الخمسة والستين سنة ، وكان قد أصيب بالمرض منذ وقت مضى ولكنه لم يلزم سريره إلا بعد اشتداد المرض عليه ، وكان يشكو من ضغط الدم[١]

توفي بعد أن قرت عينه بنجاح المشروع العظيم الذي كرّس حياته له فمدرسة العلوم الشرعية التي بدأت صغيرة صارت صرحاً شامخاً يبلغ تعداد طلابها الستمائة والمتخرجون منها يشاركون في الحياة العامة عاملين في مختلف المجالات ، والمبنى الصغير تحول الى عمارة ضخمة على الطراز الأندلسي بجوار المسجد النبوي الشريف ، تستوقف الأنظار بجمالها ومتانتها .

والقسم الصناعي فيها تطور وكبر وعظمت منافعه في البلد الطيب المقدس .

حبيب أحمد يخلف عمه :

أحسَّ السيد أحمد الفيض آبادي قبل أن يدركه المرض بضرورة وجود من يخلفه على رعاية المدرسة بعدوفاته،والموت حق على العباد وكان الشاب حبيب أحمد بن أخيه السيد محمود أحمد طالباً من طلاب مدرسة العلوم الشرعية ، ظهرت بوادر نجابته منذ أن كان ناشئاً ، فحفظ

---

(١) ٥٩/٦٢ أحمد الفيض أبادي .

القرآن الكريم في سنة واحدة[1] وواصل دراسته حتى تخرج من القسم العالي سنة ١٣٥٨ ، وهو ابن عشرين سنة .

ورأى عمه السيد أحمد أن ابن أخيه حبيب هو خير من يخلفه في ادارة المدرسة ورعايتها فأنابه عنه في ادارة المدرسة وأكّد هذه الانابة بصك شرعي منحه فيه التصرف المطلق في أمورها بما يراه مناسباً لادارتها واستمرارها فتولى ادارة المدرسة بعد وفاة مؤسسها ، فأتم العمارة التي بدأها المؤسس ، وعمل على تطوير الأقسام الصناعية بها بتزويدها بالآلات الحديثة ، وحينما أزيل مبنى المدرسة وأدخل في توسعة الحرم النبوي الشريف ، أقدم على شراء أرض قريبة من المسجد وشيد فيها المبنى الجديد للمدرسة وهو من أجمل المباني في المدينة المنورة ، التي أصبحت تسير في برامجها حسب منهج وزارة المعارف ، ولا تزال المدرسة تمارس مهمتها العظيمة في البلدة المقدسة وقد بلغ تعداد طلابها سنة ١٤١٠هـ ألفاً وثلاثمائة طالب[2] .

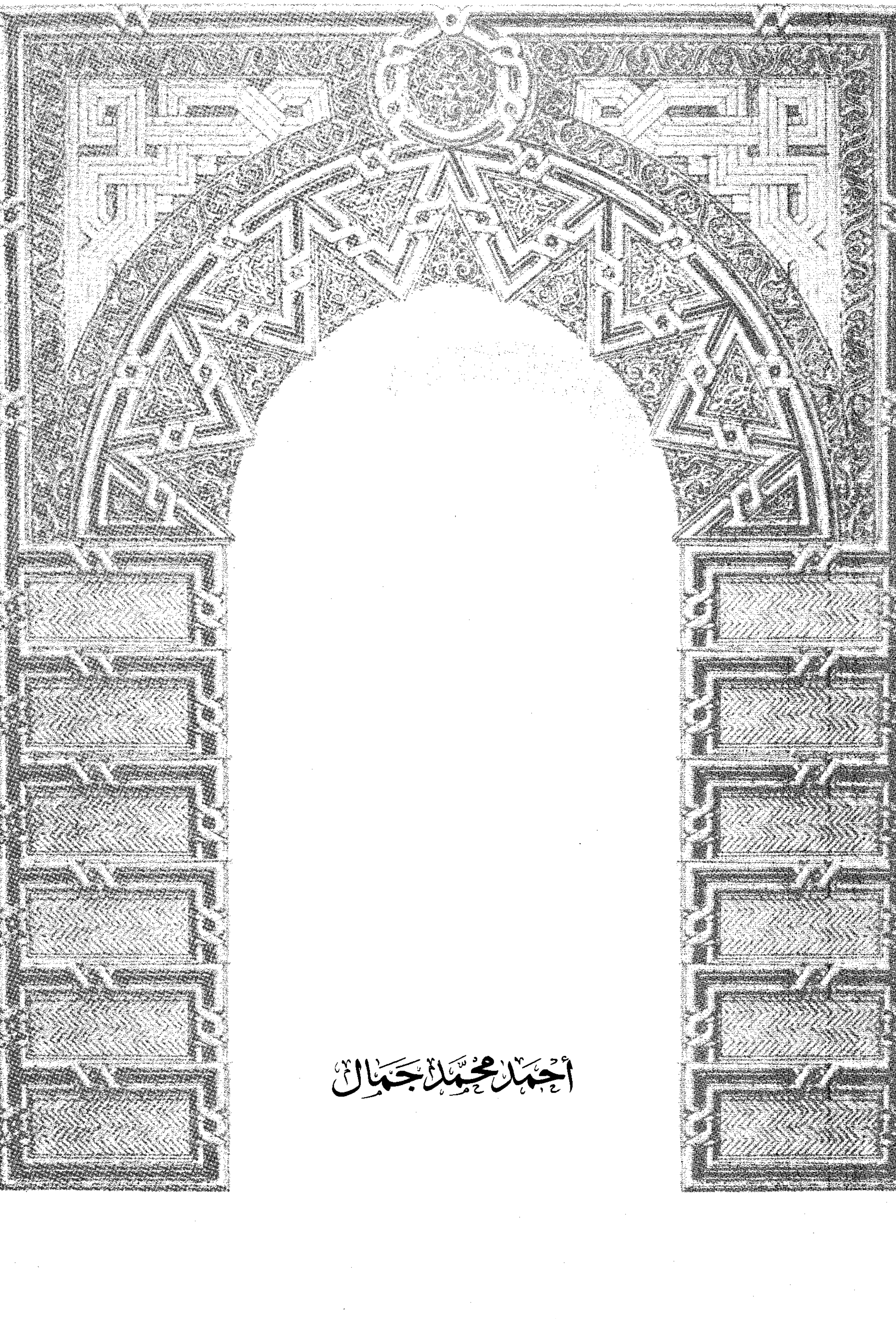
رحم الله السيد أحمد الفيض آبادي وجزاه خير الجزاء بما بذل من جهد في نشر العلم في مدينة الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، ووفق الله السيد حبيب لاكمال العمل العظيم الذي بدأه المؤسس والذي يقوم عليه من بعده خير قيام .

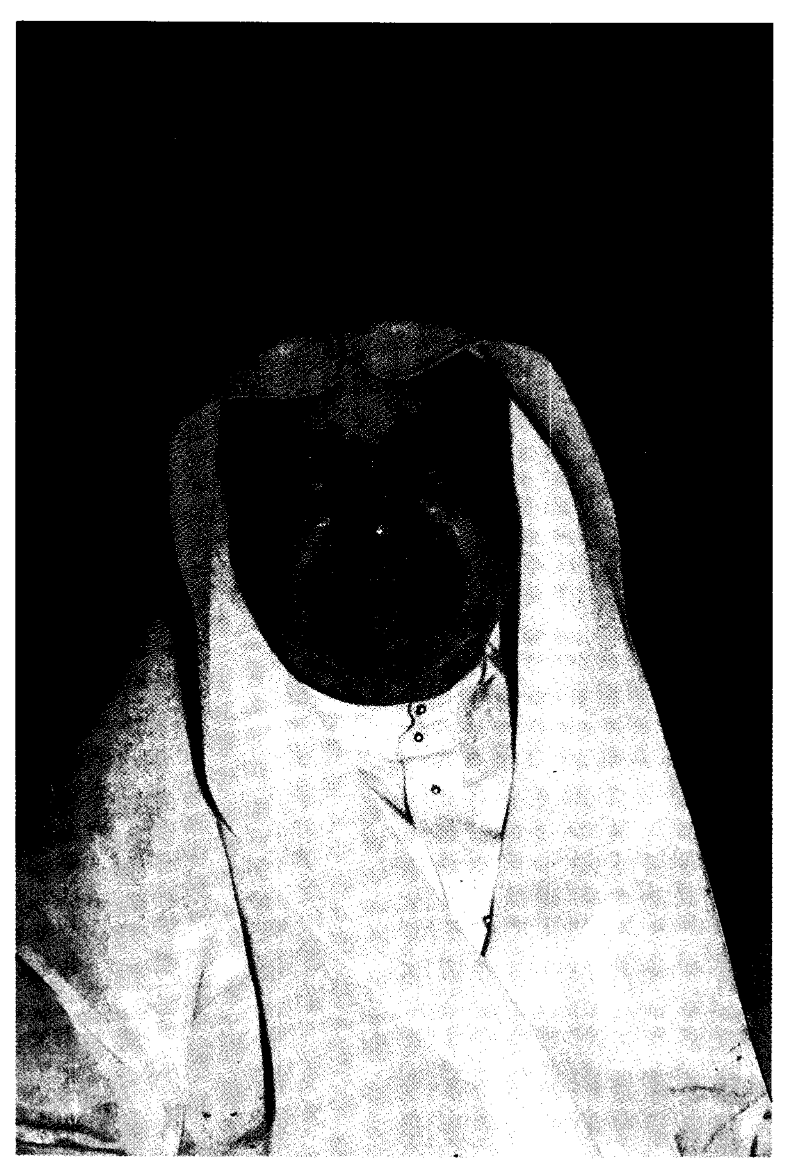


(١) ٣٩١/٣٩٠ مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة .

(٢) ٤٠١/٣٩٠ مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة .




أحمد محمد جمال



أحمد محمد جمال

أحمد محمد جمال

جميل الصورة . أبيض البشرة ، اقنى الأنف ، خفيف اللحية والشارب ، حليق العارضين ، معتدل القامة والبنية ، مشرق الوجه ، تلوح في وجهه علامات الذكاء والهيبة .

ولد أحمد محمد جمال بمكة المكرمة سنة ١٣٤٣ للهجرة ، وتلقى دراسته الابتدائية بالمدرسة العزيزية بحي الشامية ، وتخرج منها سنة ١٣٥٨هـ ، والتحق بالمعهد العلمي السعودي بمكة المكرمة .

ولكنه ترك الدراسة بالمعهد بعد عام واحد من التحاقه به ، حيث عمل موظفاً بالمحكمة الشرعية بمكة ، ويبدو أن ظروف عائلته اضطرته الى العمل ، وكانت أول وظيفة أسندت اليه بدائرة رئاسة القضاء التي كان يتولاها الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ في سنة ١٣٥٩هـ ، وبعد بضع سنين انتقل الى دائرة كاتب العدل بمكة المكرمة التي كان يرأسها الشيخ عرابي سجيني .

ولكن أحمد جمال لم ينقطع عن العلم والتعليم ، فقد واظب على الدراسة في حلقات السيد/ علوي مالكي بالمسجد الحرام ، وغيره من علماء مكة المكرمة الذين تنتظم الدراسة في حلقاتهم في أوقات معينة بعد صلاة الفجر ، وبعد صلاة العصر ، وبين المغرب والعشاء .

وحُبب اليه القرآن الكريم فاجتهد في حفظه حتى أتمَّه ، واكب على معرفة أسراره فتتلمذ على السيد علوي مالكي في دراسة التفسير ، ومازال هذا القرآن الكريم نوراً يضيء العقول ، ويهدي النفوس للسامعين والدارسين وسيكون لنا حديث عن أثره العظيم في نفس أحمد جمال حينما نتحدث عن كتبه العظيمه في تفسير القرآن الكريم ، ونعود الآن الى رحلة أحمد جمال في مطلع شبابه ، ومن المحكمة الشرعية انتقل الى العمل في جريدة البلاد السعودية سنة ١٣٦٥هـ عمل فيها أولاً بوظيفة محاسب ولكنه تحول من العمل المالي الى التحرير فأصبح

سكرتيراً للتحرير ، وفي جريدة البلاد السعودية بدأ أحمد جمال نشاطه الأدبي ، فظهرت كتاباته الاولى في صحيفة البلاد .

ثم انتقل للعمل في وزارة الداخلية مساعداً لمدير قسم الثقافة والتعليم ، قبل انشاء وزارة المعارف ، وشغل في وزارة الداخلية وظائف ادارية حتى أصبح مدير ادارة الجوازات والجنسية .

وحينما أصدر شقيقه الاستاذ/ صالح محمد جمال جريدة حراء كان أحمد جمال يشارك أخاه أعباء اصدارها وتحريرها والكتابة فيها ، وبعد دمج الصحف صدرت الندوة بعد حراء فكان أحمد جمال يشارك أخاه في شؤونها[1] .

وفي الصحف التي عمل فيها أحمد جمال وجد المجال للكتابة والنشر ، ووجد الطريق ممهداً ليظهر آراءه وآماله للناس ، وكان الشاب أحمد جمال جريئاً في ابداء الرأي لا يخشى في الحق لومة لائم ، وقد وُهِب القدرة على التعبير ، فكان لكلماته وقعها في نفوس القارئين .

مارس أحمال جمال هوايته الأدبية في مجالات شتى في الشعر والنثر ، وأصدر العديد من المؤلفات وسنتحدث عن مؤلفاته بعد استكمال مسيرة حياته العملية والتي نوجزها فيما يلي :

عين في عام ١٣٧٥ عضواً في مجلس الشورى .

وفي عام ١٣٨١ أختير عضواً في لجنة وضع النظام الأساسي للحكم .

وحينما تأسست جامعة الملك عبدالعزيز اختير أحمد جمال استاذاً للثقافة الاسلامية في عام ١٣٨٧هـ .

واختير استاذاً لمادة تفسير القرآن الكريم بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، واستمر يدرس هذه المادة الى أن توفاه الله .

وأشرف على اصدار مجلة التضامن الاسلامي التي تصدرها وزارة الحج والأوقاف .

كما ظل مشرفاً على اصدار كتاب دعوة الحق ، وهي مجلة شهرية تصدرها رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة ، ويمثل كل عدد منها كتاباً من الكتب التي تعني بشؤون الدعوة وبلغ ما أشرف على اصداره من هذه الكتب مائة وخمسة وثلاثين كتاباً .

وكان الى جانب هذه الأنشطة جميعها يحتل عضوية مجالس ولجان كثيرة .

كان عضواً في اللجنة الثقافية برابطة العالم الاسلامي .

وعضواً بمجمع الفقه الاسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الاسلامي منذ عام ١٤٠٦هـ

كما كان عضواً بالمجلس البلدي بمكة المكرمة ، وعضواً بمجلس الأوقاف .

---

(١) أنظر تفصيل ذلك في ترجمة صالح جمال في نفس هذا الكتاب .

والى جانب هذا وذاك كان يشارك في المؤتمرات الاسلامية في خارج المملكة ، ويشرف على المعسكرات الاسلامية والثقافية التي تقيمها الدولة في داخل المملكة .

ويلقي المحاضرات والبحوث في هذه المؤتمرات في كثير من دول العالم .

واختير بعد وفاة شقيقه الأكبر/ صالح جمال لرئاسة جمعية البر بمكة المكرمة التي كان عضواً فيها .

بعد هذا الاستعراض لمسيرة أحمد جمال العظيمة آن لنا أن نتحدث عن مؤلفاته .

مؤلفات أحمد جمال :

أصدر الاستاذ/ أحمد جمال اثنين وثلاثين كتاباً ، نثبت أسماءها وتاريخ اصدارها فيما يلي :

١ ـ ماذا في الحجاز ، وهو أول مؤلفاته صدر سنة ١٣٦٤ هجرية الموافقة لعام ١٩٤٥ الميلادي .

٢ ـ سعد قال لي ـ وهو كتاب قصصي صدر سنة ١٣٦٦ الموافقة لسنة ١٩٤٦ للميلاد .

٣ ـ الطلائع ـ ديوانه الشعري الوحيد صدرت طبعته الأولى سنة ١٣٦٦ الموافقة لسنة ١٩٤٦ وصدرت طبعته الثانية بعنوان « وداعاً أيها الشعر » عام ١٣٩٧ هجرية الموافقة لعام ١٩٧٧ للميلاد .

٤ ـ على مائدة القرآن ـ ما وراء الآيات صدر سنة ١٣٧١ الموافقة لسنة ١٩٥٢ للميلاد .

٥ ـ على مائدة القرآن ـ دين ودولة صدر سنة ١٣٧٢ الموافقة ١٩٥٣ للميلاد .

٦ ـ على مائد القرآن ـ مع المفسرين صدر سنة ١٣٧٣ الموافقة لسنة ١٩٥٤ للميلاد .

٧ ـ استعمار وكفاح ـ صدر سنة ١٣٧٤ الموافقة لسنة ١٩٥٥ للميلاد .

٨ ـ على مائدة القرآن ـ مبادىء ومثل صدر سنة ١٣٨١ الموافقة لسنة ١٩٦١ للميلاد .

٩ ـ نحو سياسة عربية صريحة ـ صدر سنة ١٣٨١ الموافقة لسنة ١٩٦٢ للميلاد وهو الجزء الثاني لكتابه السابق استعمار وكفاح .

١٠ ـ الاسلام أولاً ـ صدر سنة ١٣٨٤ الموافقة لسنة ١٩٦٤ للميلاد .

١١ ـ مجتمعنا العربي كما ينبغي أن يكون صدر سنة ١٣٨٤ الموافقة لسنة ١٩٦٤ للميلاد .

١٢ ـ مكانك تحمدي صدر سنة ١٣٨٤ الموافقة لسنة ١٩٦٤ للميلاد .

١٣ ـ رفقاً بالقوارير صدر سنة ١٣٨٥ الموافقة لسنة ١٩٦٥ للميلاد .

١٤ ـ من كشمير الى فلسطين وخطر الصهيونية والصليبية على الاسلام صدر سنة ١٣٨٥هـ الموافقة لسنة ١٩٦٥ للميلاد .

١٥ ـ مسؤولية العلماء في الاسلام صدر سنة ١٣٨٦ الموافقة لعام ١٩٦٦ للميلاد .

١٦ ـ تاريخنا لم يقرأ بعد ـ صدر سنة ١٣٨٧ الموافقة لسنة ١٩٦٧ للميلاد .

١٧ ـ محاضرات في الثقافة الاسلامية صدر سنة ١٣٩١ الموافقة لسنة ١٩٧١ للميلاد .

١٨ ـ مفتريات على الاسلام صدر سنة ١٣٩٢ الموافقة لسنة ١٩٧٢ للميلاد .
١٩ ـ من أجل الشباب ـ صدر سنة ١٣٩٥ الموافقة لسنة ١٩٧٥ للميلاد .
٢٠ ـ كرائم النساء ـ صدر سنة ١٣٩٧ الموافقة لسنة ١٩٧٧ للميلاد .
٢١ ـ الشباب ـ دراسات ولقاءات صدر سنة ١٣٩٩ الموافقة لسنة ١٩٧٩ للميلاد .
٢٢ ـ نساؤنا ونساؤهم تكريم الاسلام للمرأة المسلمة صدر سنة ١٣٩٩ الموافقة لسنة ١٩٧٩ للميلاد .
٢٣ ـ عقود التأمين بين الاعتراض والتأييد صدر سنة ١٤٠٠ الموافقة لسنة ١٩٨٠ للميلاد .
٢٤ ـ نحو تربية اسلامية صدر سنة ١٤٠٠ الموافقة لسنة ١٩٨٠ للميلاد .
٢٥ ـ الأمة الواحدة ـ صدر سنة ١٤٠١ الموافقة لسنة ١٩٨١ للميلاد .
٢٦ ـ يسألونك ـ صدر سنة ١٤٠٣ الموافقة لسنة ١٩٨٣ للميلاد .
٢٧ ـ نساء وقضايا ـ صدر سنة ١٤٠٤ الموافقة لسنة ١٩٨٤ للميلاد .
٢٨ ـ مأدبة الله في الأرض ـ صدر سنة ١٤٠٤ الموافقة لسنة ١٩٨٤ للميلاد .
٢٩ ـ قضايا معاصرة في محكمة الفكر الاسلامي صدر سنة ١٤٠٦ الموافقة لسنة ١٩٨٦ للميلاد .
٣٠ ـ القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته صدر سنة ١٤٠٦ الموافقة لسنة ١٩٨٦ للميلاد .
٣١ ـ تعليم البنات بين ظواهر الحاضر ومخاطر المستقبل صدر سنة ١٤٠٩ الموافقة لسنة ١٩٨٩ للميلاد .
٣٢ ـ الصحافة في نصف عمود ـ صدر سنة ١٤١٢ الموافقة لسنة ١٩٩٢ للميلاد .

وهناك كتاب شارك أحمد جمال في اصداره وتحقيقه والتعليق عليه هو كتاب أعلام العلماء ببناء المسجد الحرام ، اشترك مع الاستاذ/ عبدالعزيز الرفاعي في تحقيقه والتعليق عليه وقد صدر هذا الكتاب عام ١٣٦٩ الموافقة لسنة ١٩٥٠ ميلادية[1] .

والمتأمل في هذه المكتبة العظيمة من مؤلفات أحمد جمال يرى أن الرجل قد أوقف حياته كلها في الدعوة الى الله فالقرآن الكريم ، والاسلام العظيم ، وقضايا المسلمين هي محور هذه المؤلفات ، هي القاسم المشترك الأعظم الذي جنَّد أحمد جمال قلمه وفكره لايضاحها للناس وشرحها للطلاب ، والدفاع عنها في كل زمان ومكان .

كتب المقالات في الصحف ، ودرَّس الطلاب في الجامعات وألَّف الكتب ونشرها منذ مطلع شبابه الى أن لقي الله تعالى وهو في السبعين من العمر ، وطاف بالدنيا شرقها وغربها ، مشاركاً في المؤتمرات الاسلامية ، في آسيا وافريقيا وأوربا وفي استراليا يلقي المحاضرات ،

---

(١) استقينا هذه المعلومات من العدد الخاص لمجلة الاربعاء عن أحمد محمد جمال الصادر بتاريخ ١٩ ذي الحجة ١٤١٣ .

ويناقش الآراء ، ويعلّق على ما يستمع اليه من آراء ويجيب على أسئلة شباب المسلمين في بلادهم ، وفي ديار الغرب ، الشباب الذين يستمعون الى اعتراضات العلمانيين وتشويهات المضللين من الكتابيين مسيحيين ويهود ، فيجيب بما وهبه الله من قوة الحجة ، وسعة الأفق ، والاحاطة بمشاكل العصر ، وأقوال الفقهاء والمفكرين .

فيشفي الغلة ، ويزيل الغمة ، ويهدي بقدرة الله تعالى الى الحق والى طريق مستقيم .

وكان للمرأة المسلمة وهي نصف المجتمع النصيب الكامل من اهتمامات الاستاذ/ أحمد جمال يرحمه الله ، فدافع عنها ، وأظهر ما خصها به الاسلام من حقوق تحفظ كرامتها وتصون وجهها وعرضها .

وقد أدركته المنية وهو يكتب عن المناهج الدراسية لتعليم البنات ، ويشرح آراء المعلمات ويدلي برأيه فيما يتعرض له البعض منهن من متاعب أو مشكلات .

وكان أحمد جمال يرحمه الله يعيش مشاكل الأمة العربية والاسلامية ، فيجهر بالرأي الجريء وإن خالف به الكثيرين .

ولقد كان من أوائل الكتاب الذين طالبوا باتباع سياسة الأمر الممكن في فلسطين بدلاً من التمسك بالحق الكامل الميؤوس منه .

كان يدعو الى هذا الرأي منذ ربع قرن بعد أن استمع الى الزعيم التونسي الحبيب بورقيبة وهو يتحدث عن تجربته في انتزاع استقلال تونس من الفرنسيين ، نأخذ الممكن ، ونطالب بالباقي طالما أننا لا نستطيع أن نأخذ حقنا كاملاً ، وحينما زار السادات القدس وعقد اتفاقية كامب ديفيد التي استرد بها الأرض المصرية من الاسرائيليين كان أحمد جمال من المؤيدين لهذه السياسة ، مع أن الاجماع العربي في ذلك الزمان كان يخالف السادات ، ولكن أحمد جمال بشجاعته في الحق كان يقول للفلسطينيين افعلوا كما فعل السادات ، واسترجعوا مااستطعتم من أرضكم ، ثم طالبوا بالباقي ، بدلاً من الوقوف دون حراك .

كان يتساءل ماذا فعلنا خلال أربعين عاماً .

رفضنا التقسيم فأخذ اليهود أكثر منه .

وحاربنا اسرائيل فخسرنا فلسطين كلها بما فيها القدس ، وخسرنا الى جانبها الجولان وسيناء .

وعاش أحمد جمال يرحمه الله الى أن رأى العرب يتفاوضون مع الاسرائيليين بعد طول امتناع واعتراض .

وكان الى جانب الاهتمام بشؤون المسلمين العرب يهتم بشؤون الناس في بلاده ، فيكتب في الصحف ما يتراءى له من أمور تستحق الاصلاح والالتفات ، أو ما يصله من رسائل

الناس ، ومحادثاتهم الهاتفية ، داعياً الى الاصلاح والتقويم بالكلمة الهادفة والرأي الصائب البعيد عن الاسفاف .

نستطيع أن نقسم مؤلفات أحمد جمال رحمه الله الى أقسام عدة نوجزها فيما يلي :

١ ـ القرآن الكريم وله فيه ستة مؤلفات .
٢ ـ الاسلام وله فيه عشر مؤلفات .
٣ ـ المرأة وله فيها ست مؤلفات .
٤ ـ الشئوون السياسية للعرب والمسلمين وله فيها أربع مؤلفات .
٥ ـ الشباب المسلم وله فيه كتابان .
٦ ـ الشئوون الاجتماعية المحلية وله فيها كتابان .
٧ ـ الشعر وله فيه ديوان واحد .
٨ ـ القصة وله فيها كتاب واحد .

هذا ما تيسر لي الإلمام به من مؤلفات الاستاذ/ أحمد جمال ، وربما كانت له مؤلفات أخرى لم تصل الى علمي كما أنني أرجح أن تكون هناك مؤلفات مخطوطة لم تقدم الى المطبعة بعد ، فقد كان الرجل دائم النشاط كتابة وتدريساً ، وكان يجمع ما يكتب ويقدمه الى المطابع ليقرأه الناس ، والمتتبع لتواريخ طبع مؤلفاته يرى أنها تتواصل عاماً بعد عام ، واذا حدث أن تأخر النشر في بعض الأعوام ، فإن أعواماً أخرى تشهد ظهور أكثر من كتاب واحد ، كما يظهر ذلك من بيان مؤلفاته الذي اثبتناه قبل .

كان الكتاب الأول الذي ظهر لأحمد جمال وهو في الحادية والعشرين من العمر كتاب ماذا في الحجاز ، وهو كتاب يهدف الى التعريف بالحجاز وما يأخذ به من أسباب النهضة ومواكبة العصر ، وهذا الكتاب لم يتح لي الاطلاع عليه ، وقد وصفه الاستاذ/ عبدالعزيز الرفاعي بأنه كتاب اعلامي ، ولا غرابة في أن يكتب أحمد جمال معرِّفاً ببلده ، فقد كان الناس في البلاد العربية الأخرى لا يعرفون عن بلادنا إلا النذر اليسير لم تكن صحفنا مقروءة في خارج بلادنا ، ولم يكن لدينا من الصحف إلا أقل من أصابع اليد الواحدة ، وكأن الشاب أحمد جمال الممتلىء حباً لبلاده أراد أن يقدم للناس صورة مشرفة عنها ، فكتب كتابه ماذا في الحجاز .

ومارس أحمد جمال نظم الشعر في بداية حياته ونشر ديوانه الطلائع ، وهو في الثالثة والعشرين من العمر ، وكانت هذه البداية تبشر بميلاد شاعر متمكن يجمع بين حرارة العاطفة والعلم باللغة ، وتصريف الكلمات ، ولكن أحمد جمال انصرف عن الشعر الى المهمة العظمى التي هيأ لها نفسه ، والتي سخره الله تعالى لها والتي عمل فيها الى أن توفاه الله تعالى .

وحينما أعاد طبع ديوانه الأول والوحيد بعد أكثر من ثلاثين عاماً من اصداره اختار له عنواناً جديداً هو ـ وداعاً أيها الشعر .

كما مارس أحمد جمال نظم الشعر في بداية حياته ، مارس كتابة القصة فصدر له وهو كذلك في الثالثة والعشرين من العمر كتابه القصصي سعد قال لي :

انصرف أحمد جمال عن الشعر وعن القصة ، وغيرهما من فنون الأدب ليتفرغ للكتابة عن القرآن الكريم بعد أن حفظه ، وتلقّى تفسيره في المسجد الحرام ، ثم عكف على دراسة كتب المفسرين ، فألمَّ بآرائهم ، وأضاف اليها اجتهاداته الخاصة فظهرت مؤلفاته الاولى ، « على مائدة القرآن » وهو دون الثلاثين من العمر ، ثم انتهى به الأمر أن يُختار مدرساً لمادة تفسير القرآن الكريم في جامعة أم القرى بمكة المكرمة .

وكان قد سبق اختياره مدرساً للثقافة الاسلامية في جامعة الملك عبدالعزيز حين تأسيسها عام ١٣٨٧ ، وهو في الرابعة والأربعين من العمر .

وأود أن أقف قليلاً مع القارىء لنرى كيف اختير أحمد جمال مدرساً في جامعتين من أكبر جامعات المملكة ومؤهله الدراسي الشهادة الابتدائية ، ودراسة عام واحد في المعهد العلمي السعودي ، وبتعبيراً آخر وهو متخرج من السنة الاولى الاعدادية ، كما هو الاصطلاح في الوقت الحاضر . . . ؟

وأجيب على هذا السؤال بتساؤل آخر : كيف كان علماء المسلمين الذي نبغوا في شتى فنون العلم والأدب وألفوا فيها المؤلفات العظيمة التي لازالت تتدارسها الأجيال جيلاً بعد جيل . . . ؟

هل كانت هناك جامعات يدرسون فيها ويقدمون فيها الرسائل التي تمنح الماجستير والدكتوراة . . . ؟

لم يكن شيء من هذا ولا ذاك كما هو معلوم ، ولكن كان هناك أساتذة يتلقون العلم على أيديهم ، وكانوا الى جانب هؤلاء الأساتيذ يقرأون ويبحثون ، يهبون أنفسهم للعلم ، ويفرغون أنفسهم لتحصيله ، فاذا بلغ الواحد منهم الحدَّ الذي يرى فيه مشايخه أنه تأهَّل لتعليم الناس أجازوه ، فجلس يعلِّم كما تعلَّم .

ولكن أحمد جمال اذا استثنينا دراسته على السيد علوي المالكي يرحمه الله في المسجد الحرام ، فانه لم يتلق العلم عن المشايخ وانما تلقاه عن ائمة المفسرين والفقهاء فقرأ كتبهم وأطال النظر فيها ، وأضاف اليها ما هداه الله اليه من آراء كشف عنها العلم ، أو ظهر لها معانٍ جديدة مع تغير الزمان ، ان القرآن الكريم كتاب معجز بكل ما تحمله الكلمة من معنى ، وفي آياته الكريمات من المعجزات ما يظهر مع توالي العصور ، واني أقص هنا ما حدث لي شخصياً مع آية من آيات الكتاب العظيم ،كنت كلما تلوت قوله تعالى في سورة آل عمران :

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[1] .

كنت كلما تلوت هاتين الآيتين الكريمتين أو سمعتهما وددت أن أعرف كيف يخرج الحي من الميت ، ويخرج الميت من الحي ، ورجعت الى كتب المفسرين قديمهم وحديثهم فوجدت أنهم يفسرون خروج الحي من الميت بالحبة من القمح تغرس في الأرض فتنبت الشجرة ، والنخلة من النواة ، والبيضة من الدجاجة ، والمؤمن من الكافر[2] .

وكنت أقول في نفسي ان المعنى أعمق وأكبر من ذلك مع اكباري لسادتنا العلماء الأجلاء .

وظل المعنى يدور في ذهني زمناً ، وأخيراً تذكرت وأنا أفكر في الأمر أن التفسير قائم بين أيدينا في كل يوم . . . ؟

ألا يؤخذ القلب من الميت فيزرع في جسم الحي ، فيمشي به بين الناس . . . ؟ ألا تؤخذ الأعضاء الأخرى من الموتى فتزرع في أجسام الأحياء ، أليست عمليات زراعة القلوب والأعين ، والكلى ، والكبد ، عمليات يومية تجري في مستشفيات الدنيا كلها كل يوم بل كل ساعة أليس هذا هو التفسير لاخراج الحي من الميت ، واخراج الميت من الحي . . . ؟

تبارك الله وتعالى ما أعظم كتابه ، وما أعجب آياته ، وما أجلّ معجزاته . . . ؟

ان القرآن الكريم كما ذكرت كتاب معجز تتجدد آياته مع كرِّ الزمان ، فيظهر له في كل زمان معنى لم يكن معروفاً للناس في زمان سابق ، بل ان كرَّ الأيام يزيد هذه المعاني جلاءاً ، ولقد توصل الطب بقدرة الله تعالى الى استبدال الأعضاء التالفة في جسم الانسان الحي باعضاء من أجسام الموتى ، فكان هذا التفسير أكثر جلاءاً ووضوحاً ، ولم يك هذا التفسير ميسوراً في الزمن السابق لتوصل الطب الى هذه الانجازات ، ففسره المفسرون بما ذكرنا من خروج الزرع من الحبة والبيضة من الدجاجة ، مما أشرنا اليه قبل ، ولقد أشرت الى هذا المعنى في بعض شعري حيث قلت :

يمضي الزمان ويبقى سر معجزه	سَحَرَ العقول تقرَّاهُ الالبَّاءُ
في كل يوم له معنى يجدِّدُه	كرُّ الزمان وتبقى منه أشياءُ

ولا أريد أن أطيل في هذا المعنى ولكني أرجو أن يوفقني الله تعالى الى التأمل في بعض آيات القرآن الكريم ، وأن يهديني الى معانيها وأسرارها ، ويوفقني الى كتابة ما يهديني الله اليه واذاعته للقارئين .

---

(١) سورة آل عمران الآيات ٢٦ ، ٢٧ .

(٢) انظر موجز تفسير المفسرين في صفوة التفاسير ص ١٩٤/ ١٩٥ الجزء الأول .

ونعود بعد هذا الاستطراد الى ترجمة الاستاذ/ أحمد محمد جمال فنثبت هنا بعض ما كتبه في تفسير بعض آيات القرآن الكريم نقلاً عن كتابه « مأدبة الله في الأرض » .

(مأدبة الله في الأرض)

يقول الاستاذ/ أحمد جمال في تفسيره للآية الكريمة : ﴿ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشاءُ بِغيرِ حِسَابْ ﴾ مايلي :

وهناك حقيقة آلهية أخرى في قوله عز وجل « وترزق من تشاء بغير حساب » يقول بل هو مظهر آخر للقدرة الآلهية والمشيئة الآلهية أيضاً . وهو مثار جدل وشكوى بين الناس في كل زمان ومكان بل ربما كان محل اعتراض واستنكار من بعضهم ، لأنهم يرون غنياً فاسقاً وفقيراً صالحاً ، ويتساءلون : لماذا لا يفتقر الفاسق . . . ؟ أو لماذا لا يستغني الصالح . ؟ ويكرر القرآن هذا المعنى أو هذه الحقيقة الآلهية لأن الناس يتكرر اعتراضهم عليها ويتكرر عجبهم منها في قوله تبارك وتعالى في آيات متعددة منها .

﴿ وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[1] .

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ آلرِزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيرا ﴾[2] .

﴿ اللهُ يَبْسُطُ الرِزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبادِه وَيَقْدِرُ لَه إِنَّ اللهَ بِكُلِ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[3] .

﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ آلرِزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[4] .

يقول الاستاذ/ أحمد جمال :

ونجد هذا المعنى في سورة الروم والرعد والقصص والشورى والزمر ونلاحظ أن الله عز وجل في سورة الشورى يبين حكمته في قسمته للأرزاق بين عباده قبضاً وبسطاً حيث يقول :

﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللهُ آلرِزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْاْ فِي الأَرضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بصيرٌ ﴾ .

ويؤكد نفس الحكمة في آية الاسراء السابقة :

﴿ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصيراً ﴾ .

وفي آية العنكبوت :

﴿ إِنَّ اللهَ بِكُلِ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

---

(١) البقرة آية ٢٤٥ .
(٢) الاسراء آية ٣٠ .
(٣) العنكبوت آية ٦٢ .
(٤) سورة سبأ آية ٣٦ .

وفي آية سبأ :

﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاس لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ .

ويأتي الحديث القدسي فيزيد القضية بياناً :

« ياعبادي ان منكم من أغنيته ،ولو أفقرته لفسد حاله ، وان منكم من أفقرته ولو أغنيته لفسد حاله »[1] .

أقول : وهكذا نرى أن بسط الرزق أو تقتيره على الناس هو لحكمة ارتضاها الخالق جل وعلا فهو أعلم بعباده ، وأعلم بما يصلحهم وما يفسدهم .

ويقول في تفسير قوله تعالى :

﴿ وَمِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[2] .

يقول بعد استعراض أقوال المفسرين ومناقشتها مايلي :

ونحن نلمس هذا السكن مع آثاره من المودة والرحمة بين الزوجين ، فيما نراه من ايثار الرجل للمرأة على أهله من أبوين وأخوة ، وايثار المرأة للرجل على أهلها كذلك .

ان كلا منهما يحن الى زوجه أكثر مما يحن الى أبويه واخوته . .

ويعارض هذا « الواقع » الزوجي بين المرأة والرجل ما جاء في القرآن الكريم وحديث النبي صلى الله عليه وسلم من مطالبة الأبناء ببر الآباء ربما يؤكده بطريق غير مباشر لأنه يعني التحذير من طغيان العاطفة الزوجية على حق الآباء في برِّ الأبناء .

كذلك ما أسرع كلا من الزوجين اذا ظلم رفيقه أو أخطأ في حقه الى الندم ثم المصالحة والرضا بكلمة أو همسة ، ونسيان ما حدث من خطأ أو ظلم في لمح البصر .

ولا يكون ذلك على هذه الصورة السريعة بين الآباء والأمهات ، ولا بين الاخوة ، ولا بين البنات والأمهات[3] .

أقول : وكأنَّ الله تعالى قد أودع في نفوس الزوجين ما أودع من المحبة والايثار ، أراد أن ينبه الأولاد الى حقوق الآباء والأمهات حتى لا تطغى العاطفة الزوجية على عاطفة البنوة ، فشدَّد الحرص على البر بالآباء والأمهات .

وقال في تفسير قوله تعالى من سورة الرحمن : ﴿ يَسْئَلُهُ مَنْ فِي آلسَّمواتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ فَبِأَيِّ ءَالاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ .

---

(١) مادبة الله في الأرض ٦٩/٧١ .

(٢) سورة الروم آية ٢١ .

(٣) مادبة الله في الأرض ٨٤/٨٥ .

كل المخلوقات تتوجه إليه عز وجل في كل لحظة بلسان مقالها ، أو لسان حالها على اختلاف لغاتها وكلماتها ، تسأله الغنى من فقر أو الشفاء من علّة ، أو الاستقواء من ضعف ، أو الاقتدار من عجز ، ويسأله العقيم ولداً ، والأرملة عائلاً ، والعانس زوجاً ، ويسأله المظلوم ناصراً ، والحائر هدى .

فكل يوم هو في أمر جديد من أمور خلقه ، وقد ورد أن الرسول صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ .

فقالوا : وما ذاك الشأن يارسول الله . . ؟

قال : « أن يغفر ذنباً ، ويفرج كرباً ، ويرفع قوماً . ويضع آخرين »[1] .

ويقول في وصف الموت وسكراته :

الموت بداية اليقظة . بداية معرفة الحقيقة التي نسيها أو جهلها الانسان ، وبداية الحساب على ما قدَّم من خير أو شر ، فاذا نفخ في الصور ، واستيقظ اليقظة الكبرى ، كان الحساب الأكبر والجزاء الأوفر ، فريق في الجنة وفريق في السعير[2] ويقول في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلعَالَمِين ﴾ .

فهو صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين في الدنيا بما حمل الى الناس من نور وهدى فأنقذهم من الضلال والكفر ، ورحمة للعالمين في الآخرة بما يشفع لأهل المعاصي فيخرجون من النار ويدخلون الجنة[3] .

ونكتفي بهذه الأمثلة التي نقلناها من كتاب مأدبة الله في الأرض ، وأود أن يقرأ القارىء كتب الاستاذ/ أحمد جمال ، ويتأمل ما جاء فيها في تفسير بعض الآيات الكريمات فإن ذلك أبلغ وأنفع .

مذكرات أحمد جمال :

للاستاذ/ أحمد جمال يرحمه الله مذكرات بعضها منشور وبعضها مخطوط ، وقد تفضل نجله الكريم الاستاذ/ رجاء باطلاعي عليها ، وفي هذه المذكرات يتحدث عن مسيرته الأدبية ، كما يتحدث عن مسيرته كأستاذ للثقافة الاسلامية في جامعتي الملك عبدالعزيز وجامعة أم القرى ، وعن أمور أخرى كثيرة كأدب المرأة وتوظيفها والأعمال التي تمارسها والتي لا يرى أنها صالحة لها ، والاسئلة التي كانت توجه اليه من بعض الصحفيين أو من بعض الصحف واجابته عليها .

---

(١) مادبة الله في الارض ٨٩/ ٩٠ .

(٢) مادبة الله في الارض ١٠٣ .

(٣) مادبة الله في الارض ١٢٥/ ١٢٦ .

وتحدَّث كذلك عن رحلاته الى أقطار الدنيا المختلفة ، داعياً الى الله تعالى مع الدعاة في المؤتمرات الاسلامية التي حضرها ، وكيف رأى أن من الضروري للداعية اتقان مخاطبة الناس ارتجالا ، وانه بدأ تدريب نفسه على ذلك سنة ١٣٧٧هـ ، في أول رحلة له الى باكستان تلبية لدعوة تلقاها من جامعة البنجاب للمشاركة في الندوة العالمية للاسلاميات[١] .

ثم تحدث عن الموضوعات التي أثيرت في مؤتمرات أخرى كثيرة وأبدى رأيه فيما تم التطرق اليه من بحوث ورَدُّهُ على من يخالفونه الرأي وهي موضوعات هامة ويجدر بالقارىء أن يقرأها بنفسه لأن تلخيصها لا يقدم الصورة الكاملة عنها .

وفي المذكرات مراسلات دارت بينه وبين بعض كبار المسؤولين على جانب كبير من الأهمية لما تضمنته من آراء ومناقشات يستقطب بعضها اهتمام الناس ويدور تساؤلهم حولها .

وقد استوقف نظري في مذكراته الأدبية التي نشرت مسلسلة في مجلة المنهل بعض الحوادث والطرائف أنقلها .

فمن الحوادث التي تعرض لها وزملاؤه في المعهد السعودي انهم أصدروا مجلة خطية سمَّوها الأمل اشترك في اصدارها الطلاب إذ ذاك في المعهد العلمي السعودي ،عبدالعزيز الرفاعي ، وسراج مفتي ، وعبدالقادر جان ، وعبدالعزيز الربيع ، وسراج خراز وعلي غسَّال ، وغيرهم .

وكان الطلبة ينشرون في هذه المجلة الخطية الكلمات والقصائد من انتاجهم ، يقول أحمد جمال في مذكراته : فاذا بنا نفاجأ بطلب من الشرطة لكل واحد منا في بيوتنا مما أفزع آباءنا وأمهاتنا ، وذهبنا الى مقر الأمن العام فيما كان يسمى ـ الحميدية ـ على عهد مهدي بك ، وكان رجلا مهيباً يرحمه الله ، واقتادونا الى غرفة القسم العدلي ، وكان يرأسه طلعت وفا يرحمه الله ، وهناك أخذ منا تعهداً بعدم اصدار المجلة ، وألَّا كان جزاؤنا شديداً فقلنا سمعنا وأطعنا[١] .

واذا كانت هذه الحادثة قد انتهت نهاية سليمة فإن الحادثة التالية لم تكن كذلك فقد نشر بعض القصص القصيرة في مجلة الرابطة الاسلامية التي كانت تصدر بالقاهرة سنة ١٣٦٨هـ ، وكانت هذه القصص بعنوان « صور من المستشفى » وكانت هذه القصص تصور حالات من اهمال الأطباء ومعاناة المرضى ، وبسبب هذه القصص سجن سبعة أيام في السجن الاحتياطي بأجياد .

ويقول أحمد جمال ، وقد حظيت في السجن بزيارة كبار القوم من العلماء والوجهاء . أمثال السيد محمد أمين كتبي ، والشيخ سليمان الصنيع وكلاهما من العلماء ، والشيخ بكر حمدي من

---

(١) مجلة المنهل العدد ٤٤٩ الربيعان ١٤٠٧هـ .
(٢) مجلة المنهل الحلقة السادسة من المذكرات .

كبار موظفي رئاسة القضاة وهو زوج أخت أحمد جمال ، كما أنه أطلق من السجن بعد توسط الشيخ عمر بن حسن رئيس عام هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لدى الملك عبدالعزيز ، وكان عمر بن حسن يعطف عليه كثيرا ، وكان يحثه دائماً على الاستمرار في طريقه الذي يسير فيه نحو العمل الاسلامي[١] .

الرقابة على الصحف :

ومن الطرائف التي تضمنها المذكرات الحديث عن الرقابة على الصحف وقد جاء فيها ما يلي :

وذكر الاستاذ/ الأنصاري في مقدمتهم ـ مراقبي الصحف ـ الشيخ حسين عبدالغني يرحمه الله ، وقال انه كان يضيف عبارات من عنده بين سطور المقالات والقصائد المراد نشرها في جريدة أم القرى التي يتولى الاستاذ/ الأنصاري رئاسة تحريرها مابين سنة ١٣٥٩هـ وسنة ١٣٦٩هـ ، وأنه كان متشدداً جداً .

ومما عاناه الأنصاري من شدته أنه كان يشطب من المقالات جملة السعادة الاجتماعية ويعلل تصرفه بقوله في هامش المقال أنه ليس هناك سعادة في الدنيا وأن السعادة في الآخرة .

كما أضاف ذات مرة في قصيدة للشيخ / أحمد ابراهيم الغزاوي كان قد ألقاها في احتفال لجلالة الملك عبدالعزيز يرحمه الله أضاف جملة (بإذن الله) بعد كل عبارة بها ـ سنعمل ، سنضع ، سنقوم .

ونشر الاستاذ/ الأنصاري القصيدة بهذه الاضافات الشاذة التي اضطرب لها وزن القصيدة متعمداً اثارة الشيخ الغزاوي ، وفعلاً كان له ما أراد وأسرع اليه مستنكراً[٢].

الكاتب الاسلامي :

ومما جاء في هذه المذكرات أن أحمد جمال كان يدعو الله تعالى بعد طوافه بالبيت الحرام أن يجعله أديباً اسلامياً مثل مصطفى صادق الرافعي[٣].

آدم وحواء :

ومن الملاحظات الدقيقة التي وردت في المذكرات انتقاده لبعض الصحف المصرية ، بل لبعض كتابها البارزين استعمال اسمي آدم وحواء رمزاً للخطيئة بين الرجل والمرأة ، أو للمناكفة بين الزوج والزوجة ، يقول أحمد جمال بعد أن أورد نماذج مما نشره بعض كبار الكتاب المصريين مبدياً رأيه يقول :

---

(١) مجلة المنهل الحلقة الثالثة من المذكرات .
(٢) الذكريات ـ مجلة المنهل الحلقة الخامسة .
(٣) مجلة المنهل ـ الحلقة الثالثة عن الذكريات .

تفعل ذلك بعض الصحف والمجلات المصرية ازاء آدم عليه السلام ، بينما هو رمز التجلة والتكريم بما أسجد الله له ملائكته ، ورمز الرفعة والمعرفة بما علّمه الله من أسماء خلقه ، ورمز الأفضلية والأولية بما جعل الله له من استاذية في السماء وخلافة في الأرض ، والذين يكتبون التفاحة المحرمة ، وخروج آدم وحواء من الجنة بسببها أجهل الجهلاء وأسفه السفهاء ، وان حملوا أرقى الشهادات وتزيوا بزي العلماء والعقلاء[1].

وأكتفي بهذا القدر من التعليق على الذكريات الأدبية التي تضمنتها مذكرات الاستاذ/ أحمد جمال ، وأرجو أن يوفق ابناءه الكرام الى جمع هذه المذكرات على اختلاف مواضيعها ، ونشرها في كتاب ليتاح لقرائه الكثيرين الاستمتاع بها ومعرفة بعض الامور الهامة أو الطريفة في حياة الكاتب وعمله ، وفقهم الله لذلك وأعانهم عليه .

وفاة أحمد جمال :

توجه أحمد جمال الى القاهرة بصحبة شقيقه محمود في أوائل شهر ذي الحجة ، وكان قد انقطع عن زيارة القاهرة ست سنوات ، وفي ليلة التاسع من ذي الحجة أخبر مرافقيه انه سيصبح صائماً وضبط جرس الساعة في غرفته ليستيقظ قبل الفجر ، ليصلي لله تعالى في جوف الليل كما هي عادته دائماً .

واستيقظ أخوه على صوت الجرس الذي قرع طويلاً ، فأسرع الى غرفة أخيه ودعاه فلم يجب وحركه فلم يتحرك . واستدعى الطبيب ، فقال : لقد توفاه الله .

هكذا انتهى أحمد جمال وهو على نية الصلاة في الليل وصيام يوم عرفة ،فيا لها من خاتمة سعيدة لجهاد طويل في الدعوة الى الله .

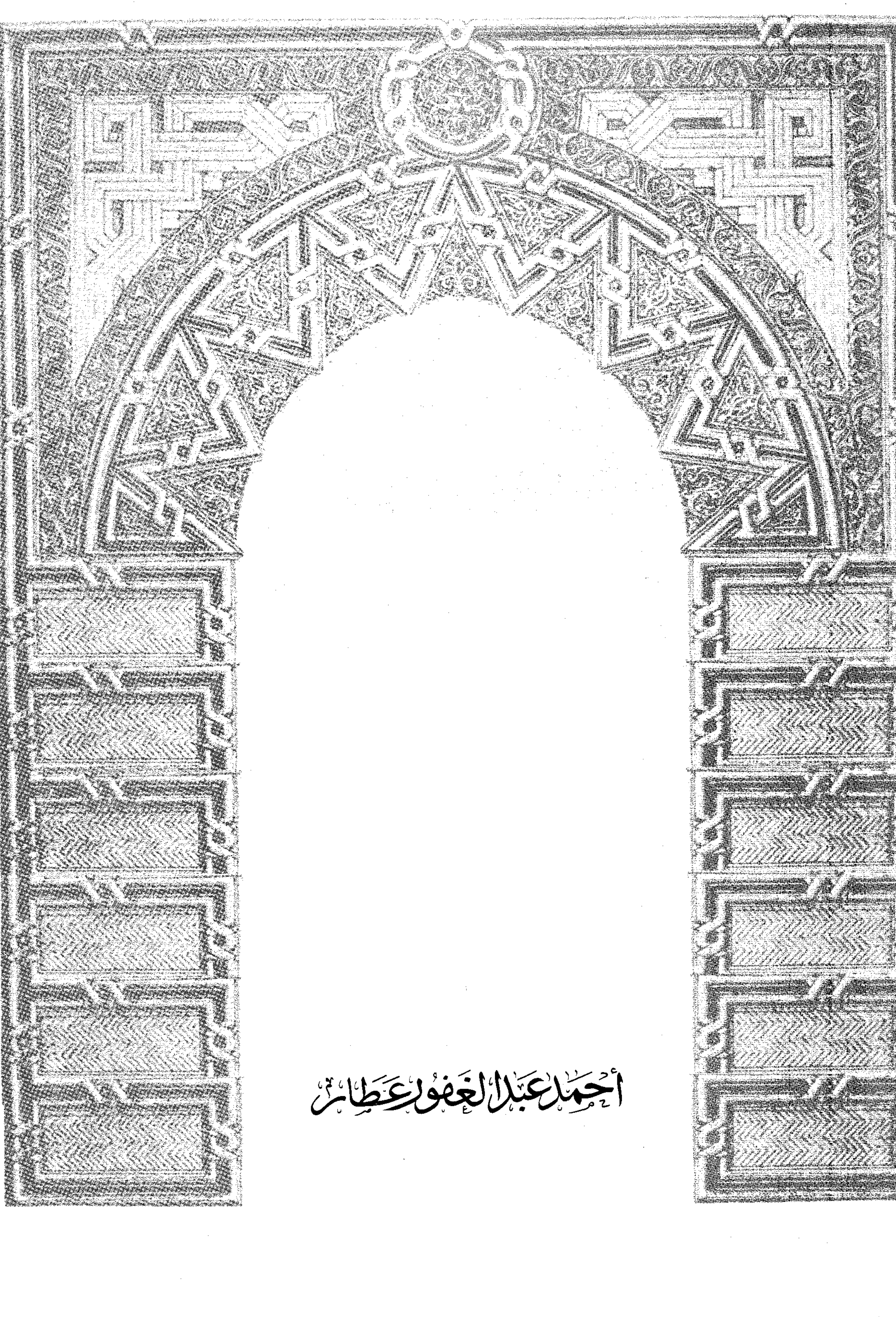
وكان لوفاته المفاجئة صدى أليم في نفوس الكثيرين من الناس الذين ذهلوا للنبأ وسارع البعض الى التأكد وكأنهم يرجون أن لا يكون صادقاً ، ولكنها ارادة الله وقضاؤه ولا راد لما قضاه الله .

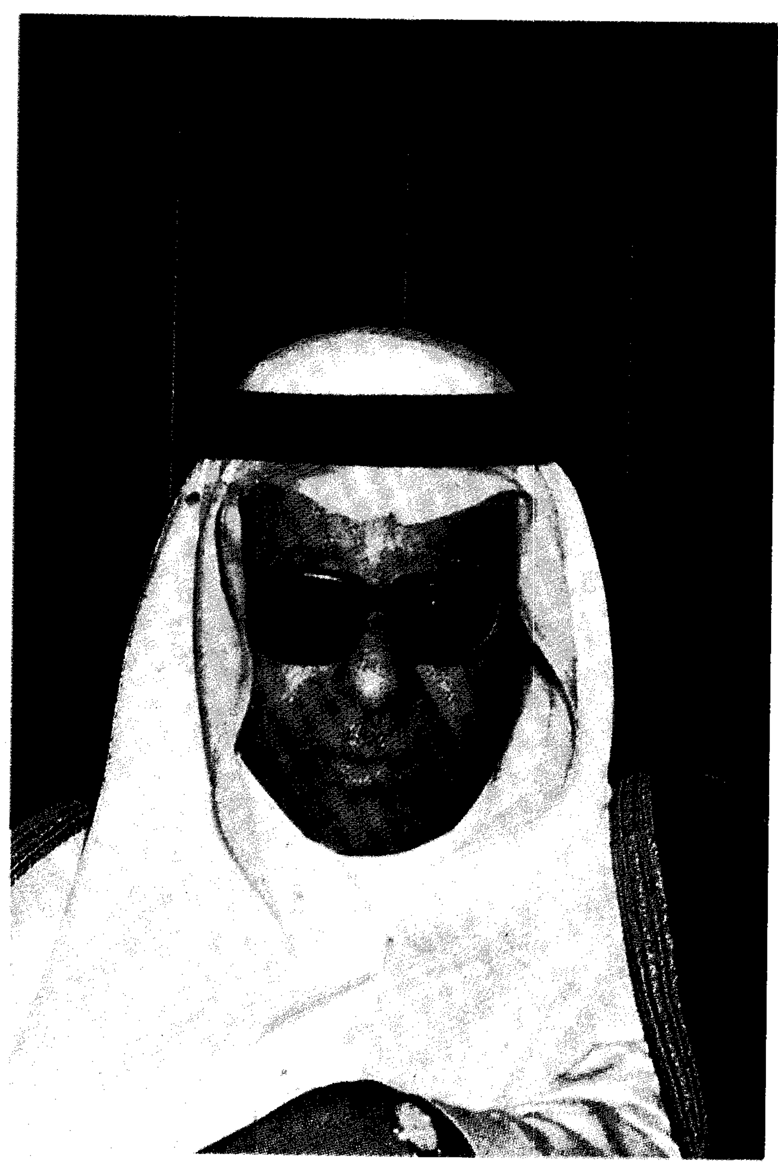
نُقل جثمان أحمد جمال في طائرة خاصة بأمر من خادم الحرمين الشريفين ، ووصل الى مكة مساء يوم التاسع من ذي الحجة ١٤١٣ ، وصُلي عليه في المسجد الحرام بعد صلاة الفجر ، ودفن في مقبرة المعلاة .

فإلى رحمة الله وعفوه . والى رحاب جناته ، انه سميع مجيب .



(١) مجلة المنهل ـ الحلقة التاسعة والعشرون من الذكريات .


أحمد عبد الغفور عطار



أحمد عبدالغفور عطار

أحمد عبد الغفور عطار

أسمر اللون ، شديد السمرة ، نحيل البدن ، متوسط القامة ، واسع العينين يضع على عينيه نظارة سوداء بعد أن كبرت سنه وقصر نظره يرتدي ملابس بيضاء ويضع على رأسه غترة وعقالاً .

ولد بمكة المكرمة سنة ١٣٣٧هـ ، وتلقى دراسته بها ، وتخرج من المعهد العلمي السعودي بمكة ، وابتعث الى مصر للدراسة ، ولكنه لم يتمَّ دراسته في مصر وأعيد الى مكة المكرمة ، على أثر وشاية وشيت عنه وسجن في مكة ، ثم نفي الى الرياض وسجن في سجن المصمك لعدة شهور ، وقد ألف العطار كتاباً عن هذه الواقعة سماه « بين السجن والمنفى » سأتحدث عنه فيما بعد .

استقر به المقام في مكة المكرمة وعمل موظفاً في الوظائف الحكومية لعدة سنوات ، أذكر منها وظيفته في ادارة الأمن العام .

ولكن العطار الذي عشق البحث والكتابة ، والذي حكمت عليه الأيام بالابتعاد عن الدراسة الأكاديمية المنتظمة لم يثنه ذلك عن مواصلة البحث والدرس ، والكتابة والتأليف فاستقال من الوظائف الحكومية وفرَّغ نفسه للبحث والتأليف فألَّف ما يقرب من مائة كتاب .

أول مؤلفات العطار :

ألَّف العطار كتابه الأول وهو مجموعة مقالات سماه « كتابي » وتم طبع هذا الكتاب بمطبعة أم القرى في مكة المكرمة على نفقة صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن عبدالعزيز ـ الملك فيصل فيما بعد ـ وكان الأمير فيصل يعطف على العطار ويشجعه منذ أن كان تلميذاً بالمعهد العلمي السعودي بمكة المكرمكة[1] .

---

(١) بين السجن والمنفى ص ١٥

ومما أذكره عن هذا الكتاب أن العطار يرحمه الله أوكل أمر توزيعه الى الشركة العربية للطبع والنشر بمكة المكرمة التي كان الشيخ محمد سرور الصبان يرحمه الله قد أسسها ، وكنت أشرف على أعمالها بحكم عملي لديه .

وجاء العطار من مصر ، وحضر الى مكتب الشيخ محمد سرور الصبان يرحمهما الله جميعاً ، ورأيته لأول مرة في عام ١٣٥٦هـ شاباً صغير السن وسأل عن كتابه « كتابي » وكان غاضباً لأن شركة الطبع والنشر لم تحسن تسويقه كما قال لي إذ ذاك .

وكان الكتاب يفتقر الى الكثير من مقومات النجاح ، فهو أول كتاب ألَّفه العطار وماذا ينتظر من مقالات يكتبها شاب حديث السن في الخامسة عشرة من العمر . . ؟ هل سيقبل الناس على شرائه ، وقراءته ، ولم يظهر اسم الكاتب بعد ، ولم يعرف عنه الاجادة . . . ؟

قلت له انك قد حضرت فلْتتولَّ أنت أمر التسويق والنشر .

وأود أن أذكر هنا أن العطار الذي ألَّف الكتب الكثيرة في اللغة بعد ذاك والذي أخرج معجم الصحاح كان كتابه الأول يحتاج الى تصحيح بعض ما جاء فيه من اللغة والاعراب ، وليس ذلك ليعيب العطار ، فقد كانت بدايته متحمسة متعجلة ولكنه لم يلبث أن استدرك ما فاته ، واستكمل عدته ، فكان منه الأديب الضليع لغة وفكراً وأسلوباً وعلماً ، وبعد هذه المقدمة نذكر ثبت مؤلفاته كما أوردتها جريدة المدينة المنورة بعد وفاته .

أعمال ومؤلفات العطار :

أ ـ كتب نفدت :

١ ـ كتابي ـ مجموعة مقالات ، طبع بمطبعة أم القرى بمكة المكرمة حرسها الله سنة ١٣٥٤هـ الموافقة ١٩٣٤م .

٢ ـ محمد بن عبدالوهاب : الطبعة الاولى ـ القاهرة سنة ١٣٦٢هـ (١٩٤٣م) ، الطبعة الثانية ـ القاهرة سنة ١٣٧٦هـ (١٩٥٦م) ، الطبعة الثالثة ـ بيروت ، سنة ١٣٨٧هـ (١٩٦٧م) .

٣ ـ محمد بن عبدالوهاب : (كتاب جديد غير السابق) الطبعة الاولى بيروت ٣٠ ذي الحجة ١٣٩١هـ (٨ يناير ١٩٧٢م) ، الطبعة الثانية بيروت ٢٠ ذي الحجة ١٣٩١هـ (٤ فبراير ١٩٧٢م) ، الطبعة الثالثة بيروت ١٠ محرم ١٣٩٢هـ (٢٤ فبراير ١٩٧٢م) ، الطبعة الرابعة بيروت ٥ رجب ١٣٩٢هـ (٤ أغسطس ١٩٧٢م) ، الطبعة الخامسة بيروت سنة ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م) .

٤ ـ محمد بن عبدالوهاب : (باللغة الأردية ترجمة العلامة الشيخ محمد صادق خليل) الطبعة الاولى لاهور (باكستان) ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م) .

٥ ـ الهوى والشباب : (ديوان شعر) الطبعة الاولى ـ القاهرة سنة ١٣٦٥هـ (١٩٤٧م) .
٦ ـ الخراج والشرائع : الطبعة الاولى ـ القاهرة سنة ١٣٦٥هـ (١٩٤٦م) .
٧ ـ أريد أن أرى الله (مجموعة قصص) الطبعة الاولى القاهرة سنة ١٣٦٦هـ (١٩٤٧م) ، الطبعة الثانية بيروت سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) .
٨ ـ المقالات : الطبعة الاولى ـ القاهرة سنة ١٣٦٦هـ (١٩٤٧م) .
٩ ـ الهجرة : (مسرحية) الطبعة الاولى ـ القاهرة سنة ١٣٦٦هـ (١٩٤٧م) الطبعة الثانية (ضمن مجموعة بحوث تحت عنوان الهجرة) بيروت ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) .
١٠ ـ صقر الجزيرة : (٣ أجزاء) الطبعة الاولى القاهرة سنة ١٣٦٦هـ (١٩٤٦م) ، الطبعة الثانية جدة سنة ١٣٨٥هـ (١٩٥٦م) ، الطبعة الثالثة (ثلاثة أجزاء في مجلد واحد) جدة سنة ١٣٨٥هـ (١٩٦٥م) .
١١ ـ البيان (نقد أدبي) : الطبعة الاولى ـ القاهرة سنة ١٣٦٩هـ (١٩٤٩م) .
١٢ ـ الزنابق الحمر (مسرحية لطاغور ، مترجمة عن البنغالية) : الطبعة الاولى القاهرة سنة ١٣٧١هـ (١٩٥١م) .
١٣ ـ المقدمة (دراسة لمعجم صحاح الامام الجوهري) : الطبعة الاولى (كتبت مقدمة لمعجم « تهذيب الصحاح » للزنجاني) ، القاهرة سنة ١٣٧٢هـ (١٩٥٢م) ، الطبعة الثانية ـ القاهرة سنة ١٣٧٢هـ (١٩٥٢م) .
١٤ ـ قطرة من يراع : الطبعة الاولى ـ القاهرة سنة ١٣٧٥هـ (١٩٥٥م) .
١٥ ـ الصحاح ومدارس المعجمات العربية : الطبعة الاولى ـ القاهرة سنة ١٣٧٥هـ (١٩٥٦م) ، الطبعة الثانية (صدرت مع معجم الصحاح للجوهري تحت عنوان « مقدمة الصحاح ») في جزء مستقل ـ القاهرة ١٣٧٧هـ (١٩٥٧م) ، الطبعة الثالثة ـ بيروت سنة ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م) ، الطبعة الرابعة مع معجم الصحاح للجوهري ، الطبعة الثانية بيروت سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) .
١٦ ـ مقصورة ابن دريد (بحث تاريخي أدبي) : الطبعة الاولى ـ القاهرة سنة ١٣٧٦هـ (١٩٥٦م) .
١٧ ـ الاسلام والشيوعية : الطبعة الاولى ـ القاهرة سنة ١٣٧٧هـ (١٩٥٦م) ، الطبعة الثانية (مزيدة ومنقحة) بيروت سنة ١٣٩١هـ (١٩٧٢م) .
١٨ ـ حرب الأكاذيب : الطبعة الاولى ـ القاهرة سنة ١٣٧٧هـ (١٩٥٧م) ، الطبعة الثانية نشرت بجريدة « عكاظ » الطائف سنة ١٣٨٠هـ (١٩٦٠م) الطبعة الثانية ، نشرت في الطبعة الثانية من كتاب الاسلام والشيوعية ، بيروت سنة ١٣٩١هـ (١٩٧٢م) .
١٩ ـ الفصحى والعامية : الطبعة الاولى القاهرة سنة ١٣٧٧هـ (١٩٥٧م) .

٢٠ ـ عشرون يوما في الصين الوطنية : الطبعة الاولى ـ تايبيه (الصين الوطنية) سنة ١٣٨٣هـ (١٩٦٣م) .
٢١ ـ الشرعية لا القانون : الطبعة الاولى جدة سنة ١٣٨٤هـ (١٩٦٤م) .
٢٢ ـ الاسلام طريقنا الى الحياة : الطبعة الاولى جدة سنة ١٣٨٤هـ (١٩٦٤م) .
٢٣ ـ آراء في اللغة : الطبعة الاولى جدة سنة ١٣٨٤هـ (١٩٦٤م) .
٢٤ ـ كلام في الأدب : الطبعة الاولى جدة سنة ١٣٨٤هـ (١٩٦٤م) .
٢٥ ـ المفتش : (مسرحية لنقولا جوجول) الطبعة الاولى دمشق ١٣٨٥هـ (١٩٦٥م) ، الطبعة الثانية بيروت سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) .
٢٦ ـ الزحف على لغة القرآن : الطبعة الاولى بيروت سنة ١٣٨٥هـ (١٩٦٦م) .
٢٧ ـ الاسلام خاتم الأديان : الطبعة الاولى بيروت سنة ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م) .
٢٨ ـ انسانية الاسلام : الطبعة الاولى بيروت سنة ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م) .
٢٩ ـ اليهودية والصهيونية : الطبعة الاولى بيروت سنة ١٣٩١هـ (١٩٧٢م) .
٣٠ ـ صقر الجزيرة ٧ أجزاء : (وهو غير الكتاب السابق) الطبعة الاولى بيروت سنة ١٣٩٢هـ (١٩٧٤م) .
٣١ ـ ابن سعود وقضية فلسطين : الطبعة الاولى بيروت سنة ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م) .
٣٢ ـ الشيوعية وليدة الصهيونية : الطبعة الاولى بيروت سنة ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م) .
٣٣ ـ الماسونية : الطبعة الاولى بيروت سنة ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م) .
٣٤ ـ عروبة فلسطين والقدس أصيلة منذ عشرات الآلاف من السنين ـ والهيكل لم يكن مقدساً عند سليمان واليهود : الطبعة الاولى بيروت سنة ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م) .
٣٥ ـ حِجَّة النبي صلى الله عليه وسلم : الطبعة الاولى دمشق سنة ١٣٩٦هـ (١٩٧٦م) .
٣٦ ـ مؤامرة الصهيونية على العالم : الطبعة الاولى بيروت سنة ١٣٩٦هـ (١٩٧٦م) الطبعة الثانية (خاصة بوزارة المعارف بالمملكة العربية السعودية) بيروت ١٣٩١هـ (١٩٧٢م) ، الطبعة الثالثة بيروت سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) .
٣٧ ـ بروتوكولات صهيون (مترجم) : الطبعة الاولى بيروت سنة ١٣٩٦هـ (١٩٧٦م) الطبعة الثانية بيروت سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) .

ب ـ كتب محققة نفذت :

٣٨ ـ تهذيب الصحاح : (معجم لغوي) تأليف الامام الزنجاني ٣ أجزاء بالاشتراك مع الاستاذ/ عبدالسلام هارون ـ الطبعة الاولى القاهرة سنة ١٣٧٢هـ (١٩٥٢م) .
٣٩ ـ مقدمة تهذيب اللغة : للامام الأزهري ـ الطبعة الاولى القاهرة سنة ١٣٧٦هـ (١٩٥٦م) .

٤٠ ـ ليس في كلام العرب : للامام ابن خالوية ـ الطبعة الاولى القاهرة سنة ١٣٨٦هـ (١٩٥٦م) .

٤١ ـ آداب المتعلمين ورسائل أخرى في التربية الاسلامية لابن خلدون وغيره ـ الطبعة الاولى القاهرة سنة ١٣٧٦هـ (١٩٥٦م) ، الطبعة الثانية بيروت سنة ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م) .

٤٢ ـ الصحاح : للامام الجوهري ٧ أجزاء (منها المقدمة) الطبعة الاولى القاهرة سنة ١٣٧٧هـ (١٩٥٧م) الطبعة الثانية بيروت ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) .

ج ـ كتب مترجمة للمؤلف ، طبعت حديثاً :

٤٣ ـ محمد بن عبدالوهاب : باللغة الانكليزية ، ترجمة الدكتور راشد البراوي ، الطبعة الاولى مكة المكرمة سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) .

٤٤ ـ محمد بن عبدالوهاب باللغة الأردية : ترجمة الشيخ / محمد خليل صادق الطبعة الثانية مكة المكرمة سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) .

٤٥ ـ انسانية الاسلام : باللغة الانكليزية ـ الطبعة الاولى بيروت سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) .

د ـ كتب صدرت حديثاً : ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) :

٤٦ ـ الكعبة والكسوة منذ أربعة آلاف سنة حتى اليوم : الطبعة الاولى بيروت سنة ١٣٩٧هـ (١٩٧٧م) الطبعة الثانية بيروت سنة ١٣٩٨هـ (١٩٧٨م) .

٤٧ ـ أحكام الحج والعمرة من حجة النبي وعمراته : الطبعة الاولى بيروت سنة ١٣٩٧هـ (١٩٧٧م) .

٤٨ ـ الحجاب والسفور : الطبعة الاولى بيروت سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) .

٤٩ ـ وفاء الفقه الاسلامي بحاجات هذا العصر وكل عصر : الطبعة الاولى بيروت سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) .

٥٠ ـ وفاء اللغة العربية بحاجات هذا العصر وكل عصر : الطبعة الاولى بيروت سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) .

٥١ ـ دفاع عن الفصحى : الطبعة الاولى بيروت سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) .

٥٢ ـ الهجرة : الطبعة الاولى بيروت سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) .

٥٣ ـ الهجرة (مسرحية) : الطبعة الاولى بيروت سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) .

٥٤ ـ جحا يستقبل نفسه : الطبعة الاولى بيروت سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) .

٥٥ ـ ويْلَك آمِنْ (نقد لبعض آراء الشيخ ناصر الدين الألباني) : الطبعة الاولى بيروت سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) .

٥٦ ـ شرح مقصورة ابن دريد ، لابن هشام اللخمي (تحقيق) : الطبعة الاولى بيروت سنة ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م) .
٥٧ ـ الشيوعية والاسلام : الطبعة الثانية بيروت سنة ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م) .
٥٨ ـ اليهودية والصهيونية : الطبعة الثانية بيروت سنة ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م) .
٥٩ ـ الشيوعية خلاصة كل ضروب الكفر والموبقات والشرور والعاهات : الطبعة الاولى بيروت ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م) .
٦٠ ـ الاسلام دين خاص أم عام : الطبعة الاولى بيروت سنة ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م) .
٦١ ـ انحسار تطبيق الشريعة في أقطار العروبة والاسلام : الطبعة الاولى بيروت سنة ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م) .
٦٢ ـ الجوهري : الطبعة الاولى بيروت سنة ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م) .
٦٣ ـ أصلح الأديان للبشرية عقيدة وشريعة : الطبعة الاولى بيروت سنة ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م) .
٦٤ ـ عروبة فلسطين والقدس : الطبعة الثانية مزيدة ومحققة بيروت سنة ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م) .
٦٥ ـ انسانية الاسلام : طبعة ثانية بيروت ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م) .
٦٦ ـ ليس في كلام العرب : الطبعة الثانية مزيدة ومحققة ومفهرسة بيروت سنة ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م) .
٦٧ ـ الديانات والعقائد في مختلف العصور : أربعة أجزاء في أربعة مجلدات ـ الطبعة الاولى بيروت سنة ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م) .

هـ ـ كتب أعيد طبعها :

١ ـ حجة النبي ـ صلى الله عليه وسلم : الطبعة الثانية دمشق سنة ١٣٩٦هـ (١٩٧٦م) .
٢ ـ صقر الجزيرة ٧ أجزاء : الطبعة الثانية بيروت سنة ١٣٩٧هـ (١٩٧٧م) .
٣ ـ محمد بن عبدالوهاب : الطبعة الخامسة بيروت سنة ١٣٩٧هـ (١٩٧٧م) ، الطبعة السادسة بيروت سنة ١٣٩٧هـ (١٩٧٧م) ، الطبعة السابعة بيروت سنة ١٣٩٧هـ (١٩٧٧م) .

و ـ كتب معدة للطبع :

١ ـ المكتبات .
٢ ـ فيصل .
٣ ـ مئة كلمة .

٤ ـ لا أؤمن بالاشتراكية لأني أؤمن بالاسلام .
٥ ـ مع الكتب والمؤلفين .
٦ ـ الأسرة .
٧ ـ نقد كتاب « كشف الظنون » .
٨ ـ مذكرات لارا .
٩ ـ قال بيديا .
١٠ ـ خمس دقائق قبل الفطور .
١١ ـ وراء القضبان .
١٢ ـ ورود من كلام .
١٣ ـ العقاد .
١٤ ـ مسلمة في سيبيريا .
١٥ ـ مع الملوك والرؤساء .
١٦ ـ الأدب الضاحك .
١٧ ـ الرحلات .
١٨ ـ عائشة أم المؤمنين .
١٩ ـ في اللغة .

ز ـ كتب محققة للطبع :
٢٠ ـ الأزمنة ، لقطرب .
٢١ ـ ما أتفق لفظه واختلف معناه ، لابن العميثل .
٢٢ ـ كشف الظنون ، لحاجي خليفة .
٢٣ ـ مجموعة المعاني (مختارات شعرية) طبعة الجوائب .

وقد استلفت نظري أن العطار أعاد تأليف بعض كتبه بمعنى أنه لم يكتف بتأليف الكتاب لأول مرة ، وانما أعاد تأليفه مرة أخرى وينطبق هذا على كتابه محمد بن عبدالوهاب الذي صدرت طبعته الاولى بالقاهرة سنة ١٣٦٢هـ الموافقة لسنة ١٩٤٣م .

فقد أعاد كتابته أو تأليفه مرة أخرى في سنة ١٣٩١هـ الموافقة لسنة ١٩٧٢م أي بعد ثلاثين سنة من تأليف الكتاب لأول مرة .

وكذلك الأمر بالنسبة لكتابه صقر الجزيرة الذي صدرت طبعته الاولى في القاهرة سنة ١٣٦٦هـ الموافقة لسنة ١٩٤٦م فقد أعاد تأليفه مرة أخرى وصدرت طبعته الاولى سنة

١٣٩٢هـ الموافقة لسنة ١٩٧٢م أي بعد أكثر من ربع قرن من تأليفه لأول مرة ويقول العطار في مقدمة الطبعة الاولى لكتابه الجديد مايلي :

هذه الطبعة تختلف عن الطبعات السابقة ، فهي تمتاز عليهن بالتنقيح والزيادة والصور التاريخية ، ومن بينها صور لم يسبق نشرها في أي مؤلف عن صقر الجزيرة[1] والاضافات والتنقيح للمؤلفات حين اعادة طبعها أمر معروف للمؤلفين والقراء خاصة اذا مضى على تأليف الكتاب عشرات السنين . واطلع المؤلف على جديد تحسن اضافته الى ما كتبه أول مرة ، فسجَّله ليضاف في الطبعة الجديدة .

على أي حال فان اعادة التأليف أو اعادة النظر على الأصح في الكتاب بعد تأليفه واضافة ما يستحق الاضافة اليه يدل على أن المؤلف كان دائم البحث في المواضيع التي يتوفر على كتابتها وبحثها .

هذه ملاحظات عابرة رأيت أن أذكرها ونحن أمام هذه المكتبة التي خلفها العطار من المؤلفات والتي يمكن تقسيمها الى :

١ ـ كتب اسلامية تدافع عن الاسلام ضد أضاليل العصر وأكبر هذه الضلالات الشيوعية التي أكرم الله تعالى العالم كله بمشاهدة انهيارها وفضح أكاذيبها بعد أن احتلت العالم إلا القليل حوالي السبعين عاماً ، وللعطار في هذا المجال عشرون كتاباً .

٢ ـ كتب في اللغة تشتمل على تحقيق المعاجم ، وتبويبها وكتابة المقدمات لها ، والدفاع عن اللغة العربية وصلاحيتها لكل عصر ، وللعطار في هذا المجال ستة عشر كتاباً .

٣ ـ كتب أدبية تشمل المقالات والشعر والقصة والنقد والمسرحيات وللعطار في هذا المجال سبعة عشر كتاباً .

٤ ـ الصهيونية واليهود ومؤامراتهم وبروتوكلاتهم ، وهي مشكلة الأمة العربية في هذا القرن ، وللعطار في هذا المجال أربع مؤلفات .

٥ ـ التراجم وللعطار فيها خمس كتب .

وهكذا نرى العطار لم يترك مجالاً من المجالات إلا وشارك فيه بقلمه وبحثه وعلمه فخلَّف للناس مكتبة شاملة تضم الكثير من فنون العلم والأدب والتاريخ والدين .

ولإكمال ثبت مؤلفات العطار أذكرها هنا كتابين أهداهما إليَّ يرحمه الله قبل وفاته ولم أجدهما ضمن ما نشرته المدينة وهما بين السجن والمنفى وقد صدر في مكة المكرمة سنة ١٤٠١هـ الموافقة لسنة ١٩٨١م ، ومحمد رسول الله تحاربه قوى الشر والتخريب ، وقد صدر في عمان سنة ١٤٠٨هـ الموافقة لسنة ١٩٨٨م وأشرفت على طباعته وتصحيحه واخراجه زوجته مزين

---

(١) صقر الجزيرة مقدمة الكتاب ص ٧ .

خالد حقي بعد أن تأثر نظر العطار بعد اصابته بالجلطة وفقد نظره الى أن أكرمه الله بالشفاء جزئياً من هذه الاصابة ، وكانت زوجته تعني به وتقرأ له الصحف والكتب ، ويملي عليها ما يريد كتابته[1].

هذا هو العطار الكاتب المؤلف اللغوي المؤرخ ، الذي تفرَّغ للبحث والدرس والكتابة والتأليف والنشر فترك وراءه مكتبة حافلة في شتى العلوم والفنون والأدب .

جائزة الدولة التقديرية :

وقد منح العطار جائزة الدولة التقديرية في سنة ١٤٠٤هـ[2] وهو يستحقها بكل جدارة وقد تبرع العطار يرحمه الله بقيمة الجائزة في السنة التي منحها فيها للمجاهدين الأفغان وكانت حرب تحرير أفغانستان قائمة على أشدها إذ ذاك .

العطار الصحفي :

أسس العطار جريدة عكاظ سنة ١٣٧٩ ، وحينما تحولت الصحف الى مؤسسات انشئت مؤسسة عكاظ للصحافة وهي من أنشط الصحف اليومية ، تُصْدرُ جريدة عكاظ باللغة العربية وسعودي جازيت باللغة الانجليزية ، وتعتبر جريدة عكاظ من أكثر الصحف اليومية توزيعاً ، ولها قراء كثيرون .

والى جانب جريدة عكاظ أسس العطار مجلة كلمة الحق الاسلامية التي أصدرها سنة ١٣٨٦هـ[3].

ويبدو أن هذه المجلة لم تستمر طويلا ، ولا أعرف شيئا عن أسباب توقفها والمدة التي استمر صدورها .

العطار الشاعر :

وللعطار ديوان شعر وحيد سماه الهوى والشباب ظهرت طبعته الاولى سنة ١٣٦٢هـ وقدمه الدكتور طه حسين بمقدمة أثنى فيها على الديوان قال فيها :

وجدت في شعرك من رصانة اللفظ وعمق المعنى ، وعذوبة الموسيقى ، وحسن الانسجام وحرارة العاطفة وصدق الشعور ما أذكرني عهوداً لم أنسها ، ولن أنسها بل لم أفارقها ولن أفارقها لأنها قوام الحياة الأدبية لكل أدب عربي ، وهي عهود الشعر الحجازي حين كان غض الشباب خصباً من جميع نواحيه[4].

---

(١) المدينة المنورة العدد ٨٦٧٢ ، ٢٧ رجب ١٤١١هـ .
(٢) جريدة المدينة المنورة العدد ٨٦٧٢ ، ٢٣ رجب ١٤١١هـ .
(٣) جريدة الشرق الأوسط العدد ٤٤٥٧ ، ١٩٩١/٢/١٠م .
(٤) الهوى والشباب ص ١١/١٠

وأعاد العطار طبع ديوانه هذا سنة ١٤٠٠هـ الموافقة لسنة ١٩٨٠م ، ولكن العطار انقطع عن الشعر مشتغلاً بالتآليف الكثيرة والمباحث المتنوعة التي ملأت أيامه ولياليه .

صلة العطار بأدباء عصره :

كان للعطار يرحمه الله نشاط عظيم في الاتصال بالأدباء الكبار في مصر ، ومن أبرز هذه الاتصالات صلته بالعقاد التي سنتحدث عنها بعد ، وقد أثمرت صلاته هذه أعمالاً أدبية فاشترك مع الاستاذ/ محمد عبدالسلام محمد هارون في اخراج تهذيب الصحاح للزنجاني وكتب له العطار مقدمة ضافية ، وقام بطبعه ونشره معالي الشيخ محمد سرور الصبان يرحمه الله ، واذا كانت صلة العطار بأدباء عصره أنتجت عملاً أدبياً ولغوياً نافعاً ، فان بعض هذه الصلات أوصله الى السجن .

فقد كان على صلة بالكاتب المصري المسيحي سلامة موسى ، واتهم العطار بسبب هذه الصلة وما يشبهها بأنه ينشر دعايات ضارة ضد المملكة وحكومتها ، وسجن بسبب ذلك وأبعد عن البعثة السعودية في مصر وحرم من التعليم الجامعي ، وكتب العطار في آخر سني حياته كتاباً عن هذه الواقعة سماه بين السجن والمنفى ، وهو من أمتع الكتب بما يحويه من عفوية وبساطة وسلاسة في الاسلوب .

صلة العطار بالعقاد :

كانت صلة الاستاذ أحمد عبدالغفور عطار - يرحمه الله - بالكاتب والأديب العبقري الكبير الاستاذ/ عباس محمود العقاد صلة حميمة بلغت حدَّ انهما اشتركا في تأليف كتاب اسمه « الشيوعية والاسلام » صدرت طبعته الاولى سنة ١٣٧٦هـ الموافقة لسنة ١٩٥٦م وطبع مرة ثانية سنة ١٣٩٢هـ الموافقة لسنة ١٩٧٢م .

ولا أريد أن أتعرض لحقيقة الأمر في هذا الكتاب وهل شارك الاستاذ/ الكبير عباس محمود العقاد في تأليفه مع الاستاذ/ العطار ، أم أنه وضع اسمه على غلاف الكتاب من قبيل المجاملة التي تقتضيها الصداقة الحميمة بينه وبين العطار ولكن قبول العقاد بوضع اسمه على الكتاب مع العطار هو أعظم دليل على صلة الطرفين وعلى ما يكنُّه كلٌّ منهما للآخر من مودة وتقدير .

وقد حدثني العطار - يرحمه الله - كيف بدأت صلته بالعقاد قال :

بعد وفاة زعيم مصر الكبير سعد زغلول - يرحمه الله - أصدر العقاد كتابه المعروف عن سعد زغلول في سنة ١٩٣٦ الموافقة لسنة ١٣٥٥هـ .

كان العقاد من الكتاب المقربين الى الزعيم الراحل ، وكان يحظى منه بالتأييد وكان

اعجاب سعد بالعقاد كبيراً حتى لقبه بالكاتب الجبار ، وقد أشار العقاد الى هذه التسمية في رثائه لسعد حيث يقول في قصيدة طويلة مطلعها :

أمضت بعد الرئيس الأربعون   كيف بالله اذاً تمضي السنون

ويخاطب العقاد سعداً فيقول :

أنا جَبَّارُكَ لا تعهدني   ذلك الجبار في الدمع السخين

أصدر العقاد كتابه في الوقت الذي ثار الخلاف بين زعيم مصر مصطفى النحاس باشا ، وبعض أعضاء الوفد بزعامة الدكتور أحمد ماهر والنقراشي باشا ، وانضم العقاد الى المنشقين على النحاس والذين ألفوا فيما بعد حزباً جديداً سموه الحزب السعدي نسبة الى اسم الزعيم سعد زغلول .

وفي الوقت الذي كان يأمل فيه العقاد أن يتخاطف الناس كتابه عن سعد زغلول ، كان العداء بينه وبين النحاس باشا وأعضاء الوفد قد استشرى فأثَّر هذا العداء على الكتاب ، وربما امتنع الكثيرون من أعضاء الوفد وأشياعهم عن شراء الكتاب خشية إغضاب النحاس باشا .

في هذا الوقت بالذات وصل العطار الى مصر وزار العقاد في بيته وعرف الموقف بالنسبة للكتاب ، والحالة النفسية التي يتعرض لها العقاد بسبب الخصومة مع النحاس باشا .

يقول العطار :

خرجت من منزل العقاد وذهبت لزيارة الشيخ عبدالله السليمان الحمدان وزير المالية السعودية الأسبق الذي كان يزور مصر وذكرت لمعاليه أن الاستاذ/ عباس محمود العقاد قد أصدر كتابا قيِّماً عن زعيم مصر الراحل سعد باشا زغلول ، ولم يخرج العطار من مجلس الشيخ عبدالله السليمان إلا وفي يده مبلغاً لعله مائتي جنيه مصري وكان الجنيه في ذلك الزمان جنيهاً ورجع الى العقاد ليسلمه المبلغ ويخبره أن الشيخ عبدالله السليمان الوزير السعودي يقدمها لشراء كمية رمزية من كتاب سعد زغلول وسُرَّ العقاد كثيراً بهذه البادرة التي قام بها العطار ، فأثَّرتْ في نفسه أعظم تأثير ، وكانت هي البداية للصداقة الحميمة بين الرجلين .

العطار ينتصر للعقاد :

ولقد كان إعجاب العطار بالعقاد عظيماً الى حدٍّ أنه كاد أن يحرج الشيخ محمد سرور الصبان مع الدكتور طه حسين بسبب انتصاره للعقاد ضد طه حسين ، وتفصيل الموضوع ان معالي الشيخ محمد سرور الصبان يرحمه الله أقام في منزله بمكة المكرمة حفلاً لتكريم الدكتور طه حسين الذي حضر للزيارة أو للحج في ذلك العام ، ودعى لهذا الحفل علماء المملكة وأدباءها وكثيراً من الحجاج الزائرين للبلاد المقدسة .

وخطب الخطباء في الحفل معبرين عن شعورهم بلقاء الأديب الكبير أو عميد الأدب العربي كما كان يسمى يرحمه الله ، وقام العطار لا ليذكر محاسن المحتفى به ، وإنما ليدلي برأيه في الخصام الذي كان مستعراً في ذلك الوقت بين العقاد وطه حسين وكانت مجلة الرسالة تنشر للأديبين الكبيرين مقالاتهما النارية ضد بعضهما البعض وكان عنوان هذه المقالات « لاتينيون وسكسونيون » واللاتينيون هم الذين درسوا في فرنسا وطلبوا العلم في جامعاتها ، فاتسمت ثقافتهم بهذا الطابع الفرنسي الذي عبر عنه باللاتينية والذي كان يمثله الدكتور طه حسين يرحمه الله ، أما العقاد فقد كان يتقن اللغة الانجليزية وقد قرأ الكثير من مؤلفات الشعراء والعلماء والأدباء والمؤرخين بهذه اللغة « السكسونية » فنسب اليها في هذا الخصام بينه وبين طه حسين باعتباره يمثل الطرف السكسوني أو الانجليزي بحكم ثقافته في هذه اللغة .

كنت أنا والاستاذ/ محمد حسين زيدان نجلس الى مائدة واحدة في حديقة منزل الشيخ محمد سرور الصبان يرحمه الله حينما قام العطار وألقى خطابه المكتوب ينتصر للعقاد ضد طه حسين ، وشعرنا أنا والزيدان بالحرج مما فعله العطار ، ولعل الشيخ محمد سرور الصبان شعر بحرج أكثر ، ولكن طه حسين يرحمه الله لم يلبث أن نهض للرد على كلمات الخطباء وخصص الجزء الأكبر من خطابه للرد على كلمة العطار ، وكان الرد بليغاً ، وقد كتب محمد حسين زيدان يرحمه الله في اليوم التالي في جريدة البلاد السعودية يصف الموقف ويلوم العطار على فعلته ، لأن المقام لم يكن ليسمح له بفعل ما فعل .

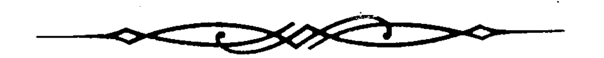
أردت من سرد هذه الحادثة أن أذكر أن العطار كان في اعجابه بالعقاد قد ذهب بعيداً حتى سمح لنفسه بالاقدام على نقد طه حسين في حفل أقيم لتكريمه في مكة المكرمة بعيداً عن مصر وعن العقاد وفي موقف هو موقف التكريم والاشادة .

الأيام الأخيرة في حياة العطار :

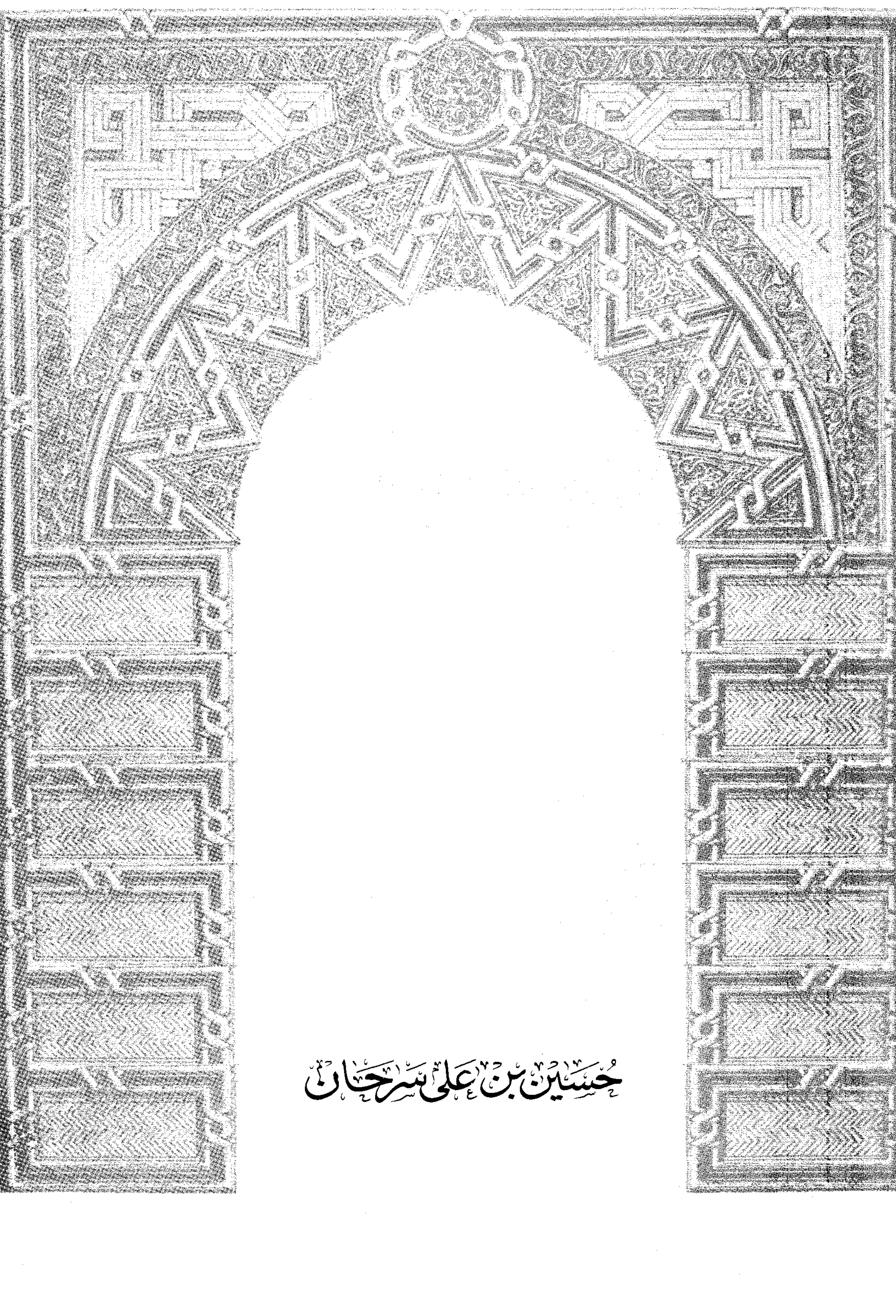
مرض العطار وانتقل الى جدة وعصر يوم من الأيام اتصل بي يرحمه الله وسألني عن تسمية الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه بذي النورين ، فأحلته الى كتابي « عثمان بن عفان ذو النورين » ، وكنت أهديته اليه حين صدوره كما أفعل بجميع مؤلفاتي ، ويفعل هو يرحمه الله باهدائي مؤلفاته حين صدورها ، ورأيت أن أرسل اليه الكتاب مع بعض كتبي الأخرى ، وسألته عن محل اقامته لأرسل اليه الكتب ولأقوم بزيارته ، وتفضلت زوجته الفاضلة باخباري عن العنوان ، وأرسلت اليه كتاب عثمان بن عفان ومجموعة من كتبي الأخرى ، وبعث اليَّ مع الرسول بعض آخر مؤلفاته مسجلا اهداءه عليها بخطه الجميل ، وكان يتقن الخط كما يتقن فنون كثيرة أخرى مضمناً الاهداء مشاعره الكريمة وجميل تقديره .

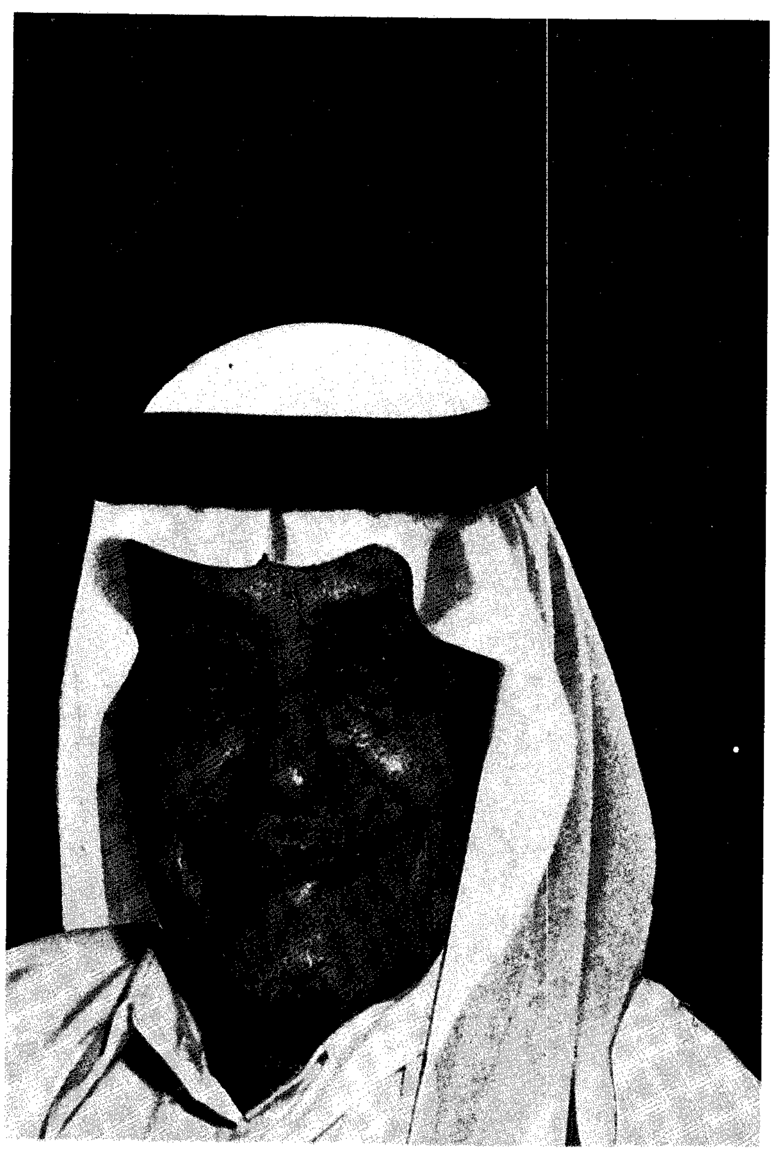
وكنت على عزم الذهاب لزيارته في جدة حينما اتصلت بي صحيفة البلاد ونعته اليَّ يرحمه الله ، فقد توفي الى رحمة الله تعالى يوم الجمعة ١٧ رجب ١٤١١هـ عن عمر يناهز الرابعة والسبعين عاما تغمده الله برحمته الواسعة ، وأسكنه فسيح جناته .

وأرجو أن يوفق الله تعالى أبناء الفقيد الى طبع ما ترك من الكتب المخطوطة وفاءاً بحقه وتكريماً لذكراه ، والله ولي التوفيق .






حسين بن علي سرحان



حسين بن علي سرحان

حسين بن علي سرحان

بدوي الطلعة ، أصفر الوجه ، نحيف البدن ، كبير الرأس ، أقرب الى القصر منه الى الطول ، حليق اللحية والشارب والعارضين ، تبدو في وجهه سيماء الشموخ ، وليس هو بالمتعالي ولكنه لا يحفل بما تعارف عليه الناس من احتفاء بالمظاهر ، وإكبار للمناصب فهو يعيش في دنيا خاصة من أفكاره .

ولد بمكة المكرمة سنة ١٣٣٤هـ أو سنة ١٣٣٢هـ على اختلاف بين الروايتين .

وتلقَّى تعليمه الابتدائي في الكتاتيب في المعابدة ، ثم انتقل للدراسة في المسجد الحرام على يد الشيخ محمد العلي التركي ، فمكث عدة أشهر يتلقى عنه دروسه في الفقه والتفسير والفرائض ، وبعض علوم اللغة العربية ، ثم أشار عليه الشيخ التركي بالانتظام في مدرسة الفلاح ، فالتحق بها ، وبقي بها لمدة عام ونصف العام من عام ١٣٤٨ ـ ١٣٤٩هـ ، وترك المدرسة وهو في الصف السابع الابتدائي دون أن يحصل على الشهادة الابتدائية[١] .

قرأ حسين سرحان الكثير من أمهات الكتب العربية شعراً ونثراً ، وقد استقبلني في بيته بمكة في محلة المعابدة في مجلس تكتظ رفوفه بالكتب ، فأدركت لأول وهلة أن حسين سرحان أديب يستمد ثقافته من منابع الأدب العربي الأصيل ، وكان هذا اللقاء في أواخر الخمسينات وهو في الرابعة والعشرين من العمر ، وكان الى جانب هذا وذاك يطالع الصحف ويقرأ أحدث ما تخرجه المطابع من مؤلفات أدباء العصر ، فكان يجمع في ثقافته بين قديم الأدب وحديثه[٢] . وكان للبيئة التى يعيش فيها تأثيرها فى تكوين شخصيته فهو كما جاء فى التعريف به في آخر مؤلفاته ينتسب إلى قبيلة الروسان من المراوحة من طفيح من برقا من عتيبة من هوازن[٣] .

(١) شعر حسين سرحان دراسة نقدية ص ١٥/١٩ .

(٢) حديث عبدالله بلخير بجريدة عكاظ بتاريخ ٨ ذي القعدة ١٤١٣هـ .

(٣) الصوت والصدى التعريف بالشاعر في الغلاف الأخير .

وكان أبوه علي بن سرحان من حاشية سمو الأمير فيصل بن عبدالعزيز النائب العام لوالده الملك عبدالعزيز في الحجاز « ملك المملكة العربية السعودية » فيما بعد ، وكان يسكن في محلة المعابدة ، وهي محلة بظاهر مكة المكرمة تتميز بالسمات البدوية لسكانها الذين يأخذون بأسباب الحضارة ومظاهرها ، ويحتفظون في نفس الوقت بإباء البادية وخشونتها .

نشأ حسين سرحان في كنف جده لأمه عبيدالله بن سرحان لأن والده كان يعيش في نجد ، وكان جده عمدة لمحلة المعابدة ، وكان في نفس الوقت يَتَجِّرَ في الماشية وله أغنام يشرف على رعيها وبيعها ، ونشأ الشاعر في هذه البيئة البدوية فمارس في صباه ما كان يمارس جده وتمارسه القبيلة من رعي الأغنام والاتجار فيها بيعاً وشراءاً ، وكان جده ينتجع الرصيفة وهي في الجنوب الغربي لمكة ، فيقضي مع أسرته ومن يلوذ بهم شهوراً عديدة يصِّيفون بها ، وقد استمر يحيا هذه الحياة البدوية الى ما قبل البلوغ بقليل[١] .

وقد وصف حسين سرحان نفسه أصدق وصف في هذا البيت :

بـدوي طبـعٍ عـنجـهـيٌّ سـليقـةٍ وكـأنـني مـنْ قـد نمـاه مُـكـدِّمُ[٢]

عاش حسين سرحان في بحبوحة من العيش في ظل جده ، فلم يبحث عن وظيفة يعيش منها أو يعين أهله بما تدره عليه ، كما كان الحال بالنسبة لكثير من أترابه وزملائه في ذلك الزمان .

ووجد الوقت أمامه فسيحاً للقراءة والاطلاع ، والتفرغ للشعر والأدب .

كان أبوه من حاشية النائب العام الأمير فيصل بن عبدالعزيز الذين يطلق عليهم مسمى ـ الخويا ـ وحينما شب ابنه حسين التحق بالحاشية وأصبح من الخويا ، واستمر على هذه الصفة فيما بعد ، وكان من مقتضيات الخويا اجادة الرماية ، وحمل السلاح خاصة في الأوقات التي يرافقون فيها الأمير في رحلاته ، ورافق حسين سرحان سمو الأمير فيصل في رحلات متعددة الى ليَّة ثم الى الخرجة ، والى العتمة[٣] .

وفي عام ١٣٦٢ وحسين سرحان في الثلاثين من العمر التحق بأول عمل رسمي له فقد دعاه الشيخ عبدالله السعد ليعمل في فرع مصلحة اللوازم العامة بالطائف ، ولم يكن راغباً في الوظيفة ، ولكنه وقد رأى نفسه يبلغ الثلاثين من العمر دون ارتباط بعمل يدر عليه دخلا ،قبل العمل الذي عرض عليه ، وقد وصف شعوره بعد ارتباطه بالوظيفة في قصيدة عنوانها « الموظف الجديد » سنتحدث عنها حينما نتحدث عن أبواب الشعر في دواوين حسين

(١) شعر حسين سرحان دراسة نقدية ص ١٧ .
(٢) أجنحة بلا ريش ١٦٦ .
(٣) شعر حسين سرحان دراسة نقدية ص ٢٢ .

سرحان ، ومن هذه القصيدة نعرف أنه انتظم في سلك الوظائف مكرهاً ولم تكن الوظيفة صالحة له ، ولم يكن هو بحكم طباعه ، وما درج عليه في حياته صالحاً لها ، ولكنه اضطر اليها .

ومن اللوازم العامة انتقل الى الادارة العامة بوزارة المالية بوظيفة سكرتير في سنة ١٣٧٠هـ ، وربما كان لصفته الأدبية دخل في اختياره هذا العمل ، وبعد العمل في وزارة المالية انتقل الى ادارة شؤون الحج ، ولعلَّ لصداقته بالاستاذ الشاعر أحمد قنديل يرحمه الله أثر في هذا الانتقال ، فقد كان القنديل مديراً لادارة شؤون الحج ، وحينما انتقل من ادارة الحج الى عمل آخر وجه لصديقه القنديل قصيدة فيها دعابة .

ثم انتقل الى مشروع توسعة الحرم المكي الشريف ثم عمل بعد ذلك في مطبعة الحكومة ، ثم استقال أخيراً وآوى الى الراحة[١] .

لم يحقق حسين سرحان في عمله الوظيفي ماكان خليقاً بمثله أن يحققه ، من علو مركز أو نباهة ذكر وخفض عيش ، فلم يكن مهيئاً للعمل الوظيفي ، ولم تكن طموحاته في مجاله ، فبقي في الوظائف الكتابية التي لم يبلغ مرتبها الشهري الألفي ريال حتى أحيل الى التقاعد ، وكان راتبه التقاعدي أقل من هذا .

يقول صديقه العلامة الشيخ / حمد الجاسر :

ولولا نظرة كريمة من أولي الأمر نحو حالته لعاش عيشة فقر وبؤس فقد أكرموه أكرمهم الله بزيادة راتبه التقاعدي وبقضاء ديْنٍ لحقه حين بنى بيتاً[٢] .

الى جانب العمل الحكومي كانَ لحسين سرحان حضور واضح في الصحافة : كان ينشر قصائده الشعرية في جريدة أم القرى منذ عام ١٣٤٩هـ .

وحينما ظهرت صحيفة صوت الحجاز سنة ١٣٥١هـ كان ينشر فيها القصائد والمقالات واستمرَّ في نشر انتاجه الأدبي بها بعد أن أصبح اسمها البلاد السعودية ، وقد اشترك في تحرير هذه الصحيفة حينما كان يرأس تحريرها الاستاذ/ عبدالله عريف يرحمه الله ، كما أشرف على الصفحة الأدبية في نفس الجريدة بعد أن صار اسمها البلاد ، وكان ينشر انتاجه الأدبي في الصحف الأخرى عكاظ ، والمدينة ، والندوة ، والمنهل ، وقريش[٣] .

وفي الآونة الأخيرة كان ينشر مقالات قصيرة في جريدة الرياض[٤] .

ولابد أن يكون هذا النشر بإلحاح من أصدقائه ، لانه آثر الانزواء التام والبعد عن المجتمع في السنوات الأخيرة ، كما يفهم ذلك من أحاديث أصدقائه المقربين .

---

(١) شعر حسين سرحان دراسة نقدية ص ٢٢ .

(٢) ذكريات حمد الجاسر المنشورة في جريدة الشرق الأوسط العدد ٥٢٦٧ بتاريخ ١٩٩٣/٤/٣٠ الموافقة ٩ ذو القعدة ١٤١٣هـ .

(٣) شعر حسين سرحان دراسة نقدية ص ٢٣ .

(٤) جريدة الرياض العدد ٩٠٧٥ بتاريخ ٨ ذو القعدة ١٤١٣هـ .

هذه هي سيرة حسين سرحان العملية في الحياة ، وقد آن لنا أن ننظر في شعره لنقرأ فيه ما أراد هو أن يقوله عن نفسه ، فهو أعرف بها من الناس ، ولا ينبئك مثل خبير .

مؤلفات حسين سرحان :

أصدر حسين سرحان ثلاث دواوين شعرية .

- أجنحة بلا ريش طبع الطبعة الاولى سنة ١٣٨٩ ، والطبعة الثانية سنة ١٣٩٧ هجرية .
- الطائر الجريح .
- الصوت والصدى ، طبع سنة ١٤٠٩ هجرية .
- أوزان في الميزان مخطوط .
- مجموعة مقالات أصدرها النادي الأدبي بالرياض .
- الأدب والحرب مجموعة مقالات أصدرها النادي الأدبي بالطائف .

وهناك مجموعة أخرى من المقالات والقصائد يجري اعدادها للطبع .

أول ما يطالعك من ديوانه الأول أجنحة بلا ريش قصيدة عنوانها لا أبتغي إلا التفاتاً .

هذه القصيدة شهدت ميلادها اذا صح هذا التعبير ، ولعها من بواكير شعره فان تاريخها يعود الى عهد الشباب الى النصف الثاني من الخمسينات في القرن الرابع عشر الهجري .

كنا جماعة من الشباب نجتمع أصيل كل يوم في محلة قروة بالطائف في الفضاء الفسيح أمام القشلة ـ الثكنة العسكرية في الطائف ـ وكان حسين سرحان عضواً في هذه الجماعة ، وكانوا جميعاً من أدباء الشباب ، وكانت أحلام الشباب وآماله تتدفق في مشاعرهم ، وتجري على ألسنتهم .

وذات مساء دعوت حسين سرحان يرحمه الله الى منزلي ، وتحدَّثنا ، وقرأ عليَّ القصيدة وهي موجهة الى صاحب السمو الأمير فيصل النائب العام لجلالة والده الملك عبدالعزيز في الحجاز يرحمهم الله جميعاً ، وأعجبت بالقصيدة ، بموسيقيتها المتمثلة في القافية النونية المتبوعة بالهاء ، وكأنها رنين الوتر ، وبمعانيها الجميلة الأنيقة والتي تبدأ بهذه الأبيات :

يــــامن أود لـــو أنني ســـوط تحـــركـــه يمينـــه
وأود لـــو أني عقيـــدتـــه المكينـــة أو يقينـــه
وأود لـــو أني هُـــداه اذ ارســـا فيـــه مكينـــه
وأود أني ظله أحمي خــــــطاه ولا أدينـــــــه
وأود أني سيفـــه أردي عـــداه ولا أخـــونـــه

ومنهـا : وأود لـــو أني المنـــام لـــه اذا أرقتْ جفـــونـــه

ومنها : وأود لــو أني كتــاجٍ زانــه فيــها يــزينــه[1]

وقلت : لحسين هل قدمت القصيدة لسمو الأمير فيصل . . . ؟

قال : لا

قلت : أسرع بتقديمها اليه فانها قصيدة رائعة وستحلُّ من نفسه محلاً حسنا .

وذهب حسين سرحان وقدَّم القصيدة لسمو الأمير فيصل يرحمه الله وأبدى اعجابه بها وجاء حسين وقصَّ عليَّ القصة ، واتفقنا أن نغتم هذه القصة لنتقدم بطلب الإذن لنا بإصدار مجلة أدبية .

وقلت : لحسن تقدم أنت بطلب الإذن فلعل صلتك بسمو الأمير فيصل تجعل له قبولاً .

وتقدم حسين سرحان بالطلب ولكن الإذن لم يصدر .

أذكر هذه القصة بعد أن مضى عليها أكثر من خمسة وخمسين عاماً ، وأعود الآن الى القصيدة نفسها التي نظمها حسين سرحان وهو في منتصف العشرينات ، فأجد أن هذه القصيدة لا تصدر إلا عن شاعر أسلست له أعنة الشعر قيادها ، فتدفقت فيها الصور الشعرية ، رائعة وضاءة لتستولي على القارىء بموسيقيتها العذبة الرنين .

واذا كانت هذه القصيدة التي نظمها في عنفوان شبابه بهذا المستوى من الابداع والاجادة ، فقد كانت مؤشراً لما سيكون عليه حسين سرحان في دنيا الشعر في قابل الأيام .

ولقد لاحظت أن المبدعين في جميع الفنون تظهر آثار ابداعهم في سن مبكرة فكأن الموهبة تولد مع الانسان ثم تصقلها الأيام .

وحسين سرحان شاعر يذكرك شعره بالصور الشعرية التي تحفل بها دواوين فحول الشعراء في العصرين الأموي والعباسي .

فقد أكبَّ على قراءة هذه الدواوين ، فانطبعت صورها الشعرية الرائعة في ذهنه ، وأثرت موسيقيتها في نفسه ، ومكّن لهذا الأمر حياته الشخصية التي تتصل بالصحراء وحياة البادية .

يقول في قصيدة النأي :

قضى الــدهــر مــا بيني وبينــك بــالــذي
قضـــاه فـــانـــآك افـــتراقٌ وانـــآني

تُيمِّمُ بي سيـــارةٌ نحـــو مكـــة
وسِـــرْتَ عـــلى الخـــوص النـــواجي لنجـــران

فـــاشْمَلْتَ إذ أَجْنَبْتُ يـــا بُعْـــدَ فـــرقـــد
تحـــدَّاك طـــولاً بيننـــا وتحـــدَّاني

---

(1) اجنحة بلا ريش ص ١٥/١٦ .

فيــا بعــد مجــرى العــين عن بئــر عسكــر
وأين كـــداءُ عن سبـــاسب ظهـــران
اذا أعنقت فيهــا المــطايــا تــظالعت
وحَنَّتْ بـــارزامٍ مُلحٍّ وَارْنــانِ

هذه الصورة للمطايا وهي تَحِنُّ بارزام وأرنان هي صورة لاعرابي فارق حبيبته فسارت شمالاً وسار هو جنوباً ، وهذا البيت الذي يقول فيه :

فــاشملت إذ أجنبت يــابعــد فــرقــد تحــداك طــولا بيننــا وتحــداني

هذا البيت يذكرني بصورة مشابهة وردت في شعر عمر بن أبي ربيعة يقول فيها :

أيهــا المنكــح الــثريــا سهيــلا عمـــرك الله كيف يلتقيـــان
هي شــاميــة اذا مــا استهلت وسهيـــل اذا استهــل يمــاني

وابن أبي ربيعة يكني بنجوم السماء لأن الحبيبة اسمها الثريا .

ومن الصور البدوية التي يحفل بها شعر حسين سرحان قوله في ذكريات هوى :

وثبت وثبــة كــدري عــلى قُلَلٍ من الجبــال طــوال فــوق اثبــاج[1]

انه هنا ينجو بنفسه هارباً فيثب كما يثبُ طائر القطا على قمم الجبال .

ويقول في وصف النيل :

والنيـــل بـــاركـــه الآلـــه اشمَّ مَـــطَّرِدُ القـــوام
ان مـــرَّ سبْقـــا كـــالجـــوا دوان تـــلألأ كـــالحســـام[2]

ووصف النيل بالجواد الأشم في جريانه ، وبالحسام في تلألئه ولمعانه من أجمل ما توصف به الأنهار والبحار ، ولكنها صور بدوية تبدعها مخيلة فارس بدوي شاعر .

وأمثال هذه الصور كثيرة ، ولسنا هنا في مجال الاستقصاء ، وإنما نقدم المثل لايضاح الصورة .

حسين سرحان الموظف :

وصف حسين سرحان نفسه ، وسخر منها بعدما مارس عمله موظفاً في ـ قلم اللوازمات ـ التابع لوزارة المالية في الطائف فقال في قصيدته المؤظف الجديد .

أصبحت في قلم اللوازم كـــالغـــلام مُسَخَّـــرا
قـــد بعت أربـــح بيعـــة وشريت اغبن مشـــترى
يسعى الـــزمـــان الى الامـــا م وانت تسعى القهقـــرى

(١) أجنحة بلا ريش ص ٤٨ .
(٢) أجنحة بلا ريش ص ٥٤ .

ومنها :

كنت الـــطليق تجـــرُّ ذيلك ... فـــوق مـــرتفـــع الـــذرى
كـــالـــبرعم النشـــوان يـــأرج ... في الصبـــــاح منـــــورا
كـــالبلبـــــل الصداح ... يـــوقظ بـــالغنـــاء ذوي الكـــرى

ثم يقول :

مـــابـــال نفســـك مُرَّةً ... واديم قلبـــــك مقفـــــرا
تهتـــاج مثـــل الثـــور يـــو ... م يـــرى الـــرداء الأحمـــرا
اتـــراك حـــين وقعت في ... الشرك المَعَـــدِّ مخـــيرا
أم كنت تسخـــر بـــالـــزمـــان ... وبـــالمكـــان وبـــالـــورى

ويصف السرحان وصول الرئيس الى الادارة :

واذا جـــــرى الجلواز يوْ ... مـــاً قلت ويحـــك مـــا جـــرى . ؟
قـــــال الـــــرئيس أتى ... فقمت مهلِّلاً ومكـــــبرا
ونفخت زقـــا فـــــارغـــا ... ورفعت صـــوتـــا منكـــرا
وضحكت واستنجـــــدت ... نـــابـــا أســـودا أو أصفـــرا
هـــذا عقـــابـــك يـــا حســـين ... صـــبرت أم لم تصـــبرا[1]

لقد ذكرت أن حسين سرحان لم يلتحق بالوظيفة إلا بعد أن بلغ الثلاثين من العمر ، كان يحيا حياة طليقة من أغلال الوظيفة ومراسمها ، يفعل بأيامه ما يشاء دون حسيب أو رقيب ، ولابد أنه كان مكفيَّ المؤونة بما يوفره له والده الذي كان من حاشية الأمير فيصل بن عبدالعزيز ، وكذلك كان هو من الحاشية أو « الخوايا » كما اصطلح على تسميتهم ، ولهذا عاش حياة حرة لا تعرف قيود الوظيفة ، ولا ما يجب لها من التزام ، فلما اضطر اليها أدرك بطبيعته الساخرة ، وبما غرس في طبعه الشامس من اعتزاز أنها لا تصلح له ولا يصلح لها ، فصوَّر حاله ومشاعره في الوظيفة الجديدة .

وفي تصوري أن حسين سرحان كان مضطراً الى دخل ثابت يقيم به شؤون نفسه وأسرته فهو يصف حاله وحال أسرته وهم ينتقلون من دار الى دار في مقطوعة صغيرة بعنوان ايجار الدار .

دائن جـــــاء يبتغي ايجـــــاره ... بعـــد أن أسبـــل الـــدجى أستـــاره
ومضى العـــام شَرَّ عـــامٍ وقـــد ذقنـــا الـــرزايـــا في حـــارةٍ بعـــد حـــاره
كـــل عـــام يـــزيـــد عـــما مضى في اجـــرة الـــدار كـــالـــريـــاح المثـــاره

---

(١) اجنحة بلا ريش ص ١٥٧/١٥٨ .

رب كـــوخ أركـــانــه مـــائـــلات وهـــو في سعـــره كـــدار سفـــاره
المثـــات المثـــات مـــاذا ؟ أنـــرمي الأهـــل من رأس شـــاهق أو منـــاره
أم تـــرانـــا نعـــود كـــالعـــرب الـــرحـــل والنـــاس هـــرولـــوا للحضـــاره
بـــين رسم عفى ونؤي تبـــدَّى وبعـــير شمـــردل وحمـــاره[1]

وقد وصف حسين سرحان حاله بعد أن قضى عامه الأول في الوظيفة في قصيدة عنوانها « تورطت » يقول فيها :

تـــورطت فيهـــا بعـــد طـــول تمنّـــع وكنت مثـــال الحـــازم المـــترفـــع
منـــاصب يـــرقـــاهـــا وضيـــع فيعتـــلي بهـــا ويلقـــاهـــا جهـــول فيـــدَّعي
ويحسب انَّ النـــاس من طـــوع أمـــره بغلوة سهم أو بمقعـــــــد أصبـــــع
وتصقله حتى يكـــــون كيلمـــــع وتنفخـــــــه حتى يـــــظل كلعلع
وتـــبرز فيـــه من خفـــايـــا غـــروره أفـــانـــين من بعـــد الـــطوى والتسكـــوع

وبعد هذه الأبيات الذي يصف فيها ما تفعله الوظائف ببعض أربابها يقول عن نفسه :

ومـــا أنـــا من طـــلابهـــا أو هـــواتهـــا فـــان تَلْحَيني فـــالْحَ القضـــاء اذن معي
دفعت اليهـــــــا لم تكن لي حيلة ولا رأيَ فـــاعـــذرني والا فقـــرِّع
عبـــوديـــة شنعـــاء يمقتهـــا الفتى ويفني بقلب عن هـــواهـــا مشيـــع

ثم يصف ما كان حاله قبل الوظيفة فيقول :

وقـــد كنت عنهـــا غـــانيـــاً بـــين مـــونق من الكتب اصفيـــه الـــوداد ممتـــع
أحـــادث فيهـــا الجـــاحظ الفـــذ تـــارة وآونـــــة اصغي الى ابن المقفـــــع
فكيف قبلتُ القيـــد ارسف تحتـــه بخيـــلا بـــاحســـاسي سخيـــاً بـــادمعي
وكيف أرى حـــــريتي بعـــد محبس مقيت الجنى أبصر بـــه ثم أسمـــع[2]

وقد شبه حسين سرحان حاله في الوظيفة بالعيش بين الجن ، بل أنه اعتبر أن العيش بين الجن على سوئه وفظاعته أحسن موقعاً من حاله أو عيشه في الوظيفة يقول :

قـــل للذي جعـــل الـــوظيفـــة همـــه وسعى اليهـــا سعى ضيغم غـــاب
العيش بـــين الجن آنس مـــوقعـــا من زحمـــة الكُتَّـــاب والحُسَّـــاب
هـــذا يجيئـــك بـــاحثـــاً عن ثمـــرةٍ ويحـــوم ذاك عـــلى رتـــاج البـــاب
ويســـومـــك الفـــرَّاش شرح رســـالـــة ويـــرومـــك الســـاقي لعـــرض كتـــاب
وتـــظل تحفـــر بـــالـــيراع جـــداولا ولـــوائحـــا ســـودا بغـــير حســـاب
متـــبرمـــاً ممـــا يشق عـــلى النهى متلويـــا من شـــدة الأكبـــاب

---

(١) اجنحلا بلا ريش ص ١٣١ .
(٢) اجنحة بلا ريش ص ١٥٩/ ١٦٠ .

وتــرى الــرئيس مناوحــاً لــك قــائــلا اشرح وحـــرر واحتفـــل بجـــواب
بيمينـــه التـــوقيـــع يحسب أنـــه تـــوقيـــع قيصر في وغىً وغـــلاب
واذا أتى الـــزوار ظلوا بـــرهـــة يتلفتـــون تَلَفُّتَ الهَيَّـــاب

وللقصيدة بقية أبيات وضع الناشر مكانها أصفاراً مما يدل على أن هذه الأبيات مما لا يحسن نشره . (1)

واذا كان لنا أن نقول كلمة في شأن الوظيفة والشاعر فإن سواد الناس ومنهم الأدباء والعلماء يعملون في الوظائف وهي سبيل معاشهم ، ولا ينظرون اليها هذه النظرة الهازئة المتعالية ، ومنهم من يأخذ على مجتمع الوظائف ما قد يكون فيه من غرور بعض الرؤساء ، وانتهازية بعض الزملاء ، وسخف بعض المترددين ، ولكن الحياة تحفل دائماً بهذه الأشكال من الناس ، وباختلاف الطبائع والغايات ، والرجل الحصيف هو الذي يكيِّفُ نفسه مع واقع الحياة دون أن يفقد أصالة الخلق ، ويعامل الناس المعاملة الكريمة اللائقة به وبهم .

لقد كان حسين سرحان يؤثر أن يعيش حياته بين الكتب ، فلا يشارك الناس حياتهم اليومية بما فيها من مضحكات أو مبكيات ، ولكنَّ الحياة ليست بين صحائف الكتب ، وانما هي في زحام المجتمعات .

والغزل عند حسين سرحان غزل حسي اذا صح هذا التعبير ، يصف جمال المحبوبة وصفاً حسياً يذكرك بالمشهورين من شعراء الغزل كعمر بن أبي ربيعة وبشارٍ بن برد ، ولكنك لا تجد فيه وجدانيات الشعراء العذريين المعروفين كعباس بن الأحنف وكثيِّرعزة وجميل بثينه ، يقول حسين سرحان في قصيدة رشأ :

يـــــا بعيني ومهجتي رشـــــأ طـــــاب محتـــده
في بني هـــــاشمٍ يقـــــوم عـــــلى العـزِّ مـــــولـده
نـــاعس الـــطرف حُلْوُه نـــاعم العود املده
اصـــطفاني بحبه وصفا لي تــودُّدُهْ
وسقـــاني بثغره عَـلَـلاً لـذَّ مورده
قبـــلا تبعث المنى بـــين لحن يـردده
نغمـــا رجَّعَتْـــهُ منـــه لهاة تعسجـــده
لكـأني اذا فتحت لـــه السمـــع أشهـــده
رب لحن تـــراه بـــالعـــين رؤيـــا تجدده
مستعـــاداً كـــما استعيـــد مثـــال تحدده

(1) اجنحة بلا ريش ص ١٦٣ .

يــــاحبيبي عشقت حبـــــك لـــــولا مسهــــده
وعشقت البكـــــاء فيـــــك اذ كنت تسعـــــده
وعشقت الصبـــا الجميـــل يـــرى منـــك امـــرده
وعشقت الجفـــون حبلى بسحــــر تـــولده
وعشقت الـــوصـــال يـــدنو اذا شئت مبعده
وغـــــداً ارتجيــــه لـــــولاك لم يـــرتغب غده
وزمانـــــا تضمنـــــا منـــــه اذ نلتقي يده
وسهـــــادا عـــــلى انتــــظارك يحلو تعدده
رب غصن اذا طلعت جفاه تـأوده
وخـلا من ليانـــــه ونـآه مُغَرِّده

هذه القصيدة من شعر الغزل تعطينا صورة للشعر الغزلي عند الشاعر ، الغزل الحسي الصريح فالحبيب .

نـــاعس الـــطرف حـلوه نـــاعـم العـود املده

وهو قد اصطفى الشاعر بحبه وصفى له الود معه :

وسـقـــاني بثغـره عَـلَلاً لـذًّ مـورده
قبـلا تبعث المنـى بـــين لحـن يـردده

والشاعر يعشق هذا الحب لولا ما يجره هذا العشق من السهاد ، ويعشق البكاء في الحب اذا كان الحبيب يسعده :

وعشـقت الصبـــا الجميـــل يـــرى منـــك امرده
وعشـقت الجفـون حبلى بسحـــر تـــولده
وعشـقت الـــوصـال يدنـــو اذا شئت مبعده

كل هذه عواطف حسية نفتقد معها المعاني الروحية السامية التي تبعثها عاطفة الحب ، وهي من أقوى العواطف الانسانية وأعظمها تأثيراً في النفوس ، ولكن الشاعر هنا يعبر عن مشاعره ، وهو صادق في هذا التعبير وفي هذا التعبير صور جميلة تلفت النظر فيقول في وصف غناء الحبيبة :

رب لحن تراه بـــالعين رؤيا تجدده

هذا الغناء الذي يحس به السامع يصوره الشاعر رؤيا تراها العين وهو معنى جديد ، وفي بيت آخر يصف الجفون المثقلة بالسحر فيقول :

وعشـقت الجفـون حبــــلى بسحـــر تـولده

والمعنى جديد كذلك إلا أني لا أستسيغ الجفون الحبلى ، حتى وان كانت مثقلة بالسحر

والدلال .

ولحسين سرحان قصيدة أخرى ، ربما كانت من شعر الصبا والشباب يقول فيها :

خـــذ من وصـــال الغـــواني مـــا سمحن بـــه
وكن خفيفـــاً كـــدأب العـــابث الـــراجي
اني اذا مـــاقـــرعت البـــاب بعـــد مـــدى
فتحتـــه وان استعصى بـــــارتـاج
اذا أدمت الهـوى أمست منـــاهله
مشوبـــة من أخـــاليط وامشاج

. . . .

حتى أعيش بقلب جـــد مهتاج[1]

وقد أمسكت عن اثبات الأبيات التالية ، ولكن القارىء لهذه القصيدة يخرج منها بانطباع من أن قائل هذا الشعر لا يعرف إلا لوناً واحد من ألوان الحب هو هذا اللون العابث النهاز للفرص حيثما أتيح له انتهازها ، واستثناءاً من هذا الرأي أثبت له بيتين يقول فيهما :

مـــاهـــو الحسن يـــاتـــرى شفـــة رفت وطـــرف سبى وعـــطف مـالا
انمـــا الحسن حـــين تعشق نقصـــا ثم يمسى من فـــرط حب كـــمالا[1]

وهذا الذي ذكره حسين سرحان هو الذي كنت أبحث عنه في شعره الغزلي ، الحب الذي يرى النقص في المحبوب فيستحيل من فرط الحب كمالا في عين المحب ، هذا المعنى الانساني السامي . . . ولكنهما بيتان يتيمان اذا صح هذا التعبير ، أثبتهما من باب الأمانة ، ولعل هذين البيتين هما الاستثناء الذي تثبت به القاعدة .

حسين سرحان في بيته :

لحسين سرحان قصيدة نشرت في جريدة صوت الحجاز سنة ١٣٥٤هـ بعنوان « ياابنتي » وهي أول بنت رزقها وهو في مطلع شبابه ، مطلعها :

يـــا ابنتي مـــا شربت خمـــرا من الـراووق أحـلى من خَمْرِ فِيكِ واسكر
لا ولا قـــد جنت يـــداي من البستـان وردا من ورد خـديـــــك انضـر

ومنهـا :

يـــــا ابنتي ان رأيتني اتمنـى عمراً خـالـــــداً ومـــالاً وفـيرا
فهـــو من أجـل ان اراك عـلى حـال جميـل فـــــاغتدى مسـرورا

---

(١) اجنحة بلا ريش ص ٤٨/ ٥٠ .
(٢) اجنحة بلا ريش ص ١٨٩ .

فــــأمـاني ابيـــــك انت تـدرين بمـــــــا في فـؤاده من أمـاني
أنت لا تعـرفـــين شيئـــا سوى الثـــدي فمصيـــه في رضى وأمـــان

ثم يقول :

يـــا ابنتي أيمـــا أحب اليـــك قبلة الأم أم عناق أبيك
لست أدري لكنـي اتمنى قبلة استمـــــدهــــا من فيك
اتسامى بهـــا الى الفـلك العـالي فـــاحيا بهـــا وتنعش روحي
هي رمـــــــز الحياة لكنها في كـــبر العمـر رقصة المـذبـــوح[1]

والقصيدة تعبر عن مشاعر الأبوة التي تعتلج في صدر الشاعر وهو يستقبل هذه الطفلة التي كانت أول ما رزق من الولد .

وقد رزىء حسين سرحان بفقد ولده الوحيد في حادث سيارة ولكني لم أجد له شعراً في هذا المصاب ، ولعله من شعره الذي لم ينشر ، فليس أقسى من فقد الولد على الوالد وخاصة اذا كان هو الولد بين أخواته البنات ، ويقول أصدقاء حسين سرحان ان الحادث أثّر في نفسه كثيراً ، ولكني كما ذكرت لم أجد فيما قرأت من شعره المنشور ـ والغير مطبوع شيئاً في هذا المصاب الأليم .

ولحسين سرحان مقطوعة صغيرة في رثاء أبيه يقول فيها :

أنــــا لم أهنـــــأ بلقيـــــاك أبي لا بـــــأهْـــلٍ قلت لي أو مــــرحب
كنت مثـــل الشلو ممـــدودا عـــلى ثبج من غمرات الكـرب
رد منـــك الــطرف نحوي فـــاذا فيـــه ايمــاض كـومض السحب
وجــــرى منــــه دموع سكبت في فـؤادي أي دمـــــــع سكب
أنـــا أخـفيـــه ولكـن كـذبت مهجة مـــا وصمت بـــالكـذب[2]

وفي هذه المقطوعة يصف الشاعر حياته مع أبيه الذي كان مبتعداً عنه يقول في مطلعها :

أنـــا لم أهنـــــأ بلقيـــــاك أبي لا بـــــأهْـــلٍ قلت لي أو مــــرحب

لقد جاء الأب وقد أثقله المرض فلما وقعت عينه على الابن أومضت ايماضة فاضت منها الدموع دموع الولد والوالد ، ثم كان الفراق الأخير .

(متى أعيش)

ولحسين سرحان قصيدة نشرت في النصف الثاني من الخمسينات مطلعها :

يـــاليت اني بـــلا عم ولا خــــال ولا أحـاط بحسـاد وعـذال

---

(١) شعر حسين سرحان دراسة نقدية ص ٣٨٢ .
(٢) اجنحة بلا ريش ص ٤٤ .

وقد جاءت في ديوان الصوت والصدى وقد تحول المطلع الى :

متى أعيش بـــــــلا عم ولا خال ... ولا أحاط بحساد وعزال

ثم يقول :

قـــوم اذا عـــاش أقـــوام بصمتهم ... عـاشوا عـلى رغـد بـالقيل والقال
والهبـوا بـالـريـاح الهـوج السنـة ... كـــانهنّ صلالٌ بـــين ادغـال
تبيت تحفـر لــلاعـراض هـاويـة ... كـبرى وتشعـل فيهـا أي اشعـال
مـــوكلون بهـــا مستلئمـــون لهـا ... اذا استـدارت رحـاهـا ألف سربـال
مـــا النـــار تشتـــد في رطب وفي ... يبس منهم بـاقسى ولا انكي عـلى حـال
بـــــل ليت أنيَ نبت بـــــرابية ... شجـراء يلتف فيهـا السبع بـالضـال
يجـري السحـاب عليهـا كـل محتفل ... وتسحب الـــريـــح فيهـا أي اذيـال

والقارىء لهذه القصيدة يستشف منها ضيق حسين سرحان بمجالس الغيبة التي كان يرتع أصحابها في لحوم الناس ، والذي كانت تضمهم المجالس التي وصفها والتي أنكرها عليهم أشد انكار .

والقارىء لشعر حسين سرحان يرى فيه مسحة من التشاؤم والحزن ، لعلها تعبير صادق عن حالته النفسية في السنين الأخيرة من عمره ، ولكن الدارس والمتأمل لشعره يجد هذه المسحة تطل برأسها في الشعر الذي نظمه في شبابه ورجولته .

يقول في قصيدة موجز حياة :

أغـدو مـع النـاس لا اني أعـايشهم ... ولست اسخـر لكن يسخـر القـدر
في هيكـل عن هبـاء الجسم مصـدره ... فقـد تعـذر فيـه الـورد والصـدر
محنـــطا آويـــا في كـــل مـــرزئـــة ... الى خـــراب عليـه العقـل ينـدحـر
وربَّ نـــائبـــة في أثْـــرِ نـــائبـــة ... تلقى الكـــلاكـل عنـدي ثم تنتـظر
وضحكــة بـدرت في غـير ساعتهـا ... عـــلى فؤاد من الـــلأواء ينفـطر
حتى الكـــواكب في لألآء طلعتهـــا ... اطفـــأتهـــا ودمـــوع القلب تعتصر[1]

واذا كان هذا وصفه لنفسه بعدما تقدم به السن فقد وصف نفسه بقوله :

ولـدت شيخـــــا أو أرى أنني ... خـلقت من قبـــل الثرى والجبال
كــــابـرت دهـري ثـم خلَّفْتُه ... يـدُّب من خـلفي دبيب النمـال

---

(١) الصوت والصدى ص ٢٥/٢٦ .

ويقول :

اليـــوم عنـــدي سنـــة مُـرَّةٌ والعـــام لا يـــوصف عنـدي بحـال
كم قـــد طـــواني حـين لم اطـــوه عمـــر شـديـد الـوطء جم النكـال
لـــو مت طفلا خلت اني بـــه معـــذب المهجـــة فيـــما اخـال[1]

ثم وصف نفسه وهو في الثلاثين من العمر قائلا :

ثـلاثـون عـامـاً يـالـطـول بقائنا ويـالمقـامي فـارغ النفس ثـاويـا
تعـاظمتهـا لا استزيـد بهـا الهوى واهـــدرتهـا ايـامهـا والليـاليا
وأوسعتهـا جـدا ولهـوا وحكمة وجهـلا وتـذكـارا لهـا وتنـاسيـا
فـان أكُ حَيًّـا في حسـاب زمـانها فقـد كنت في معنى الحقيقـة فـانيا[2]

وقال وهو في الخمسين من العمر :

أخمســـون عـــاما قـــد طـــويت كـــأنها
منــــام تـــو شِيـــهِ الـــرؤى وكـــذابها
وقـــد بـــرمت نفسي عـــلائـــل عيشهـــا
فكيف وقـــد وَلَّتْ واقبـــل صـــابهـــا[3]

وقال وهو في السابعة والخمسين :

اني الى المـــوت محجـــور فـــما رئتي حتى ولا كبـــدي فيـــما اكَبِّـــدُهُ
تلك التي بـين عيني حـين ابـذرهـا زهـــرا فتـأتي المنـايـا وهي تحصـده
وسبعـــة بعـــد خمسين مصادرهـــا مـــاء عـلى رنق مـا طـاب مـورده[4]

وهكذا نرى أن بذرة التشاؤم كانت قد بذرت في نفس الشاعر من عهد الشباب ، ثم أخذت تنمو مع الأيام والسنين حتى أصبحت شجرة باسقة تخيم بظلالها على حياته حتى انتهى به الأمر الى اعتزال الناس إلا من بعض أصدقائه الخُلَّص وخاصة أهله الذين كانوا يترَدَّدُون عليه بغية اخراجه من هذه العزلة التي فرضها على نفسه . حينما صدر ديوان الشاعر حمزة شحاته يرحمه الله الذي كنت مشاركا في جمعه وترتيبه بتكليف من صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله الفيصل مدَّ الله في عمره وحينما صدر هذا الديوان تأخر نشره في الأسواق ، فكان بعض من يعلمون باشتراكي في جمعه وترتيبه يطلبونه مني ، وكنت أجيب هذه الطلبات .

---

(١) الصوت والصورة ص ٣٢/ ٣٤ .
(٢) اجنحة بلا ريش ص ١١١ .
(٣) اجنحة بلا ريش ١٣٥/ ١٣٦ .
(٤) الصوت والصدى ٦١/ ٦٢ .

وفي ضحى أحد الأيام حضر اليَّ من مكة الاستاذ الشاعر / عبدالله جبر وهو يحمل في يده قطعة ورق صغيرة من حسين سرحان يرحمه الله يطلب فيها نسخة من الديوان ، وكان الاستاذ/ جبر يشعر بشيء من الحرج ، وهو يقدم لي هذه القصاصة من الورق ، فقدمها وهو يعتذر عن حسين سرحان ، ويشير الى ما وصلت اليه حاله . . . . . قلت لا عليك . . . . . انه من أحق الناس بأن يهدي اليه ديوان حمزة شحاته حتى دون أن يطلبه .

وقدمت اليه النسخة ولكني أدركت في نفس الوقت مقدار ما يعانيه يرحمه الله .

لقد طال بنا الحديث عن شعر حسين سرحان ولكني قبل أن يختم هذا الحديث أود أن اثبت له أبياتاً من قصيدة عنوانها « ايمان وتسبيح » يقول في مطلعها :

يـــاذا الجـــلال وذا الجـــمال وذا الكـــمال
رب العجـائب والغـرائب والمــــــواهـب
أبـــرمت أمـــرك أي علم غـــير علمـــك . . ؟
فـــاذا الحقيقـــة والحقيقة طـــوع حكمك
الكـــــون يمخـر في العمـاء أو الهـواء
والشـهب تبـدو في الفضـاء أو السـاء
والـــواقـف الـــراسي يـــزيـد تمـددا
والـدائـــر الجـاري يهـرول سـرمـــدا
وطبيـعـة مـرسـومــــة لا تنـكشـف
بـــارادة علـويــة لا تختـلف

ومنهـا :

سُبُّوحُ يـا قُـدُّوسُ يـارب الجنـود
لمَّـا مضـوا في التيــه وانتهكـــوا العهـود
هـــل كـــان مـــوسى غـــير عبـــد من عبيـدك
تـــركـوه واتبعـوا الهـوى في يـــوم عيـدك
أو كـــان عيسى يـــوم أرسـل من لـــدنكـــا
الا نبي جـاء بـــالانقـاذ منكــــا
أو كـــان أحمـــد في الصـراط المستقيم
الا صبـــاحٌ لاح في ليـل بهيـم
نشـأت جـوارحـه على تمجيـدكـــا
ودعـت أوامـره الى تـوحيـدكـــا

فـــــاذا البـريـــــة فـوق مفـترق الــــطـرق
واذا العقـول عــــــلى جلالــــك تفتـرق

ومنهـا :

أَحَـدٌ تـوحـدت الصفـات عـــــــلى ظـلالـه
وتبجَستْ سحب الــــــرغـائب من نـوالـه
وبـــــديـع كـون من ثـراه الى سمائـه
رمـز عليـه في دجـاه أو ضيــــائـه

ونختم هذه القصيدة بهذه الأبيات :

جـد بـــــالهـدايـة لا حيـاة بـلا هـدايــــه
وانف الغـوايـــــة لا كمـال مــــع الغـوايـــه
يـاذا الجـلال وذا الجمـال وذا الكمـال
رب العجـائـب والغـرائـب والمـواهـب

والقصيدة مناجاة للخالق وتسبيح بحمده وإجلال لقدرته المختلفة في عجائب الكون ، وهي من أجمل ما نظم حسين سرحان ، يرحمه الله .

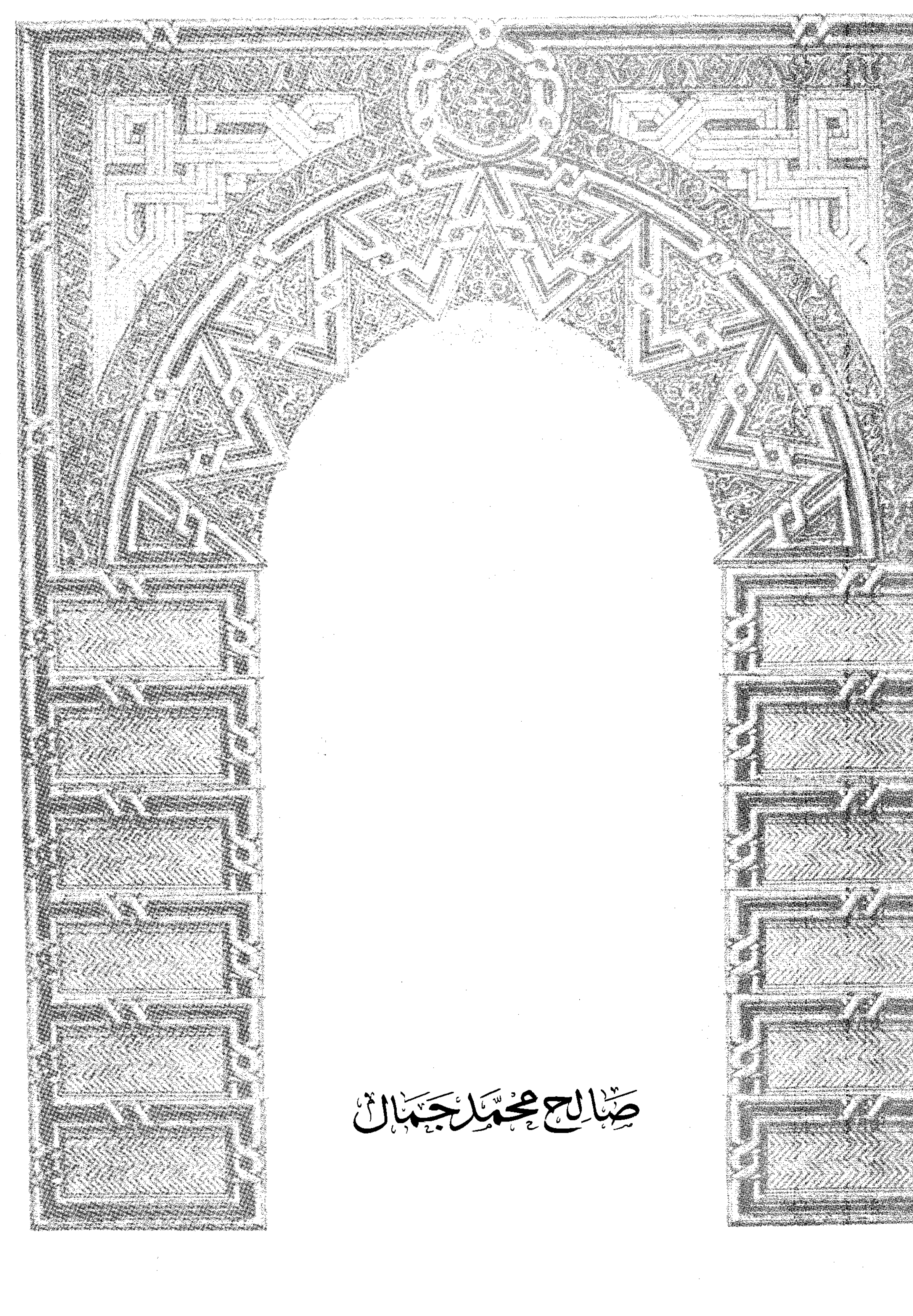
وفاة حسين سرحان :

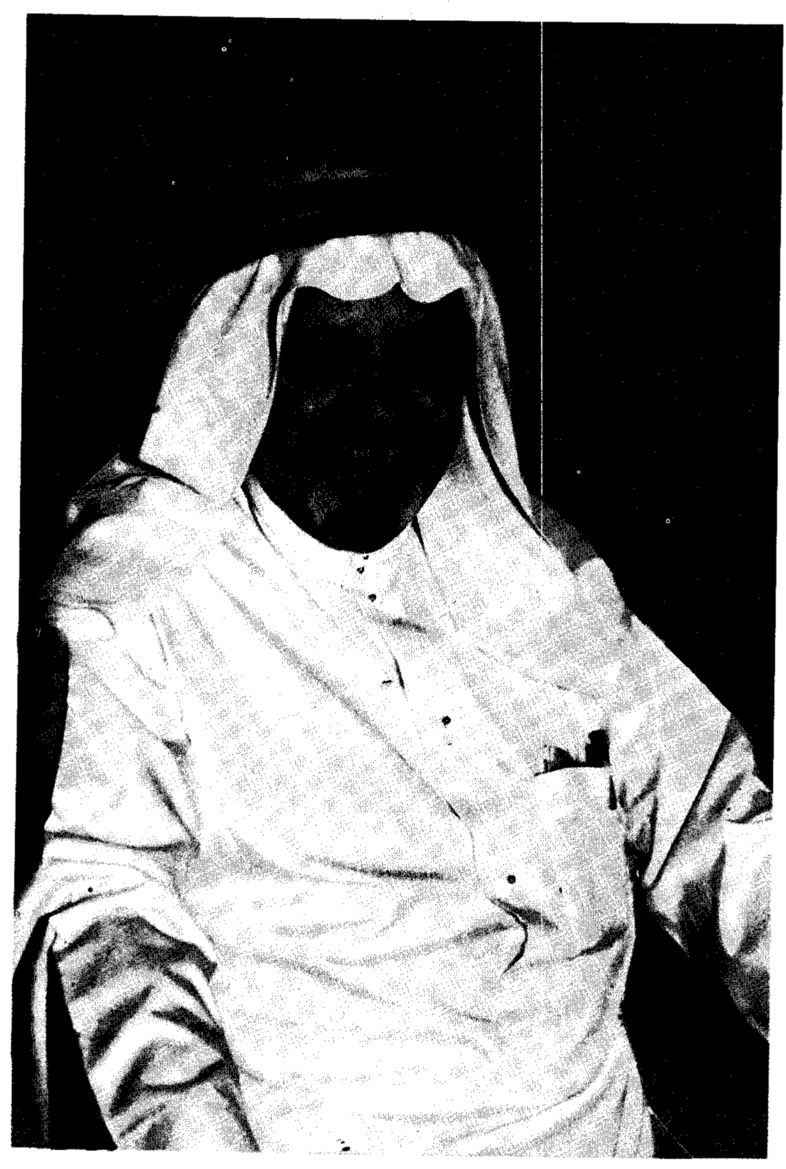
توفي حسين سرحان يوم الثلاثاء السادس من ذي القعدة سنة ١٤١٣هـ عن عمر يناهز الثمانين عاماً بعد عزلة طويلة عن الناس ، وبعد أن نحف جسمه من الضنى ، وخيَّمت على نفسه مشاعر اليأس والكآبة .

وقد فقدت البلاد بوفاته شاعراً كبيراً تميَّز من بين شعراء المملكة باسلوبه الذي يذكر القارىء بشعراء العربية الكبار في العصور الزاهية للشعر العربي فكان نمطاً فريداً بين شعراء عصره .

غفر الله لحسين سرحان ، وتغمده برحمات منه ورضوان .




صالح محمد جمال



صالح محمد جمال

صالح محمّد جمال

متوسط القامة ممتلىء الجسم في غير اسراف ، أبيض البشرة ، واسع العينين ، اقنى الأنف يطالعك بوجه دائم الابتسام ، تزيِّنه لحية لطيفة مخضوبة ، بعد أن سرى اليها الشيب .

ولد الشيخ صالح محمد جمال كما قرأت في مذكراته الشخصية عام ١٣٣٨ هـ في مكة المكرمة وأدخله أبوه مدرسة الفائزين ولكنَّ الطفل الصغير ترك المدرسة مرتاعاً بعد أن رأى القسوة التي يعامل بها بعض المدرسين تلاميذهم وكان الضرب في تلك الأيام عادة تكاد تَعُمُّ جميع المدارس ، الضرب بالعصا أو بالمسطرة على كفِّ اليد ، أو وضع الرجلين في الفلكة لمن يعتبرهم المدرسون مستحقين لعقوبة أكبر .

ولم ير أبوه بُداً من إغرائه وتحبيب المدرسة اليه فوعده بقرش كامل يأخذه يومياً إن هو ذهب الى المدرسة التحضيرية القريبة من منزلهم وانتظم فيها ، وفعل الاغراء فعله في نفس الطفل الصغير ، ولعل اختلاف وجوه المدرسين وربما طريقة تعاملهم مع التلاميذ ، وقرب المدرسة من المنزل كانت من الأسباب التي سكنَّتْ روع التلميذ الصغير وحبَّبت اليه المدرسة والمدرِّسين .

قضى صالح محمد جمال ثلاث سنوات في المدرسة التحضيرية ، انتقل بعدها الى المدرسة الابتدائية فقضى بها عامين حيث شجعه بعض أساتذته فيها الى الانتقال الى المعهد العلمي السعودي الذي أنشىء كمدرسة ثانوية في مكة المكرمة ، وبقي في المعهد العلمي سنتين ، واضطر أن يقطع دراسته بالمعهد ، ليخرج الى المجال العملي بعد أن اضطرته ظروفه العائلية الى ذلك .

كان والد صالح جمال تاجراً ميسور الحال يتجر في بعض المواد الغذائية مع شريك له وفسد الأمر بين الشريكين ، وتعثَّرت البقالة فأثَّرت على الوالد ، واضطر صالح جمال أن يقطع دراسته المتقطعة ابتداءاً ، ليلحق بوظيفة في بيت المال في مكة المكرمة كاتباً للوفيات بمرتب

مقداره واحد وعشرون ريالاً في الشهر ، وهكذا ترك المدرسة وهو في السادسة عشر من العمر ليدخل في سلك الوظائف والموظفين .

كانت الحياة رخيصة وتكاليفها هينة ، وكان المرتب الصغير مفيداً للاسرة وعوناً لها على تكاليف الحياة ، وخلال ستة أعوام تدرج كاتب الوفيات في المحكمة الشرعية الكبرى الى كاتب ضبط أول ، ثم الى كاتب ضبط ثان ، ثم أصبح مساعداً لرئيس كتاب المحكمة الكبرى ، وتدرَّج الراتب حتى وصل الى ستين ريالاً في الشهر .

وكان الكاتب الشاب موضع ثقة رؤسائه من القضاة فقربوه اليهم ، وأولوه اهتمامهم وكان بحكم عمله في كتابة ما يدور في الجلسات بين المتخاصمين ، وما يوجهه القضاة من أسئلة ، وما يعلقون عليه من اجابات يحيط بسير القضايا في المحكمة .

يقول صالح جمال عن القضاة الذين عمل معهم :

وقد اختصني منهم بالتعليم السيد/ محضار عقيل الذي كان اذا استوت القضية وآن أوان الحكم يمتحنني سائلاً : ماهو الحكم الآن . . . ؟

وكان الشيخ محمد زكي البرزنجي هو الآخر يطلعني على النص في كتاب الكشَّاف أو المنتهى وهما الكتابان المعتمدان للحكم على مذهب الامام أحمد ين حنبل في المحاكم .

يقول صالح جمال : وهذا ما أهَّلني بعد ذلك أن أشير الى مستند الحكم من النصوص حينما كنت أُعد صحيفة الحكم .

يقول صالح جمال : وهو مالم يسبقني اليه أحد من كُتَّاب المحكمة في ذلك الزمان ، ولا تزال تلك الصكوك مسجلة بسجلات المحكمة الكبرى في أوائل الستينات وموقعة بختمي الذي أحتفظ به الى الآن[1] .

هذه الوظيفة التي قام باعبائها صالح جمال أكسبته ثقافة لم يكن ليحصل عليها لو لم يتقلد هذه الوظيفة ، ولو لم يكن هو شخصياً مستعداً استعداداً نفسياً للتعلم والتدريب ، وقد بقي يعمل في المحكمة الكبرى عشر سنوات انتقل بعدها في سنة ١٣٦٥ هـ للعمل في الأمن العام مديراً للمستودعات ، فأتيحت له الفرصة لأن يضيف الى عمله الوظيفي عملاً آخر سيكون له أثر كبير في تكوين شخصيته في قابل الأيام .

مكتبة الثقافة :

كان العمل في الأمن العام ينتهي بانتهاء صلاة الظهر ، ووجد الشاب صالح جمال نفسه خالياً بعد ذلك فعمل أولاً وكيلا للاستاذ/ محمد حسين الأصفهاني موزع الصحف المصرية في جدة ، عمل صالح جمال وكيلا له في توزيع هذه الصحف في مكة المكرمة ، ثم تطورت

---

(١) مذكرات صالح جمال ص ٧/٨ مخطوط .

الفكرة الى شركة بينهما انضم اليها بعض أصدقائهما فتم تأسيس مكتبة الثقافة ، وحصلت الشركة على حق توزيع مجلات دار الهلال ، ودار أخبار اليوم ، وروز اليوسف ، ومجلتي الثقافة والرسالة ، واتسع العمل ونجح ، ولكن بعض أعضاء الشركة استقال للتفرغ لعمله الخاص ، وبقي البعض الآخر .

وبعدها أقدم الشاب صالح جمال على التفرغ للعمل ، واعطائه كل وقته .
استقال من عمله بالأمن العام وتفرغ للعمل في توزيع الصحف ، وأضاف اليها العمل في تجارة الكتب ، وهكذا بدأت مكتبة الثقافة صغيرة متواضعة ، ثم مالبث أن نمت وتطورت فاهتمت بنشر الكتب وتوزيعها .

قامت مكتبة الثقافة بنشر مؤلفات المؤلفين السعوديين الذين لا يستطيعون الانفاق على طبع مؤلفاتهم ، فنشرت ديوان الشاعر المرحوم/ طاهر زمخشري ، وكتاب تاريخ مكة لأحمد السباعي - يرحمهما الله ، وقد نجح الكتاب الثاني وتكرَّر طبعه أكثر من مرة ، ولكن الكتاب الأول تعثر توزيعه ، وقد تعلم الناشر صالح جمال من هذه التجربة ما يتطلبه سوق الكتاب ، وما يقبل عليه القراء من الكتب ، وما عنه ينصرفون .

يقول عن ذلك :
ألفت كتاباً اسمه « دليل الحاج المصور » جمعت فيه مناسك الحج والأدعية المأثورة ، وموجزاً لتاريخ مكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، والكعبة المشرفة ، والمسجد الحرام ، والمسجد النبوي ، وبعض الآثار في المدينتين المقدستين ، وقامت مكتبة الثقافة بطبعه ونشره وتوزيعه ، وقد طبع حتى الآن أكثر من عشر طبعات ، ولا يزال يطبع .

كما قمت بتحقيق كتاب « الدرة الثمينة في أخبار المدينة » لابن النجار من مخطوط وجدته في مكتبة نسيبي السيد بكر حمدي - رحمه الله - وقامت المكتبة بطبعه ونشره وقد طبع طبعتان .
واستأذنت ورثة الشيخ / رشدي ملحس - يرحمه الله - في اعادة طبع كتاب أخبار مكة للامام الأرزقي وأذنوا لي ، وقامت المكتبة - مكتبة الثقافة - بطبعه ونشره ، وقد جرى طبعه عدة مرات ، ولا يزال يطبع كلما نفذت طبعته .

وقامت المكتبة - مكتبة الثقافة - أيضا بطبع كتاب « الجامع الصغير لابن ظهيرة القرشي » وهو من مؤرخي مكة المكرمة ، ويتم توزيع هذا الكتاب في مواسم الحج ، ومثله كتاب الحكمة البالغة وهو مجموعة خطب منبرية[1] .

وقد ذكر الاستاذ/ صالح جمال الكتاب الذي جمع فيه مقالاته والذي سماه من أجل بلدي ، وسأتحدث عنه حينما نتحدث عن صالح جمال الكاتب الصحفي .

---

(١) مذكرات صالح جمال ص ١٢ مخطوط .

صالح جمال الصحفي والكاتب :

هيأت مكتبة الثقافة والعمل فيها لصالح جمال أسباب الثقافة ، واستكمال ما فاته من أسباب التعليم حينما اضطر الى قطع دراسته ، واشتغل بالعمل الوظيفي ، ثم بالعمل الحر في مكتبة الثقافة ، وكان قبل ذلك شاباً طموحاً يتمنى لبلاده أن تبلغ ما تستحقه من أسباب المجد والرفعة ، وليس مثل القراءة والاطلاع ما يحفز الشباب ويسلك بهم طريق الاصلاح .

عمل الاستاذ/ صالح جمال في جريدة البلاد السعودية أميناً للصندوق ، ثم مديراً للادارة ثم مشرفاً على الادارة والتحرير ، وبدأ ينشر مقالاته فيها ، ويكتب في غيرها من الصحف في ذلك الزمان ، وبدأ صالح جمال الكتابة في جريدة البلاد السعودية بتوقيع مستعار ، اختار حرف ـ الصاد ـ الحرف الأول من اسمه ليوقع به على الكلمات القصيرة التي تنشرها له الجريدة ، ويقول في تعليل اخفاء اسمه أنه لم يكن على ثقة من جودة ما يكتب ، وقد اختار صالح جمال الكتابة عما يتحدث عنه الناس من المشاكل اليومية التي يعانونها وكان من عناوين الكلمات القصيرة التي ينشرها : أحاديث الناس ، وحديث الجمعة ، وحديث الخميس وكل صباح ، ووجدت هذه الكلمات القصيرة صداها لدى القراء فشجّعه هذا على الاستمرار في الكتابة واظهار اسمه الصريح فيما بعد .

أما الموضوعات التي كان يتحدث عنها صالح جمال فيقول عنها :

كنت أتناول فيها أحاديث الناس الناقدة طبعا لأي موقف أو عمل جماهيري حكومي أو أهلي كالبلدية أو شركة الكهرباء أو الأوقاف أو المياه ، وأحياناً أكتب مقالات في المناسبة الدينية كالهجرة أو رمضان أو الحج ، وكان يكتب كذلك عن بعض الشخصيات من أعلام المسلمين كالرازي وابن سينا والخوارزمي وغيرهم تحت عنوان عباقرة العرب [1].

أحاديث الناس هذه التي تتحدث عن المشكلات اليومية التي يتعرض لها الناس ، والموجودة في كل مجتمع كانت علامة بارزة من اهتمامات صالح جمال صاحبته من مطلع شبابه منذ أن شرع قلمه للكتابة في الصحف ، واستمرت معه الى أن بلغ الشيخوخة ، ولم يقتصر التعبير عن هذه الاهتمامات على الكتابة في الصحف ، وانما تحولت الى أعمال ومشاريع اجتماعية تستأثر باهتمام الشيخ صالح جمال في المراكز العديدة التي شغلها فيما بعد ، والتي سنتحدث عنها بعد .

وقد استمر الاستاذ/ صالح جمال يكتب في هذه الموضوعات الاجتماعية التي تصادف الناس في حياتهم اليومية ، وبأسلوب يتسم بالشجاعة والصراحة ، وكنت أقرأ كلما يقع عليه نظري من هذه الأحاديث في الصحف اليومية ، وكنت أعجب دائماً بشجاعته وجهره بما يعتقد أنه حق وصواب .

---

(١) مذكرات صالح جمال ص ١٦ مخطوط .

ولقد جَرَّتْ هذه الشجاعة عليه بعض المشكلات فان الحق لم يكن ليرضى كل الناس ، ولكنه تحمل هذه الجرائر بايمان من يعتقد أن عليه أمانة واجبة الأداء ، وان أغضب البعض أو جرَّت عليه شجاعته المصاعب والمشكلات .

جريدة حراء :

أصدر الاستاذ/ صالح جمال جريدة حراء بعد أن انتهى عمله في جريدة البلاد السعودية التي انتقلت اداراتها الى جدة ولم ينتقل معها ، وكانت حراء تصدر أسبوعية كل يوم سبت ، وكانت تطبع في جدة في مطابع الأصفهاني .

يقول الاستاذ/ صالح جمال عن اصدار حراء مايلي :

اخترت لصدور حراء يوم السبت حيث لا توجد جريدة ، وصدر العدد الأول منها يوم السبت ٦ جمادي الاولى عام ١٣٧٦هـ ، وكان أخي أحمد « الكاتب الكبير والعلامة الاستاذ أحمد محمد جمال » مساعدي الايمن ، واستعد زميلي بالبلاد السعودية الاستاذ/ عبدالله الداري في التصحيح ، واستعد الاستاذ/ حسن قزاز أن يشارك بحكم اقامته في جدة بالاشراف على الطبع ، وكنت انا وأخي أحمد والاستاذ/ الداري ننزل كل ثلاثاء بعد الظهر الى مطابع الأصفهاني لنشرف على توضيب الصفحتين الداخلتين ٢ ، ٣ وكانت الجريدة من أربع صفحات فقط . ونأذن بالطبع ثم ننزل يوم الخميس لتوضيب الصفحتين ١ ، ٤ الحاملة لآخر الأنباء الخارجية ، وآخر الأحداث الداخلية والافتتاحية واجازتها ، ثم انتظار إتمام الطبع واصطحابها معنا الى مكة تمهيداً لاصدارها يوم السبت .

ويقول صالح جمال عن ظروفه المالية يوم اقدامه على اصدار صحيفة حراء :

واذا كان الكاتب الكبير الاستاذ/ مصطفى أمين يقول في مذكراته أنه أصدر صحفاً عدة كان آخرها أخبار اليوم بقروش كان يوفرها من مصروفه الخاص ، فانني قد أصدرت جريدة حراء بدون رأس مال ، فقد كانت مطابع الأصفهاني تطبعها على الحساب ، وكانت ادارة حراء في بيتي ، وكان التوزيع يتم في مكتبة الثقافة[1] .

واذا كان اظهار حراء في تلك الظروف المالية الصعبة التي ذكرها الاستاذ/ صالح جمال تدل على عصامية الرجل ، واقدامه ، واصراره على النجاح فلابد أن يذكر بالشكر الأصدقاء الذين ساعدوه في رحلته هذه الشاقة وهم :

أولاً : شقيقه الاستاذ/ أحمد وأصدقاؤه الاستاذ/ محمد حسين أصفهاني الذي سهَّل له الطبع في مطابعه والاستاذ الداري ، والاستاذ حسن قزاز الذين ساهما في التصحيح والاشراف بدون أي مقابل ، قوبلت حراء بالترحيب من القراء لأنها كانت تعبر عن أحاسيس الناس ومشاعرهم ازاء المشكلات اليومية التي يعانونها وأمدَّها الأدباء والكتاب بكتاباتهم فتسنَّمت مكانها المرموق في نفوس الناس الأمر الذي دفع مؤسسها الى التفكير في اصدارها

---

(١) مذكرات صالح جمال ص ١٧ مخطوط .

يومية فقام باستيراد مطابع دار الثقافة بمكة المكرمة . ولم يمض سوى عام ونصف العام حتى صدرت حراء من مكة المكرمة بعد ان كانت تصدر اسبوعية ، وصدر العدد الأول يوم ١٣٧٧/١١/١٢ .

يقول صالح جمال عن أوليات حراء مايلي :

ولأول مرة تنشىء صحيفة سعودية قسماً خاصاً بها يلتقط بواسطته الأخبار العالمية الطازجة من مصادرها ، ومن مختلف الاذاعات قبل أن تعرف الصحافة السعودية الاشتراك في وكالات الأنباء[١] .

ويقول كذلك :

صدرت حراء متطورة بالنسبة لصحافة المملكة ، فاستحدثت التحقيقات الصحفية المصورة عن وزارة الداخلية والزراعة بالمملكة ، ومدينة الرياض ، ومستشفيات جدة وغير ذلك من الموضوعات الحيوية التي كان يجريها الاستاذ أنور زعلوك المحرر بحراء[٢] .

كما استحدثت الزوايا والصفحات الخاصة مثل زاوية طبيبك ، وركن البوليس وركن المزارع ، واضحك مع فنان قديم ، ورَّوحوا القلوب ساعة بعد ساعة ، ومجتمع الطلبة وصفحة حراء الطبية ، وصفحة الرياضة ، والصفحة النسائية ، ومن أجل صحتك ، وكانت حراء كما يقول صالح جمال :

أول من كتب عن مشكلة لحوم الأضاحي والهَدْي واهدارها ووجوب الافادة منها وهي ـ حراء ـ أول من طالب بانشاء مدرسة لتعليم قيادة السيارات كما عالجت موضوع تطويف الحجاج في سلسلة مقالات بأقلام عدد من الكتاب تحت عنوان نحو مستوى أفضل للمطوفين والحجاج . . .[٣] .

دمج الصحف :

لم يمض على صدور حراء يومياً إلا بضعة شهور حتى أصدرت وزارة الاعلام أمراً بدمج الصحف فادمجت حراء والندوة في صحيفة واحدة تصدر باسم الندوة ، وعرفات والبلاد السعودية في صحيفة واحدة ، واشترى الاستاذ/ صالح جمال من الاستاذ/ أحمد السباعي صاحب جريدة الندوة حصته بعد ادماج الصحيفتين فتفرَّد بملكيتها واستقل برئاسة تحريرها ، ولم يلبث السباعي أن أصدر منفرداً مجلة قريش ، واستمرت حراء في خطتها القائمة على معالجة المشاكل اليومية للناس منذ باكورة صدورها .

---

(١) مذكرات صالح جمال ص ١٨/١٧ مخطوط .
(٢) أنور زغلوك هو الآن رئيس تحرير جريدة رأي الشعب التي تصدر بالقاهرة .
(٣) مذكرات صالح جمال ص ١٨ .

تحويل الصحف الى مؤسسات :

صدر أمر وزارة الاعلام بتحويل الصحف التي يملكها الأفراد الى مؤسسات صحفية يشارك في كل مؤسسة مجموعة من الناس بدلاً من أن تكون ملكاً لفرد أو أسرة ، واختارت وزارة الاعلام قائمة باسماء الأعضاء المؤسسين لجريدة الندوة كان من ضمنها اسم صالح جمال وأخيه الاستاذ/ أحمد جمال ولكن الأخوين اختارا الاعتذار بعد أن قدَّم صالح جمال من قبله قائمة لم تحظ بموافقة وزارة الاعلام ، وانتهى بذلك دور صالح جمال كصاحب صحيفة ، ولكن دوره ككاتب في جميع الصحف التي تصدر في المنطقة الغربية لم ينته فقد استمر يكتب بصورة أسبوعية في الصحف الثلاث الندوة ، والبلاد ، وعكاظ ، وكان في كل ما يكتبه انما يعبرعن المشاكل اليومية التي يعاني الناس منها في حياتهم اليومية وكان جريئاً كعادته من يوم أن بدأ الى أن توفاه الله .

من أجل بلدي :

وقبل أن أنهي الحديث عن صالح جمال الصحفي والكاتب يجب أن أشير الى كتاب متوسط الحجم ، جمع فيه مختارات مما كان ينشره في جريدة الندوة وأثبت تاريخ النشر ، ورقم العدد في كثير من الأحيان ، والكتاب من منشورات المكتب التجاري في بيروت وتم طبعه عام ١٣٨٤هـ الموافقة ١٩٦٤ للميلاد ، وهو متوسط الحجم في مائتين وأربعين صفحة من القطع المتوسط .

هذا الكتاب بموضوعاته المختلفة وتواريخ النشر المتقاربة أو المتباعدة تصور اهتمامات صالح جمال الكاتب بالهموم اليومية اذا صح هذا التعبير للمجتمع الذي يعيش فيه .

وبعض هذه الموضوعات حينما يقرأ القارىء يظن أنه يعالج مشاكل يومية مازالت قائمة يتحدث الناس عنها وتستأثر باهتماماتهم ، وهو في كلما يعالجه شجاع صريح ، يجهر برأيه في غير وجل ولا هيبة ، ينشد الحق ، والاصلاح ويبتعد عن الطعن والتجريح وقد جرَّ عليه أسلوبه هذا الكثير من المتاعب مع الكثير من الناس ، وتحدث هو عن بعض هذه المتاعب في مذكراته الشخصية ، كما أنه تلقى المكافأة عن بعض ما عالجه من الأمور باقتناع المسؤولين بآرائه ، . وأثبت ذلك كله في كتابه هذا من أجل بلدي .

والكتاب في مجمله شهادة حق لمؤلفه ، بشجاعة الرأي والجهر بالحق والسعي في الاصلاح والتعبير عن مشاعر المواطنين في غير تزييف ولا مغالاة ، وفي غير ادلال ولا افتخار ، ولمن رغب الاستزاده في هذا الباب أن يقرأ كتاب صالح جمال ، فهو خير من يعبر عن آرائه وعمله .

ونكتفي بهذا القدر عن صالح جمال الصحفي والكاتب لنتحدث عن صالح جمال في مجال آخر من مجال العمل الاجتماعي الذي لازمه كما قلنا من النشأة حتى الممات .

جمعية البر بمكة المكرمة :

كان الاستاذ/ صالح جمال هو أول من دعا الى انشاء جمعية للبر بمكة المكرمة في مقال نشره في

جريدة البلاد السعودية سنة ١٣٧١هـ ، وقد لاقت هذه الدعوة استحساناً عظيماً وقبولاً من الناس ، وافتتح التبرع لها معالي الشيخ/ محمد سرور الصبان ، وتولى الاستاذ/ عبدالله عريف ، التعريف بأغراض هذه الجمعية التي سميت هيئة صندوق البر في جريدة البلاد السعودية التي كان يتولى رئاسة تحريرها .

كانت أغراض الجمعية اجتماعية ، هي مساعدة الفقراء والمعدمين وخاصة من الأرامل والأطفال على ايجاد السكن المناسب وتقديم العون المادي للأسر المحتاجة ، وكانت دعوتها تقوم على حث الناس على التبرع لهذه الغاية بما يستطيعون ، وحث الموظفين بصورة خاصة على تخصيص مبالغ شهرية من مرتباتهم لهذه الغاية ، وتشكلت الهيئة من الاستاذ/ عبدالله عريف رئيساً .

والاستاذ/ صالح جمال أميناً عاما .

والاستاذ/ حامد مطاوع أميناً للصندوق .

والأساتذة/ أحمد محمد جمال ، وعمر عبدالجبار ، وعبدالعزيز ساب رحمهمُ الله ، وعبدالرازق بليلة وعبدالعزيز الرفاعي أعضاء .

واتخذت جمعية البر من جريدة البلاد مقراً لها في محلة الشامية ، وأقبل الناس عليها يمدونها بتبرعاتهم ، وساهم الموظفون خاصة بمبالغ تقتطع من مرتباتهم الشهرية وأقامت النوادي الرياضية مباريات خصصت ريعها لصالح الجمعية وحينها انشأت الدولة وزارة العمل والشؤون الاجتماعية ووضعت الأنظمة للجمعيات الخيرية حصلت جمعية البر على تصريح لها بالعمل باسم جمعية البر بمكة المكرمة .

وأعطى الاستاذ/ صالح جمال الكثير من وقته وجهده للجمعية بعد أن أختير رئيساً لها ، واني أنقل هنا من آخر تقرير للجمعية نبذة عن أعمالها .

لقد بدأت الجمعية عملها في سنة ١٣٧٢ مقتصرة على تقديم مساعدات مالية للأسر الفقيرة ، ثم تطورت أعمالها عندما نمت مواردها بأن أنشأت في فترة أزمة طاحنة في المساكن ، أول مجمع خيري سكني في حي الزهراء يحتوي على ٤٥ وحدة سكنية ، وأسمتها عمارة التوفيق ، ثم أنشأت مجمَّعاً آخر بحي المعابدة بجوار مسجد الاجابة يضم خمساً وأربعين وحدة سكنية أيضاً ، وأطلقت عليه اسم عمارة السلامة .

وأخذت تتوالى انشاء المجمعات السكنية على ضوء شدة الطلب ، وتزاحم المحتاجين اليها ، فأنشأت المجمع الثالث بالمسفلة عمارة الفوز ، والمجمع الرابع بجرول « عمارة الأمل » والمجمع الخامس بالتيسير « عمارة التيسير » والمجمع السادس « عمارة السعد » بالنزهة والمجمع السابع « عمارة الصلاح » بالهنداوية ، والمجمع الثامن بالمسفلة وبه ثلاث وعشرون وحدة سكنية .

وتبرع لها المرحوم الشيخ/ يوسف زمزمي بعمارة الزاهر بالزهراء ، والشيخ محمد سعيد

المداح بعمارة الرصيفة بالرصيفة ، وهاتان العمارتان خاصتان بالنساء ، والاستاذ/ عابد عجيمي بعمارة العوالي بالعوالي ، وعمارة جبل دفان .

فأصبح للجمعية بذلك عشر مجمعات سكنية تتكون من ثلاث عشرة عمارة مبنية على أحدث طراز معماري تشغلها ٢٧٨ عائلة ، وتتولى الجمعية ادارتها ونظافتها وحراستها وصيانتها .

وقامت الجمعية بمساعدة الشباب الراغبين في الزواج والذين عجزوا عن ايجاد السكن المناسب لظروفهم المالية ، قامت الجمعية بتقديم فرش شقة كاملة لكل عريس يثبت حاجته للمساعدة بعد بحث حالته ، والاطلاع على عقد النكاح ، وعقد استئجار الشقة وقد تقدم لها حتى الآن « كما يقول تقرير الجمعية السنوي » عدد من الشباب ، وجرى بحث حالاتهم كما تم فرش المساكن لهم .

وقد زاد عدد المتقدمين للزواج عن الثمانين .

الى جانب هذه الأعمال العظيمة ، وفي مقدمتها المساعدات العينية من الأرزاق والمساعدات النقدية الى آلاف الأسر الفقيرة بمكة ، وفي آخر احصاء لهذه الأسر بلغ تعدادها ثمانية آلاف وخمسمائة عائلة[1] .

هذه الأعمال العظيمة التي قامت وتقوم بها جمعية البر بمكة المكرمة ، والمؤلفة من رجال أفاضل من أهل البلد الأمين الذين ساهموا بأموالهم ومجهوداتهم في أعمالها ، واستقبلوا التبرعات لها من المحسنين ، وواصلوا العمل عاماً بعد عام حتى أصبحت الجمعية مثالاً يحتذى في العمل الطيب وتنميته والاستمرار فيه .

كان المرحوم الشيخ / صالح جمال هو أول من أطلق الدعوة لها وواكب أعمالها أربعين سنة منذ بدء وجودها في سنة ١٣٧٢ الى أن توفاه الله وهو يتولى رئاستها عام ١٤١١هـ .

بدأت الجمعية نبتة صغيرة في باطن الأرض ، ثم نمت حتى صارت شجرة عظيمة يانعة الثمر قوية الجذور ، وامتدت حتى أصبحت حديقة عظيمة تمتد ظلالها في أحياء مكة ، ويصل خيرها الى بيوت آلاف الأسر في البلد الحرام .

ولم يقتصر عمل صالح جمال على جمعية البر وحدها ، فقد شارك في مجالات كثيرة من مجالات العمل الاجتماعي في مكة المكرمة ، كان رئيساً للغرفة التجارية الصناعية في مكة المكرمة وكان رئيساً لمؤسسة مطوفي العرب ، وكان رئيساً للمجلس البلدي وكان عضواً في هيئات كثيرة لا مجال لتعدادها ، والى جانب هذا كله كان يدير أعماله الخاصة في مطابع ومكتبات الثقافة وكان يشارك في المناسبات الاجتماعية الكثيرة ، يشارك الناس أفراحهم وأحزانهم ، ولست أدري كيف كان يوزع أوقاته بين كل هذه الأعمال والواجبات التي أكسبته محبة الناس ، وثقتهم ، وقد تجلّت منزلته في قلوب الناس يوم وفاته ، وما تلاها من أيام .

---

(١) التقرير السنوي لجمعية البر بمكة المكرمة لعام ١٤١٢ ، ١٤١٣هـ ص ٨/٧ .

وفاة صالح جمال :

كنت مدعواً مع أصحاب شركات نقل الحج الى اجتماع مع معالي وزير الحج والأوقاف الشيخ عبدالوهاب عبدالواسع ضحى يوم السبت ٢٥ ذي القعدة ١٤١١هـ ، وفي قاعة الجلوس بالوزارة ، وجدت المرحوم الاستاذ/ صالح محمد جمال حاضراً لمقابلة الوزير في عمل يتعلق بحجاج المغرب وكانت المفاجأة سارة لكلينا ، فكلانا مشتاق للقاء الآخر ، وجلسنا جنباً الى جنب نتحدث ثم دعي الى مقابلة الوزير ، وحينما انتهت المقابلة دعيت مع أصحاب شركات نقل الحجاج للدخول الى قاعة الاجتماعات .

وغادرنا صالح جمال مودعاً الى مكة ، وقبيل المغرب هتف لي أحد الأصدقاء معزياً في وفاة صالح جمال ، أثر حادث مروري في طريق مكة ، لقد شاء الله أن يقود سيارته ، وكان قد تخلى عن قيادة السيارة منذ أعوام وأعوام .

ووقع القضاء الذي لا مفر منه ، وفاضت روحه الطاهرة الى بارئها وهو في الثالثة والسبعين من العمر يرحمه الله تعالى رحمة الأبرار .

توجهت الى داره في مكة معزياً ، وفوجئت بالشوارع المحيطة بمنزله في حي الزاهر مكتظة بالسيارات ، وبحركة المرور وقد توقفت ، فترجلت من السيارة وسرت الى المنزل الذي كانت الجماهير تتدفق عليه ، وشققت طريقي الى حيث يجلس أهله وفي مقدمتهم شقيقه ورفيق دربه الصديق العلامة الأديب الاستاذ/ أحمد محمد جمال ، وأبناؤه الدكاترة طارق وحسن وياسر صالح جمال ، والاستاذ/ فائز ، وماهر ، وبقية أهله وأصهاره .

كان الناس وقوفاً في صفوف طويلة متراصة الأمر الذي حدا بآل جمال الى الجلوس من كثرة ما أصابهم من الارهاق ، وكان سيل المعزين لا ينقطع .

لقد حضرت مكة كلها تعزّي في صالح جمال وشارك محبوه وأصدقاءه في المدن الأخرى في الحضور من جدة والطائف وغيرها .

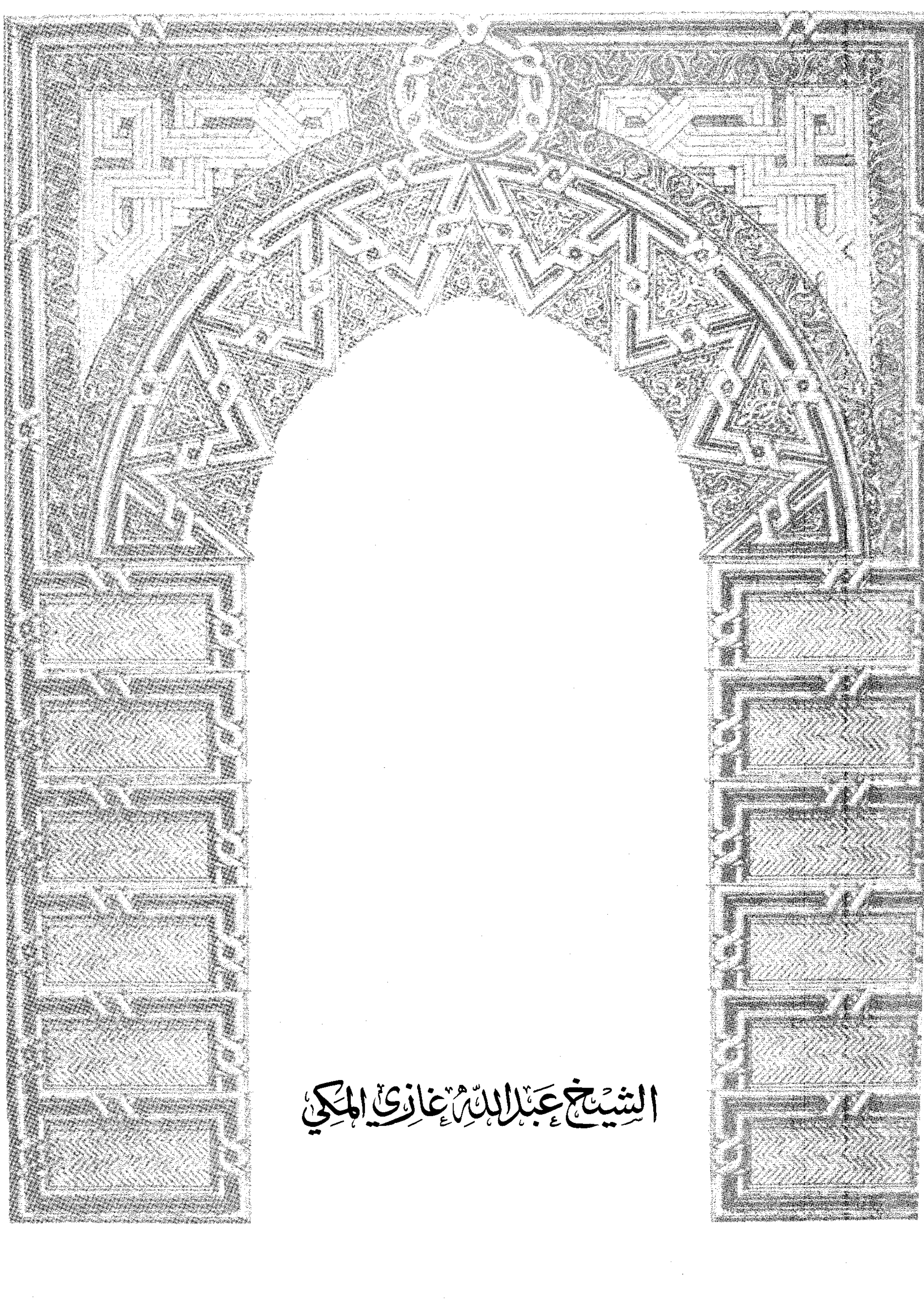
كان هذا الحشد الكبير هو أعظم تعبير عن فداحة المصاب في الرجل الفقيد وكان كل هؤلاء المعزون بهذا الحضور الكبير يعبرون عن المكانة التي كان يحتلها صالح جمال في نفوسهم من المحبة والتقدير .

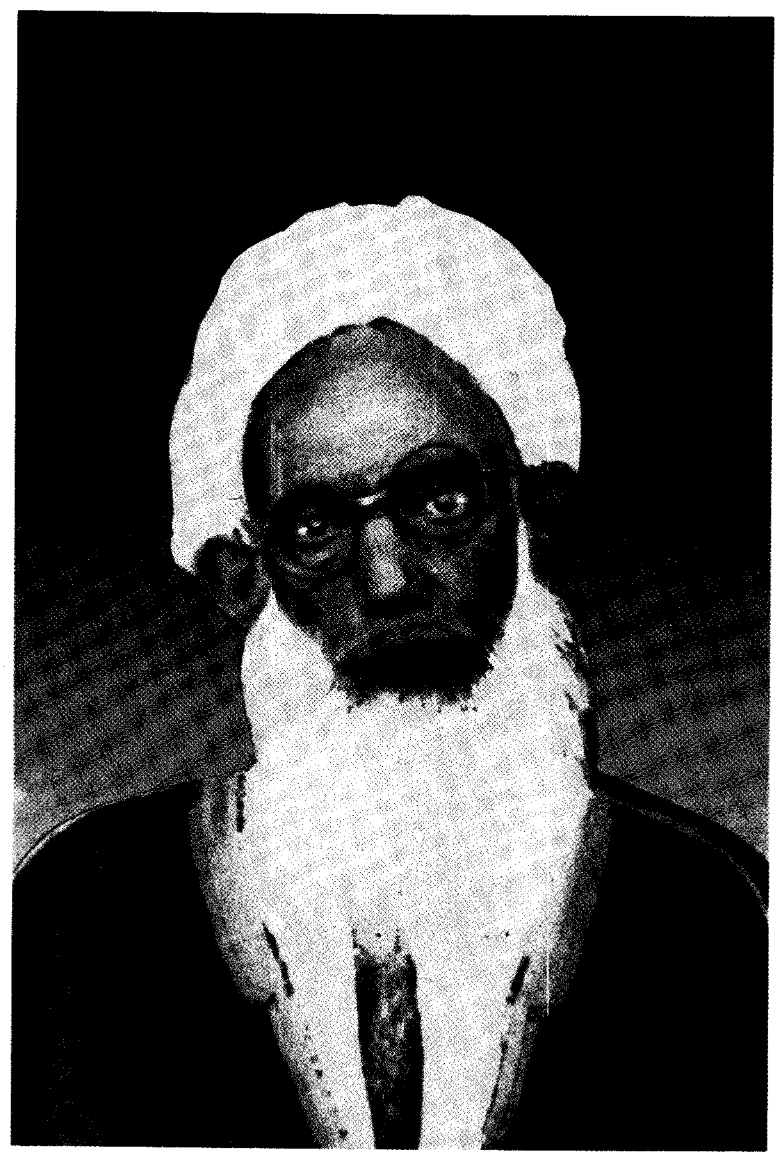
لقد أحب صالح جمال الناس منذ نعومة أظفاره ، وعبر عن هذا الحب بقلمه ولسانه وبعمله وانجازاته فأحبه الناس وأوسعوا له مكاناً في قلوبهم ، وأثنوا عليه الثناء كله .

رحم الله صالح جمال ، فقد كان مثالاً للخلق والصدق .

جهر بالحق في شجاعة ورجولة ، وعمل للوطن في دأب واخلاص ، وقضى حياته في اعانة المحتاجين ، وتيسير أمور الناس ما استطاع ، رحمه الله رحمة واسعة ، وأحسن جزاءه انه سميع مجيب .




الشيخ عبدالله غازي المكي



الشيخ عبدالله غازي المكي

الشيخ عبد الله غازي المكي

ولد الشيخ الغازي سنة ١٢٩٠ للهجرة كما ذكر ذلك الاستاذ/ عمر عبدالجبار في ترجمته له ، وذكر الشيخ/ طاهر الكردي تاريخ ولادته سنة ١٢٩١ للهجرة[١] وذكر الشيخ محمد نصيف أن الغازي وصل الى الحجاز وهو ابن سبع سنين وتلقى العلم بمكة وبها نشأ[٢].

وأياً كان الأمر فان الشيخ / الغازي بحكم نشأته بمكة وتعلمه بها ، وقضاء حياته فيها يعتبر عالماً من علماء البلد الحرام .

تلقى الغازي العلم في المدرسة الصولتية بمكة على أيدي الأساتذة الأفاضل من مدرِّسيها ، وحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب ، وأمَّ الناس في صلاة التراويح وهو ابن اثنتي عشرة سنة .

واجتمع بكثير من علماء عصره وأخذ الاجازة منهم على ما جرى به العرف في ذلك الزمان[٣].

عمل الغازي بعد تخرجه أميناً لمكتبة المدرسة الصولتية بمكة فحُبِّبت اليه القراءة فعكف عليها واشتغل بها ، وكان الرجل يعيش عيش الزاهدين يسكن في رباط بمكة يدعى رباط محمد باشا ، أو رباط الحنابلة قرب باب الزيادة ، جعل جزءاً صغيراً منه مكاناً لبيع الكحل ، واتخذه كذلك مكاناً مختاراً للقراءة والتأليف .

فرَّغ الغازي نفسه بعد أن قرأ الكثير من كتب التاريخ مطبوعة ومخطوطة لكتابة تاريخ مكة المكرمة ، فكان دائب الاشتغال بكتابة هذا التاريخ وجمعه وتنسيقه فاستوى له مالم يستو لغيره حينما ألَّف كتابه الموسوعي عن تاريخ مكة الذي سماه « إفادة الأنام بأخبار البلد الحرام » استعرض في هذا الكتاب الضخم كلما كتبه المؤرخون عن مكة وقسَّمه الى أبواب كثيرة تحدث

---

(١) كتاب التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ج ١ ص ٢٢/ ٢٣ .

(٢) انظر نظم الدرر في اختصار نشر النور والزهور ص ٢١٥ مخطوط .

(٣) انظر سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر ص ٢٠٢/ ٢٠٣ .

فيها عن عمارة الكعبة المعظمة عبر التاريخ ، وكذلك عن المسجد الحرام ، وعماراته وما مرَّ فيه من الحوادث والأحداث ، وشملت أبواب الكتاب تفاصيل دقيقة عن كلما يتعلق بالبيت المعظم والمسجد الحرام ، عن الحجر الأسود ، والميزان ، وسقف البيت ، والملتزم ، والحِجْر وكسوة البيت ، وعن المسجد الحرام ودار الندوة وزمزم ، وأبواب المسجد الحرام ومنائره والمدارس والأربطة حوله ، وسيول مكة وجبالها ، وأسواقها ، وآبارها والعيون التي جرت اليها ، وعن كلما يخطر ببال القارىء من تاريخ مكة عبر القرون ، ولو أردت استعراض الأبواب التي يضمها الكتاب لطال بنا الحديث .

لذلك فاني أكتفي بوصف مجمل للكتاب .

كتاب إفادة الأنام مخطوط في سبع مجلدات :

المجلد الأول : يقع في سبعمائة وثمان وأربعون صحيفة في كل صحيفة ستة عشر سطراً ، وفي نهايته هوامش تتكون من خمس وثلاثين صفحة بعضها خالٍ من الكتابة ، وهذا المجلد يحتوي على مباحث تتعلق بالكعبة المعظمة والبيت الحرام وما وقع فيه من أحداث عبر التاريخ وعن حارات مكة وأسمائها مما لا يتسع المقام لتفصيله .

المجلد الثاني : ويقع في ستمائة وواحد وثمانين صحيفة في كل صحيفة اثنى عشر سطراً ، وفي نهايته هوامش تتكون من ثلاثين صحيفة بعضها خالٍ من الكتابة .

وهذا المجلد يحتوي على مباحث تتعلق بأماكن المناسك كعرفة ، ومزدلفة ومنى ، كما يتحدث عن شعاب مكة ، وضواحيها ، وعن مقابر مكة والمدفونين بها من الصحابة والتابعين والعلماء وأعلام الرجال ومواضع دفنهم .

كما يتحدث عن العيون والبرك والمساقي والمطاهر ، والأربطة والمدارس الموقوفة بمكة المكرمة ، وأسماء مؤسسيها والموقوف عليها والأحداث التي وقعت في هذه الأوقاف عبر القرون ، كما يتحدث عن سيول مكة ، والأمطار التي نزلت عليها وتأثيرها على الناس في أوقاتها والعواصف والرعود ، وما الى ذلك عبر القرون .

كما يتحدث هذا المجلد عن الغلاء وأسعار الطعام والأوقات التي شحَّ فيها وما الى ذلك ، ويتحدث كذلك عن الأوئبة والطواعين التي حصلت في الحجاز ، ثم يتحدث عن قطع الطريق من قبل الأعراب وما يتعرض له الحجاج من النهب والفتك والقتال الذي وقع بسبب ذلك ، وفي النهاية يتحدث المؤلف عن المكوس والضرائب التي فرضت على البضائع الواردة الى جدة ومقدار جبايتها ، وما كان يأخذه الملوك منها ، وما يخصُّ شريف مكة فيها .

المجلد الثالث : ويقع في أربعمائة وواحد وخمسين صحيفة يتكون بعضها من ثلاث عشر سطراً ، والبعض الآخر من اثنتي عشر سطراً ، ويتبع هذه الصفحات ملحقات وهوامش تتكون من مائة وسبعين صحيفة ، وبخطٍ يختلف عن الخط الذي كتب به الكتاب الأصلي ،

وفي هذه الملحقات تطرق المؤلف الى مباحث أخرى تتعلق بتاريخ اليمن ونجد ، والبحرين ، وقبائل العرب وغيره مما يخرج عن تاريخ مكة والحجاز الى تواريخ البلاد العربية المجاورة .

ويتحدث المجلد الثالث عن المحامل التي كانت تصل الى مكة مع حجاج مصر والعراق والشام واليمن ، والصدقات التي رتبها السلاطين والملوك لفقراء الحرمين ، وعن حوادث أخرى متفرقة في مكة ، ثم يتحدث المؤلف في هذا الجزء عن حج الملوك والسلاطين ، وينتهي هذا المجلد بحج خديوي مصر عباس حلمي سنة ١٣٢٧ هجرية وقدوم السلطان وحيد الدين آخر خلفاء سلاطين العثمانيين سنة ١٣٤١ للهجرة .

الجزء الرابع : ويقع في ثلاثمائة وثلاث وخمسين صحيفة كل صحيفة ثمانية عشر سطراً ويحتوي هذا الجزء على ولاية الشريف الحسين بن علي مكة من قبل الدولة العثمانية ، ثم قيامه بالثورة عليها ، وأحداث هذه الثورة ، ويشتمل هذا الجزء على تاريخ الدولة الهاشمية في الحجاز الى سنة ١٣٤٢ ، وقد أتبع المؤلف هذا الجزء بخمس صفحات سجل فيها قصيدة شاعري الشام خير الدين الزركلي ، وشفيق جبري ، وكلتا القصيدتين موجهتان الى الشريف الحسين بن علي بعد خروجه من الحجاز ، وتولي السلطان عبدالعزيز بن سعود العرش ، ومطلع قصيدة الزركلي :

صبر العظيم على العظيم جبار زمزم والحطيم

وهي قصيدة مشهورة ، ومنشورة في ديوانه .

ومطلع قصيدة شفيق جبري :

ماذا جنيت فأنت اليوم مسلوبُ تاج الملوك وأنت اليوم مغلوب

الجزء الخامس : يقع في ثلاثمائة وخمس وستين صحيفة كل صحيفة حوالي عشرين سطراً ، ويضم بقية تاريخ الدولة الهاشمية في الحجاز وما أصدرته من نظم ، كما يضم الخلاف بين الشريف الحسين والسلطان عبدالعزيز ، والحرب التي وقعت بينهما وتنازل الشريف الحسين عن العرش لابنه علي ، ومغادرته جدة ، وكذلك عن أحداث الحرب بين الشريف علي والسلطان عبدالعزيز واتفاق الطرفين على تسليم البلاد للسلطان عبدالعزيز ، وما قامت به الحكومة السعودية من أعمال .

وينتهي الجزء الخامس بأحداث سنة ١٣٤٩ للهجرة .

الجزء السادس : يقع في ٧٣٥ صحيفة كل صحيفة فيها ستة عشر سطراً ، ويتحدث هذا الجزء عن ولاة مكة من بعد فتح النبي صلوات الله وسلامه عليه لها ، وولاتها في عهود الخلفاء الراشدين من بعده ، وفي الخلافة الأموية والعباسية ، كما يتحدث عن ولاة مكة من الأشراف ، والحوادث التي وقعت بينهم ، وكذلك عن الحوادث التي وقعت بمكة بين الأشراف ، وجيوش الدول التي كانت تحكم الحجاز أو تتطلع لولايته كالمصريين

والعثمانيين ، وكذلك عن استيلاء الدولة السعودية الأولى على الحجاز ، والحرب بينهم وبين محمد علي باشا والي مصر ، والأحداث التي وقعت بعد ذلك في مكة في العهد العثماني .

وتنتهي بأخبار الانقلاب العثماني سنة ١٣٢٦ للهجرة .

المجلد السابع : ويقع في سبعمائة وست وخمسين صحيفة تتكون كل صحيفة من ثمانية عشر سطراً ، ويتحدث المؤلف في هذا الجزء عن حدود بلاد العرب وتقسيمها وقبائلها كما يتحدث عن بلاد اليمن وأوديتها وزراعتها ، وحكامها من أول ائمة الزيدية ، وأحداث اليمن السياسية مع الدولة العثمانية الى أن يصل الى الامام يحيى حميد الدين ، كما يتحدث عن السلطنات اليمنية واحتلال الانجليز للمحميات التسع ، ثم يتحدث عن أبها وبلاد عسير ، وعلاقة آل عايض بالدولة السعودية ، ودخول الجيش السعودي أبها في سنة ١٣٤٠ ، ويتحدث المؤلف عن الأدارسة ، وابتداء دولتهم والحرب التي وقعت بينهم وبين الدولة العثمانية ، ثم انضمام الأدارسة الى الدولة السعودية وتسليم البلاد لها ، ويتحدث المؤلف بعد ذلك عن بلاد حضرموت وقبائلها وسكانها وأحوالهم ، ثم يتحدث عن البحرين ومدنها واستخراج اللؤلؤ منها وحكامها والأحداث التي وقعت فيها ، ثم يتحدث المؤلف عن الكويت وأحوالها وولاية آل الصباح لها ، وما وقع بين أمراء آل الصباح ، وطلب الشيخ مبارك الصباح الحماية الانجليزية ، والأحداث السياسية التي وقعت بها ، ثم يتحدث المؤلف عن بلاد نجد وحائل وعن أمراء آل الرشيد والأحداث التي وقعت بينهم الى حين استيلاء السلطان عبدالعزيز بن سعود على حائل ، ثم يتحدث المؤلف عن القصيم وعن مدن نجد وقراها وعن الاحساء والقطيف والعقير ، ويتحدث المؤلف كذلك في هذا الجزء عن أمراء آل سعود والأحداث التي وقعت بينهم ، واستيلاء آل الرشيد على الرياض وخروج الامام عبدالرحمن بن فيصل من نجد ، ثم عودة النجديين الى الرياض بقيادة الأمير الشاب عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود ، وانتصاره على آل الرشيد ، وعن علاقة ابن سعود بالأتراك والانجليز .

ثم يعود المؤلف بعد ذلك فيتحدث عن العرب البائدة والعرب العاربة والمستعربة وعن عادات العرب في الجاهلية ، وعن علوم العرب القديمة كالقيافة والفراسة وقصِّ الأثر وما الى ذلك .

ثم يتحدث المؤلف عن أسواق العرب ، والأودية والجبال ، ويعود المؤلف بعد ذلك للحديث عن طريق قوافل الحج من مصر ، ومن دمشق ومن القدس الشريف ، ومن صنعاء ، ومن العراق ، والرياض والكويت ، ثم يتحدث عن طرق المدينة الى مكة وطريق ينبع الى مكة ، والقبائل التي تسكن في هذه الطرق .

ثم يتحدث المؤلف عن سكان مكة بعد انتشار الاسلام من الأشراف والسادة والعائلات المشهورة .

ويتحدث كذلك عن أخبار مدينة جدة والأحداث التي وقعت بها ، ثم يتحدث عن الطائف وقراه وحصونه ومساجده .

ويختم الكتاب بذكر من دفن بالطائف من الصحابة والفضلاء والأمراء ، ويعتبر هذا المجلد السابع هو خاتمة موسوعة الشيخ عبدالله الغازي الكبيرة .

أسلوب التأليف :

أتبع المؤلف في كتابه هذا أسلوباً قد يكون جديداً بالنسبة لعصره ، وطريقة المؤلفين من قبله ، فهو يقسم الكتاب الى أبواب كثيرة ، يتحدث في كل باب منها عن قسم معين لا يتعدّاه الى غيره ، ويجمع في هذا القسم ما وصل اليه من كتابات المؤرخين قبله ويذكر أسماء الكتب التي نقل عنها ، وأسماء مؤلفيها .

فاذا تحدث مثلا عن الحجر الأسود ، ذكر ابتداء وضعه في مكانه بيد الخليل ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه وما ذكره المؤلفون قبله عن هذا الحجر ، ونزول جبرائيل عليه السلام به من الجنة ، ثم يذكر تاريخ الحجر الأسود ، وكيف اختلف القرشيون بسببه ثم وضع النبي صلوات الله وسلامه عليه في موضعه بعد أن جعل القبائل المختلفة تشترك في حمله ، وما فعله ابن الزبير بعد هدم الكعبة ، فأطال الصلاة حتى يتمكن من كلَّفَهُم بوضعه في مكانه ليجنب الناس أمر الاختلاف فيه ، ثم يستعرض الحوادث التي مرَّت بالحجر الأسود واستيلاء القرامطة عليه ، وأخذه معهم الى هَجَرْ ، واعادته بعد اثنتين وعشرين سنة ، ويذكر كذلك تَفَتُّت الحجر وما جرى من محاولات لاصلاحه عبر التاريخ ، وهكذا لا يترك المؤلف شاردة ولا واردة في الموضوع إلا وينقل ما كتبه المؤرخون عنها .

وهكذا يصنع المؤلف في كل موضوع يتحدث عنه ، فالكتاب بهذا الاسلوب يكاد أن يكون موسوعياً في المواضيع التي يتحدث عنها ، وأجمل ما فيه انه يخصص الحديث عن كل موضع في القسم الخاص به من الكتاب ، ولا يتجاوزه الى غيره ، بحيث يسهل مهمة الباحث ، فلا يضطره الى البحث عن هذا الموضوع في أقسام أخرى من الكتاب إلا في الحالات التي تقتضي الربط بين موضوع وآخر ، وهي قليلة جدا ، ولها ما يبررها .

والمؤلف يذكر مصادره غالباً باسم الكتاب الذي ينقل عنه ، وتارة باسم مؤلف الكتاب ، ولو أنه عمد الى توثيق ما ينقله بأرقام الصفحات وجعل لكل ذلك هامشاً لكان عمله أكمل ، ولكنَّ المؤلف كان يكتب في زمن لم يعرف الكثير من مؤلفيه وكُتَّابه هذا الاسلوب الوثائقي في التأليف ، وأنا شخصيا أعتبر الغازي مجددا في أسلوبه في التأليف بالنسبة لعصره لاتباعه أسلوب التقسيم الذي تحدثت عنه للمواضيع والأبواب ، ولذكره أسماء المصادر التي نقل عنها ، ولتعمّده نقل ما كتبه المؤلفون قبله بأسلوبهم دون تحريف ، وهي امانة لها قيمتها في النقل ، وأود أن أذكر أن هذا الاسلوب يسهِّل على الباحث الرجوع الى المصادر التي ذكرها

المؤلف ، وقد جرَّبت هذا شخصياً في مراجعة بعض الأبحاث التي ذكرها ، فوجدت الأصل الذي نقل عنه مطابقاً للنقل .

والروايات التي ينقلها الغازي عن المؤرخين قد تحمل بعض الاختلاف فينقلها بنصِّها ولا يتدخل فيها بتصحيح أو تعليق ، ولا يدلي برأيه الخاص في الاختلاف إن وجد ، فهو ينقل ما كتبه المؤرخون وبنسبه اليهم ، وهو بهذا يشبه شيخ المؤرخين الامام الطبري في طريقته في رواية الروايات وبعض هذه الروايات التي ينقلها الغازي مكذوبة ، وبعضها ملفَّق لا يقبله عقل ولكنَّ الغازي ينقلها بنصها ولا يبدي رأيه فيها ، ولا يعترض على ماهو منكر وظاهر البطلان .

وأسوق على ذلك رواية ذكرها في حديثه عن الماء في مكة وعن عيون مكة وآبارها .

فقد نقل الغازي عن كتاب « آكام المرجان في أحكام الجان » رواية منسوبة الى الشيخ نجم الدين خليفة بن محمود الكيلاني امام الحنابلة بمكة ، والذي كان يشرف على اجراء ماء العين الى مكة يقول فيها :

أنَّ رجلاً كان يعمل في الحفر فخرج مصروعاً يتكلم ويقول : نحن سكان هذه الأرض ولا والله مافيها مسلم غيري ، ولا يحلّ لكم أن تظلمونا ، وقد أرسلوني اليكم يقولون : لا ندعكم تمرُّون بهذا الماء في أرضنا حتى تقدموا لنا حقنا ، قلت وما حقكم . . . ؟ قال : تأخذون ثَوْراً فتزينونه بأعظم زينه ، وتلبسونه ، وتزفونه من داخل مكة حتى تنتهوا به الى هنا ، فاذبحوه ، ثم اطرحوا لنا دمه وأطرافه ورأسه في بئر عبدالصمد وشأنكم بباقيه ، وإلا فلا ندع الماء يجري الى هذه الأرض ، والرواية طويلة ظاهرة التلفيق وينتهي من منامه بأن الشيخ نجم الدين امام الحنابلة عرض الأمر على كبراء أهل مكة فاشتروا ثوراً وزَّينوه وألبسوه ، وخرجوا يزفونه الى الموضع الذي حدَّده رسول الجان لهم ، وقاموا بذبح الثور ، وألقوا رأسه وأطرافه ودمه في البئر التي سمَّاها ، فما أن طرحوا رأس الثور وأطرافه ودمه حتى جاء رجل الى الشيخ نجم الدين وأشار اليه بالحفر في موضع عيَّنه له ، فلما تمَّ ذلك كان الماء يموج في ذلك الموضع ، واذا طريق منقور في الجبل يمرُّ تحته الفارس فلما أصلح هذا الطريق ونُظِّف جرى الماء اليه يسمع هديره ، ولم يكن إلا أربعة أيام ، فاذا الماء بمكة وصار حول البئر مورداً . انتهى .

هذه الرواية منسوبة الى الشيخ شمس الدين الحنبلي ، ويعرِّفُه ناقل الرواية بأنه ابن القيم الجوزية ، ويصف من روى له الرواية بأنه من أصدق الناس وأعظمهم ديانة وأمانة ، وأهل البلد كله يشهدون له بالديانة والصدق وشاهدوا هذه الواقعة بعيونهم .

ويقول الشيخ الفاسي : بئر عبدالصمد المذكورة في هذه الحكاية لا تعرف الآن ، والعين المشار اليها عين بازان ويغلب على ظني أن ذلك جرى فيها لما عمَّرها أصحاب جوبان ، والله أعلم .

هذه الحكاية أوردها كذلك تقي الدين الفاسي في شفاء الغرام منقولة عن كتاب « آكام المرجان في أحكام الجان » والرواية هذه وقعت في سنة ست وعشرين وسبعمائة التي أجرى الامير جوبان نائب السلطنة بالعراقين الماء الى مكة(١) .

ولقد عجبت من ذكر الغازي هذه القصة وهي ظاهرة الخرافة والتلفيق ، وعجبت أكثر من رواية الفاسي لها فهذا العمل إن صحَّ فهو يدل على أن الخرافة في مكة في ذلك الزمان حلَّتْ محل العقل ، وأن الشعوذة استولت على عقول الناس فتوارت العقيدة الصحيحة لتفسح المجال لأوهام الدجالين والمشعوذين ، وإلا فكيف تقبل عقول الناس حكاية كهذه الحكاية التي يَزُفُّ فيها المكيون ثوراً يزيِّنونه ويلبسونه أحسن الحلل ، ويخرجون به من مكة في موكب بالطبل والزمر ، حتى يوصلونه الى منى فيذبحونه ، ويلقون رأسه وأطرافه ودمه في بئر استجابة لطلب الجن الذين يتحكمون في الماء فيجرونه أو يمنعونه ، ونجد هذه الرواية منسوبة الى نجم الدين خليفة بن محمود الكيلاني أمام الحنابلة المعروف بصدقه وأمانته ويتحسر في نهايتها شمس الدين الحنبلي الذي هو ابن القيم الجوزية على أيام الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب الذي يفرق منه الشيطان ، فيجري ماء النيل دون أن يذبح له عصفور .

ترى هل نسي الشيخ شمس الدين ، والشيخ نجم الدين إمام الحنابلة ، هل نسوا الآية القرآنية الكريمة في حرمة الذبح لغير الله تعالى .

حُرِّمَتْ عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ، وما أُهِلَّ لغير الله به . . الى آخر الآية الكريمة ؟ وأين علماء مكة من هذا الحدث البالغ الخطورة ؟

هذه الحادثة لم يقبلها عقلي ، ولم أوردها لأنها كانت ظاهرة التلفيق والكذب وقد أيَّد ذلك عندي حادثة أخرى رواها الشيخ الغازي منقولة عن كتاب بلوغ القرى للعلامة عمر بن فهد ، في سنة ٨٩٠ ، وهي تشبه الحادثة الأولى بنصها ورد فيها اسم المحتسب سنقر الجمالي ووظيفته شاد العمائر السلطانية ، وقد خرج الموكب من بيت المحتسب بالثور المزين بالملابس والحلل ، والطبل والزمر الى بركة ماجن في أسفل مكة ، وسار الموكب بعد ذلك الى أعلى مكة بسوق الليل والى بئر المظلمة التي يبدو أنها كانت في أعلى مكة بسوق الليل ، وقد زُفَّ هذا الموكب الخرافي لان مجرى عين عرفة ودبولها عميت على القائمين عليها فأرادوا بتقديم هذا الثور أن يستعينوا على معرفتها ، ولكنَّ ابن فهد الذي روى هذه الحادثة لم يذكر ما أسفرت عنه من نتائج كما وقع بالنسبة للثور السابق(٢) .

إن تكرار هذه الحادثة يدلُّ على أنها من الروايات المكذوبة التي يتداولها الناس في العهود التي تشيع فيها الخرافات والجهل ، ويستولى فيها المشعوذون على عقول العامة وأشباههم ، ولكن الغريب في الأمر ان هذه الخرفات يسجلها مؤرخون أمثال تقي الدين الفاسي ، وعمر بن فهد ، وهما من علماء مكة ومؤرخيها .

(١) انظر ذلك في شفاء الغرام ج ١ ص ٣٤٧/٣٥٠ .

(٢) انظر إفادة الانام مجلد ٢ ص ٣٠٥/٣٠٦ .

لقد امتنعت عن إيراد هذه الرواية فيما نقلته عن الغازي ، لأني موقن بعدم صحة وقوعها ، ولست أدري إن كان نقل الغازي لها إنما تم على طريقته في النقل على مسئولية المنقول عنهم ، أو أنه كان موقناً بصحة ما ينقل ، والطريقة التي أراها صحيحة هي أنه اذا كان لابد من أداء الامانة في النقل فإن الواجب هو التأكد من صحة ما ينقل عن المؤرخين ، أو إبداء الرأي في ذلك وهو أضعف الإيمان .

أما نقل الاخبار المشوهة والخرافية دون تعليق فهو يقدم للقاريء صورة مشوهة عن زمن الرواية وأهله .

ونعود بعد هذا الاستطراد الى إكمال الحديث عن الغازي وكتابه إفادة الانام .

لقد ذكرنا موجزاً عن المواضيع التي تطرق اليها الغازي في المجلدات السبعة التي تضمها موسوعته الفذة ، والتي بلغت صفحاتها أربعة آلاف وثلاثمائة وأربع وعشرين صفحة ، والتي أوقف حياته على تدوينها ، فقد ذكر معاصروه أن الرجل كان مشغولاً بالكتابة والتأليف في حانوته الصغير وكان لا يمرُّ به أحد إلا ويراه عاكفاً على الكتابة ، والأوراق بين يديه ، والكتب أمامه ، ولم يكن إفادة الانام هو الكتاب الوحيد الذي ألفه الغازي ، ولكنه أهم كتبه وأجمعها .

وقد اخترت أن يكون ما أكتبه عنه مستمداً من هذا الكتاب الهام ، وأسارع فأقول إن هذه الصفحات الكثيرة التي سيقرأها القاريء مختارة من المجلدين الأول والثاني ونصف المجلد الثالث ، والسبب في ذلك هو أنني اقتصرت في اختياري على أخبار مكة والكعبة المعظمة والمسجد الحرام وما يتعلق بهما ، وحارات مكة ، ومساجدها ، وجبالها ، وآبارها ، وعيونها ، وبالمشاعر المقدسة وما يتعلق بها عبر القرون ، وأود أن أذكر كذلك انني لم أنقل عن الغازي كل ما أورده في هذا الصدد وإنما نقلت عنه الاخبار أو الاحداث التي لم ترد فيما كتبته سابقاً في هذا الصدد ، فقد سبق لي أن لَخَّصْتُ كتابَيْ الشيخ حسينٍ باسلامة عن المسجد الحرام والكعبة المعظمة في الجزء الثاني من أعلام الحجاز[1] كما لَخَّصْتُ كتاب أحمد السباعي تاريخ مكة[2] ، وجزءاً من كتاب تاج تواريخ البشر لأحمد محمد الحضراوي[3] في الجزء الثالث من أعلام الحجاز .

ولقد كان كتاب إفادة الانام للغازي مصدراً من أهم مصادر السباعي في كتابه تاريخ مكة كما أن الشيخ حسين باسلامة قد استعرض نفس المصادر التي استقى منها الغازي فحرصت أن يكون ما أنقله عن إفادة الانام ، مما لم يسبق لي الحديث عنه في الترجمات التي ذكرتها آنفاً حرصاً على عدم التكرار ، وقد أشرت الى ذلك فيما نقلته .

---

(١) أعلام الحجاز ج ٢ ص١٨/ ١٢٤ .

(٢) أعلام الحجاز ج ٣ ص١٢/ ٧٤ .

(٣) أعلام الحجاز ج ٣ ص٨٣/ ١٣٠ .

كما انني لم أتعرض للحوادث السياسية التي خصَّص الغازي لها أبواباً كثيرة لان الحديث عنها ليس مكانه هذه الترجمة ، ولكنها ستكون مصدراً هاماً لمن يرغب الكتابة عن تاريخ الحجاز السياسي عبر القرون .

فقد جمع الغازي في إفادة الانام الكثير من أخبار الحوادث السياسية ، ولا شك عندي أنه كان أحد المصادر الهامة للأستاذ أحمد السباعي في كتابه تاريخ مكة .

هناك مسألة أخيرة لابد من ذكرها . .

كان الغازي حريصاً على أن يسجل كل ما يصل اليه علمه من تاريخ مكة وغيرها من البلاد العربية ، وكان في نفس الوقت شديد الحرص على أن يظلَّ كتابه هذا مخطوطاً لا يُطبع ولا يُتداول بين الناس .

رأيت هذا مسجلاً في النسخة التي تفضل بإهدائها اليَّ صديقنا العلامة الدكتور عبدالوهاب أبو سليمان ، وهي مصورة عن النسخة المخطوطة التي اشتراها كبير جدة الشيخ / محمد نصيف من الغازي ، والتي ذكر في جميع أجزائها حرص المؤلف الشديد على عدم سماحه بطبعها ، وكأن الشيخ محمد نصيف يرحمه الله يؤكد تعهده للمؤلف بذلك .

وعلى أي حال فإن رغبة المؤلف قد احترمت حتى الآن .

ولا شك عندي ان الدافع للشيخ الغازي على إبقاء كتابه مخطوطا ، وعدم تداوله ان الرجل تحدث عن أحداث كثيرة في أزمان مختلفة فهو من مواليد عام ١٢٩١ ، وقد عاصر الاحداث الكثيرة التي وقعت في مكة خاصة ، وفي الحجاز والعالم من حوله عامة ، عاصر العثمانيين ، وأمراء الأشراف في العهود العثمانية ، كما عاصر الدولة الهاشمية في عهد الملك حسين بن علي وابنه الملك علي بن الحسين ، وعاصر كذلك الدولة السعودية من بداية عهدها في الحجاز الى أن توفاه الله سنة ١٣٦٥ للهجرة[١] وقد ظلَّ الرجل يواصل الكتابة طيلة حياته ، حتى استوى له هذا الكتاب الموسوعي العجيب ، ولا شك عندي ان الرجل خشي أن يكون في بعض ما كتبه ودوَّنه ما لا يرضى عنه البعض من الناس ، فآثر السلامة ، وأصرَّ على أن يبقي ما كتبه مخطوطاً لا تصل اليه الأيدي والابصار ، ولا شك عندي انه لو لم يثق ثقة تامة بالشيخ محمد نصيف لما قدَّم اليه كتابه أو باعه له ، فقد قال الشيخ / محمد نصيف ان الكتاب مملوك له ، كتب ذلك في مقدمة المجلد الاول بخطه الذي أعرفه جيدا ، وفي الاجزاء الاخرى .

وفي رأيي ان الكتاب يحتوي على كل ما يتعلق بتاريخ مكة عبر القرون ، وهو جدير بأن ينشر في اجزاء متسلسلة يحمل كل جزء منها موضوعاً خاصاً ، وحبذا لو تكلفت إحدى الجامعات بتحقيقه والتعليق عليه من قبل رجال متخصصين ، وطبعه ونشره .

فإن الكتاب يعتبر مصدراً هاماً من مصادر تاريخ مكة المكرمة عبر القرون .

---

(١) التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم مجلد ١ ص ٢٢/٢٣ .

مؤلفات الغازي :

ألَّف الغازي كتبا ذكرها مترجموه وهي :

- إفادة الانام في سبع مجلدات مخطوط وهو الذى نقلنا منه مختارات في هذه الترجمة .
- مجموع الأذكار من أحاديث النبي المختار .
- رسالة في ذم اللعب واللهو سمَّاها « كشف ما يجب من اللهو واللعب » .
- رسالة في الفرائض سماها « بيان الفرائض شرح بدائع الفرائض » .
- فتح القوي في ذكر أسانيد السيد حسين الحبشي العلوي .
- تنشيط الفؤاد من تذكار الاسناد ، أو إرشاد العباد الى طريق الاسناد ، في مجلدين .
- نظم الدور في اختصار نشر النور والزهر ، وهذا الكتاب اختصار لكتاب الشيخ عبدالله مرداد أبو الخير الذي يضم تراجم لعلماء مكة من القرن العاشر الى القرن الرابع عشر ، ولايزال اختصار الغازي لهذا الكتاب مخطوطاً ، ولكن ظهر اختصار آخر لهذا الكتاب ، وترتيبه وتحقيقه للأستاذ محمد سعيد العامودي ، يرحمه الله ، والأستاذ أحمد علي ، أمدَّ الله في عمره .
- نثر الغرور في تذييل نظم الدرر في تراجم علماء مكة المكرمة ، وفي هذا الكتاب المخطوط أورد الغازي تراجم لعلماء مكة الذين لم يرد ذكرهم في كتاب عبدالله أبو الخير مرداد حيث توفي عام ١٣٤٣ للهجرة ، وهو في نظري مرجع لتراجم علماء مكة في عصر الغازي نفسه لانه يترجم للعلماء الذين عاصرهم في القرن الثالث عشر والرابع عشر للهجرة[١] .

وبعد فقد أطلنا الحديث عن الغازي وكتابه إفادة الانام ، وآن لنا الآن أن نفتح صفحات هذه الموسوعة لنقدم للقاريء مختارات منها .

* * * *

(١) انظر ثبت مؤلفات الغازي في سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر للهجرة ص ٢٠٢ / ٢٠٣ .

بناء الكعبة في عهد قريش

ذكرنا في الجزء الثاني من أعلام الحجاز بناء قريش للكعبة قبل الاسلام ، وقد جاء فيه أن السفينة التي انكسرت قرب ساحل جدة والتي اشترت قريش أخشابها كانت لرجل رومي يتجر الى بندرٍ وراء ساحل عدن .

ونقل الشيخ الغازي في إفادة الانام رواية أخرى نوردها بنصها إكمالاً للموضوع قال الاموي : كانت هذه السفينة لقيصر ملك الروم يحمل فيها الرخام والخشب والحديد مع باقوم الى الكنيسة التي أحرقها الفرس بالحبشة ، فلما بلغت قرب مرسى جدة ، بعث الله عليها ريحا فحطمتها .

نجار قبطي بمكة يصنع سقفاً للكعبة :

ونقل الغازي عن ابن اسحق أنه كان بمكة قبطي يُعْرَفُ بنجر الخشب وتسويته فوافق قريشاً أن يعمل لهم سقفاً للكعبة ويساعده باقوم[1] .

دعائم الكعبة من العود القافلي :

ذكرنا في الجزء الثاني من أعلام الحجاز أن عبدالله بن الزبير جعل على الكعبة وأساطينها صفائح الذهب وجاء في إفادة الانام رواية أخرى نوردها فيما يلي :

جاء في ذكر بناء ابن الزبير للكعبة أنه جعل فيها ثلاث دعائم في صف واحد ، وكانت قريش قد جعلت فيها ست دعائم في صفين .

يقول لبيب البتنوني في الرحلة الحجازية عن هذه الدعائم الثلاث أنها من العود القافلي عليها مقاصير ترتكز على حائط الميزان من جهة ، وحائط الحجر الاسود من جهة أخرى ، وقطر كل عمود نحو ثلاثين سنتيمتراً ، وهي من زمن عبدالله بن الزبير ، وقيمتها أكبر من أن يقدر لها ثمن ويقال أن عليها كتابة محفورة ولكني لم أرها[2] .

---

١ ـ إفادة الانام مجلد ١ ص ٢١٥/٢١٦ .

٢ ـ إفادة الانام مجلد ١ ص ٢٦٥/٢٦٦ وانظر الرحلة الحجازية ص ١٠٦ .

أراد السلطان أن يجعل حجارة الكعبة من الذهب والفضة :

نقل الغازي عن السيد أحمد دحلان في السالنامة الحجازية أن السلطان أحمد بن السلطان محمد بن مراد سليم الثاني بن سليمان الأول فاتح مصر أنه أراد أن يجعل حجارة الكعبة المعظمة ملبَّسة حجراً بالذهب وحجراً بالفضة ، فمنعه شيخ الاسلام المولى محمد بن سعد الدين وقال له : هذا يزيل حرمة البيت ، ولو أراد الله سبحانه وتعالى لجعله قطعة من الياقوت فكفَّ السلطان عن ذلك[١] .

لون الحجر الأسود من الداخل :

ذكرنا في الجزء الثاني من أعلام الحجاز ما أورده المؤرخون عن الحجر الأسود والحوادث التي تعرض لها ونضيف إلى ذلك ما ذكره الشيخ الغازي إكمالاً للفائدة .

جاء في ذكر عمارة الكعبة الشريفة في العهد العثماني ما يلي :

وفي سابع رجب حضر مولانا الشريف وبعض أبناء عمه وجملة من الأعيان ، وأرباب العمارة ، وأرادوا خلع الحجر الأسود لتمكينه في محله على وجه الكمال ، فما أمكن لهم ذلك ، وغاية ما قدروا عليه رفع الحجر الذي فوقه .

يقول المؤلف : وأخبرني مولانا الشيخ عبدالعزيز الزمزمي ، وكان حضر هذا المجلس معهم أنه رأى باطن الحجر ، وأن لونه أشهب ، وأنه مربع كتربيع المفتاح[٢] .

أقول : كانت عمارة السلطان سليم العثماين للمسجد الحرام بدأت في سنة ٩٨١ للهجرة واستمرت حتى سنة ٩٨٤هـ ، وقد كانت عمارة عظيمة أبدلت فيها السقوف الخشبية بالقباب الموجودة حاليا ، وتوفي السلطان سليم قبل إتمامها فأكملها السلطان مراد الثاني[٣] ونقل الغازي عن الشيخ محمدبن علان الصديقي وهو يتحدث عن شظايا الحجر الأسود حينما تفتت بعضها وأخرجت في عمارة الكعبة الشريفة التي حدثت في عام ١٠٣٩هـ .

يقول محمد بن علان وأخبرني الجمَّال الوقاد أن لون ما انكشف من الأحجار التي تفتت أخضر زيتي ، وقال غيره فيه شوب صفرة كالمحبب بالزعفران[٤] .

أقول : العمارة التي حدثت في سنة ١٠٣٩هـ كانت بسبب سقوط الجدار الشامي للكعبة ، كما سقط بعض جداريها الشرقي والغربي ، وقد فصّلنا ذلك في الجزء الثاني من أعلام الحجاز[٥] .

---

(١) إفادة الانام مجلد ١ ص ٢٨٠ .
(٢) إفادة الانام مجلد ١ ص ٢٠٠ ـ ٢٠١ .
(٣) انظر اعلام الحجاز ج ٢ ص ٢٤ ـ ٢٧
(٤) إفادة الانام مجلد ١ ص ٣٤٥ .
(٥) انظر اعلام الحجاز ج ٢ ص ٧٢ وما بعدها .

ذرع الحجر الأسود :

وجاء في الرسالة التي ألفها الشيخ / محمدبن علان الصديقي الشافعلي والتي سماها «العمل المفرد في فضل وتاريخ الحجر الأسود» مايلي :

ولون ما يستتر من الحجر الأسود بالعمارة في قدر الكعبة أبيض بياض حجر المقام ، وذرع طوله نصف ذراع بذراع العمل ، وعرضه ثلث ذراع ، ونقص منه قيراط في بعضه لتآكل ذلك المحل منه ، وسمكه أربعة قراريط[1] .

أقول : قد يرى القارىء في وصف لون الحجر الأسود اختلافا بين الرواة ، ولعل مرد ذلك إلى وصف كل منهم للألوان حسب تقديره لها ، وحسب الأوقات التي تمت فيها الرؤية وتعرض الحجر للضوء ، ولكن الأوصاف كلها متقاربة في حقيقتها .

إحضار خشب الساج من بيوت جدة لعمارة الكعبة :

ويقول الشيخ / محمد بن علان في حديثه عن عمارة الكعبة الشريفة في العهد العثماني : وفي يوم السبت بوم عيد المعراج ، أصبح ابن شمس الدين من جدة ، وقد عيَّن لسقف الكعبة من خشب الساج من بيوت جدة ، وينتقد ابن علان شمس الدين هذا فيقول :

وارتكب في جمعه ما يجازيه الله تعالى عليه في عرصات القيامة ، فكم أخرب بيتا وهدم وقفا ، والبيت في غنى عن ذلك ، وقد كان بغير سقف في بناية ابراهيم عليه السلام .

وقد ألهم الله قريشا في الجاهلية أن لا يدخلوا في البيت شيئا غصباً وأن إخراج أذرع منه إلى الحجر أهون من إدخالهم ذلك فيه فانتبه[2] .

أقول : لم يقدم الشيخ / بن علان تفصيل ما اغتصب من بيوت جدة تأييدا لما أورده عن ذلك ، أما عن المعراج فإن يوم المعراج هو يوم السابع والعشرين من شهر رجب كما تعارف الناس في تلك الأيام .

عربة يجرها إثنى عشر جملا لنقل عمود من الخشب للكعبة :

ويقدم لنا الشيخ بن علان صورة لنقل أحد الأعمدة الثقيلة المراد استعمالها في عمارة الكعبة يقول :

وصل كاتب جدة المحروسة الشهاب أحمد القباني ومعه بعض أخشاب السقف الباقي ووصل «بالبستل» قطعة من دَقَلِ مَرْكَبٍ من نحو ثلاثة ، حمل من جدة على عجلتين مقدمين ومثلهما مؤخرين ، وجُرَّتْ بإثنى عشر جملا ، وأدخلت القطعة من باب الصفا حملها إثنىْ عشر رجلا ، ووضعوها أمام المقام المالكي .

---

(١) إفادة الأنام مجلد ١ ص ٣٤٢ ـ ٣٤٣ .

(٢) إفادة الأنام مجلد ١ ص ٣٥٩ .

أما العمودان الباقيان لسقف الكعبة فقد حمل أحدها على خمسة عشر رجلا وألقيتا عند باب إبراهيم[1] .

أقول : الدَّقل بتشديد الدال وفتحها وفتح القاف ، هو العمود القوي الذي يستعمل في المراكب الشراعية ، والذي يربط إليه الشراع ، ويكون عادة من أقوى أنواع الخشب وأثقلها ليتحمل ضغط الرياح التي تتعرض لها المراكب الشراعية في البحر ، وقد تمَّ نقل هذه العمدان من جدة إلى مكة كما ذكر لنا الشيخ بن علان بعمل مركبة ذات عجلتين في مقدمتها وعجلتين في مؤخرتها ووضعت الأعمدة على هذه العجلة ، وقام بجرها إثنى عشر جملاً حتى أمكن إيصالها إلى المسجد الحرام في مكة .

السلم الذي يصعد به إلى الكعبة :

عقد الشيخ عبدالله الغازي فصلا عن السلم الذي يصعد به إلى الكعبة ، نلخص ما جاء فيه بما يلي :

كان السلم الذي يصعد به إلى الكعبة في زمن مؤرخ مكة أبو الواليد الأرزقي وهو من رجال القرن الثالث[2] من خشب الساج وفيه ثلاث عشر درجة .

وذكر الشيخ محمد بن علي الطبري في الاتحاف : أن المؤيد الجركسي أرسل في سنة ثمانمائة وثمانية عشر ، منبرا حسنا إلى المسجد الحرام ، كما أرسل درجة يصعد عليها إلى الكعبة ، ووصل المنبر والدرجة إلى مكة في موسم العام المذكور .

وقال السنجاري في المنائح :

وفي سنة ألف وتسعين جدد شيخ الحرم درجة الكعبة وجعل لها حاجزاً من خشب وكان أول الدخول عليها يوم الجمعة سادس عشر رمضان من العام المذكور .

والى جدة يمنع وصول درجة مهداة إلى الكعبة :

وجاء في اتحاف فضلاء الزمن : أن رجلا من أثرياء الهند يدعى حسين حميدان ، أرسل في سنة سبع وعشرين ومائة وألف ، درجة للكعبة ، فامتنع والي جدة سليمان باشا عن قبولها وقال : لا أركبها ، فبقيت الدرجة المذكورة في جدة إلى أن انتهت ولاية سليمان باشا فأرسلها الوالي الجديد محمد المعمار إلى مكة فوصلت إليها وركبت في الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين ومائة وألف ، ولكنَّ شريف مكة أمر برفعها ولم يمض على بقائها إلا ثمانية أيام ، وأمر كذلك بإعادة الدرجة القديمة لعدم استئذانه ، واستئذان السلطنة في أمرها ، فحفظت في بيت السادن الشيخ / عبدالقادر الشيبي وأسلوا إلى الأستانة يستأذنون السلطة في الأمر ، ولم يصل الأمر باستعمالها من الأستانة إلا في مفتتح سنة ألف ومائة واثنين وثلاثين بعد أن ظلت حبيسة في بيت السادن خمس سنوات .

---

(١) إفادة الأنام مجلد ١ ص ٣٦٣ .

(٢) أنظر أخبار مكة للأزرقي صفحة ١٣/ ١٥ الجزء الاول .

وجاء في وصف هذه الدرجة أو هذا السلم أنه قام بخدمة دهنها وزخرفتها الحاج خضر الشامي بأمر ابراهيم باشا والى جدة حتى صارت نزهة من النزهات وفرحة من الفرحات .

سلم الكعبة :

ويواصل الشيخ / عبدالله الغازي حديثه عن سلم الكعبة فيقول :

وفي سنة ألف ومائتين وعشرين أرسل نواب مدراس محمد منور خان درجة للكعبة من خشب الساج فيها إحدى عشر درجة .

وفي سنة ألف وثلاثمائة أرسل إلى مكة نواب رانقون ـ علي خان ـ درجة من الخشب ملبسة بالفضة من جميع جوانبها وأحضر هذه الدرجة أو هذا السلم على الأصح مندوب عن نواب رانقون اسمه حسين بخش خان ، ولكنَّ الحكومة في مكة امتنعت عن استعمال هذا السلم الفضي إلى أن يستأذن السلطنة في أمره ، فلما وصل الإذن بذلك جعلت لاستعمال النساء في يوم نوبتهم .

يقول الشيخ / الغازي : ثم ترك استعمالها مرة واحدة ، وبلغت مصاريفها التي صرفت مع ما عليها من الفضة خمسة وثمانين ألفا وثلاثمائة وأربع وستين ريالا ، ذكر ذلك الشيخ / نجم في أخبار الصناديد[١] .

أقول أدركت السلم الذي يصعد به إلى داخل الكعبة ، وهو ملبس بالفضة من جميع جوانبه في منتصف القرن الرابع عشر الهجري ، ووصفه مطابق لوصف السلم الذي أهداه نواب رانقون ، ولكنني لا أستطيع الجزم بأنه هو ، وربما كان لدى إدارة الحرم المكي الشريف علم عن حقيقة الموضوع .

عمر بن الخطاب يقسِّم كسوة الكعبة على الحجاج :

نقل الشيخ / عبدالله الغازي رواية عن الأرزقي مؤرخ مكة قال :

حدثني جدي عن مسلم بن خالد عن ابن أبي نجيح عن أبيه أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، كان ينزع كسوة البيت فيقسمها على الحجاج[٢] .

معاوية يقسم الكعبة بين أهل مكة :

وكساها معاوية بن أبي سفيان الديباج مع القباطي وأمر شيبة بن عثمان أن يجرد الكعبة عن الكساوي ويخلِّقها بالطيب ، ويلبسها ما جهزوا لها ، فجرَّدها وطيَّبها ، وطيَّب جدرانها بالخلوق وكساها تلك الكسوة التي بعث بها معاوية ، وقسَّم الثياب التي كانت عليها بين أهل مكة وكان عبدالله بن عباس رضي الله عنهما حاضراً في المسجد الحرام فما أنكر ذلك ولا كرهه[٣] .

---

(١) إفادة الانام مجلد ١ ص ٤٠١ ـ ٤٠٧ .
(٢) إفادة الانام مجلد ١ ص ٤٤٤ ـ ٤٤٥ .
(٣) إفادة الانام مجلد ١ ص ٤٤٥ .

عائشة تستفتى في ثياب الكعبة القديمة :

أخرج الأرزقي عن شيبة بن عثمان أنه دخل على عائشة رضي الله عنها فقال : يا أم المؤمنين : إن الكعبة تجتمع عليها الثياب الكثر فنعمد إلى بئر فنحفرها وندفن فيها ثياب الكعبة ، فلا يلمسها الجنب والحائض ، فقالت عائشة : ما أصبت ، وبئس ما صنعت ، إن ثياب الكعبة إذا نزعت عنها لا يضرها من لمسها من حائض أو جنب ، ولكن بعها ، واجعل ثمنها في سبيل الله تعالى ، وابن السبيل ، وتصدَّقْ بثمنها .

ونقل جواز البيع عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وقد بحث هذا الموضوع علماء الشافعية وأجاز بعضهم البيع ، وفوض بعضهم الأمر فيها إلى الإمام ، وقد استعرض الغازي أقوال الفقهاء في أمر كسوة الكعبة القديمة ثم أورد رأيه فقال :

والذي يظهر لي أن كسوة الكعبة الشريفة إن كانت من قبل السلطان ، من بيت مال المسلمين فأمرها راجع له ، يعطيها لمن يشاء من الشيبيين وغيرهم ، وإن كانت من أوقاف السلاطين وغيرهم فأمرها راجع إلى شرط الواقف فيها لمن عيَّنها ـ وإن جُهل الشرط عمل فيها بما جرت به العوائد السابقة كما هو الحكم في سائر الأوقاف .

كسوة الكعبة بين أمراء مكة والسادن :

نقل الفاسي أن أمراء مكة كانوا يأخذون من السدنة ستارة باب الكعبة في كل سنة مع جانب كبير من كسوتها ، أو ستة آلاف درهم كاملة عوضا عن ذلك إلى أن رفع ذلك عنهم السيد عنان بن مغامس لمَّا ولي أمر مكة في سنة ثمان وثمانين وسبعمائة ، وتبعه أمراء مكة في الغالب .

ثم أن السيد حسن عجلان بعد سنين من ولايته صار يأخذ منهم الستارة وكسوة المقام ، ويهديها لمن يريد من الملوك وغيرهم ، وقد استمر الأمر كذلك من أمراء مكة بعد السيد حسن عجلان مع الحجبة إلى يومنا هذا . . . . انتهى .

أقول : إن كاتب هذا هو السيد تقي الدين الفاسي مؤرخ مكة المكرمة ، ومنه يفهم ما جرت عليه العادة في أمر الكسوة في زمنه .

كيفية قسم الكسوة بين السدنة :

ونقل الغازي عن الشيخ / حسن الشيبي في الاتمام : أن العادة التي تداولت في كسوة الكعبة المعظمة هو أن حجبة الكعبة المعظمة من بني شيبة يأخذون الكسوة العتيقة لأنفسهم ويقسمونها بينهم بالسوية ذكورا وإناثاً وأطفالاً ، وأن المولود منهم في يومه يستحق كما يستحق الشيخ منهم ويجعلون لرأسهم أي شيخهم سهمين كما هي عادتهم في تقسيم الهدايا من الزوار بينهم[1] .

---

(١) إفادة الانام مجلد ١ ص ٤٤٥ ـ ٤٤٨ .

أقول : كانت الكساوي التي تهدى إلى الكعبة حتى من قبل الإسلام تترك عليها ولا تنزع وقد أوردت في الجزء الثاني من أعلام الحجاز : ما ذكره مؤرخو مكة المكرمة عن هذا الأمر[١] وأوردنا هنا ما ذكره الشيخ / الغازي في إفادة الآنام إكمالا للبحث ومنه علمنا الرأي الحصيف الذي أفتت به أم المؤمنين في أمر كسوة الكعبة بعد أن تنزع عنها ، ومافعله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في تقسيمها للحجاج ، وما فعله معاوية من تقسيمها بين أهل مكة ، وما ذكره الفقهاء في أمر الكسوة ، وقد أصبحت الكسوة منذ عام ١٣٤٥ تصنع في مكة المكرمة وتصرف عليها الدولة كما هو معلوم .

الوليد بن عبدالملك يحلِّي باب الكعبة وأساطينها بالذهب :

ذكر الأرزقي أن الوليد بن عبدالملك أرسل بستة وثلاثين ألف دينار ، يضرب منها على باب الكعبة صفائح الذهب ، وعلى أساطينها ، وعلى الميزاب ، وعلى أركانها من الداخل[٢] أقول : الوليد بن عبدالملك سادس الخلفاء الأمويين ، وقد اشتهر بحبه لعمارة المساجد ، وصرفه عليها بسخاء وهو الذي بنى جامع بني أمية في دمشق ، كما أدخل بيوت النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد النبوي الشريف وزاد فيه زيادة عظيمة[٣] .

الخليفة المتوكل يصفح زوايا الكعبة بالذهب :

وذكر الأرزقي أن حجبة الكعبة أرسلوا إلى الخليفة المتوكل العباسي يذكرون أن زاويتين من زوايا الكعبة من داخلها مصفح بالذهب ، وزوايا أخرى مصفحة بالفضة ، وسألوه أن يجعل الزوايا كلها مصفحة بالذهب ، فأرسل المتوكل إلى اسحاق بن ـ الاسم غير واضح ـ الصايغ ذهبا ، وأمره بعمل ذلك ، فكسر اسحاق تلك الزوايا وأعادها من الذهب ، وعمل منطقة من فضة ركبها فوق باب الكعبة من داخلها عرضها ثلث ذراع ، وجعل لها طوقا من الذهب متصلا بهذه المنطقة .

قال الأرزقي : وكان أسفل الباب عتبة من خشب الساج ففسدت ، وتآكلت فأبدلها بخشب آخر وألبسه صفائح من فضة .

قال اسحاق الصايغ : وكان مجموع الزوايا والطوق الذهب ثمانية آلاف مثقال ومنطقة الفضة وما على الباب وما حلِّي به المقام من فضة سبعين الف درهم[٤] .

---

(١) أنظر الجزء الثاني من أعلام الحجاز ص ٨٧ ـ ٩٧ .

(٢) إفادة الأنام مجلد ١ ص ٤٤٩ .

(٣) اعلام الحجاز ج ٢ ص ١٩٦ ـ ٢٠٠

(٤) افادة الانام مجلد ١ ص ٤٤٩ / ٤٥٠

بعض ولاة مكة يقطع الذهب من عضادتي باب الكعبة :

ذكر التقى الفاسى ان بعض ولاة مكة قطع ايام الفتنة عضادتي باب الكعبة وغيرها وسبكها دنانير ، وصرفها على الفتنة .

الخليفة المعتضد يعيدها ذهبا :

فكتب حجة البيت إلى الخليفة المعتضد بذلك فأمر باعادة ذلك جميعه فاعيدت كما اشار به[1] اقول : ولي الخليفة العباسى المعتضد في سنة تسع وسبعين ومائتين وكان خليفة حازما اعاد للخلافة هيبتها بعد ان ضعف امر الخلفاء ، وفي أيامه ظهر القرامطة ووقعت بينه وبينهم وقائع كثيرة مبسوطة في كتب التاريخ[2] .

اما الفتنة التى ذكر ان بعض ولاة مكة اخذ فيها عضادتي باب الكعبة الذهبيتين وسبكها دنانير وصرفها على الفتنة فلم أعثر على نص صريح عنها ، ولكن وقعت في مكة قبل خلافة المعتضد فتنة في سنة مائتين واثنين وسبعين بين أمير مكة ويوسف بن الساج وبدر غلام احمد الطائى أمير المدينة المنورة ووقع القتال على ابواب المسجد واسر ابن الساج بدرا ، فغضب له بعض اهل الحج ، وثاروا على ابن الساج حتى اسروه وساقوه إلى بغداد فربما كانت هذه الفتنة هي التى وقع فيها ما اشار اليه الحجبة[3] .

أم الخليفة المقتدر تلبس اسطوانات البيت الشريف ذهبا :

وذكر الفاسى أن أم الخليفة المقتدر العباسى امرت غلامها لؤلؤ ان يتوجه إلى مكة وان يلبس جميع اسطوانات البيت ذهبا ففعل ذلك في سنة عشر وثلاثمائة[4] .

الوزير الجواد يحلى اركان الكعبة بصفائح الذهب والفضة من الداخل :

وذكر الفاسى ان الوزير جمال الدين بن محمد بن على بن منصور المعروف بالجواد الذى تولّى الوزارة في مصر سنة تسع وأربعين وخمسمائة ، أرسل صاحبه إلى مكة ومعه خمسة آلاف دينار ليعمل صفائح الذهب والفضة في أركان البيت من الداخل[5] .

أقول : ذكرنا قبلا ان الخليفة المتوكل العباسى أمر بعمل زوايا الكعبة من الذهب ، ولابد ان هذه الزوايا الذهبية قد ذهبت بتو إلى القرون اوذهب بعضها فاراد الوزير الجواد ان يعمل شيئا فيها .

---

(١) افادة الانمام مجلد ١ ص ٤٥٠
(٢) البداية والنهاية ج ١١ ص ٨٦
(٣) تاريخ مكة ١٦٧
(٤) افادة الانام مجلد ١ ص ٤٥٠/٤٥١
(٥) افادة الانام مجلد ١ ص ٤٥١

هدايا الكعبة :

كنت ذكرت في الجزء الثانى من اعلام الحجاز تلخيصا لكتاب الشيخ حسين عبدالله باسلامه عما ورد من الهدايا للكعبة المعظمة عبر العصور ، وقد وجدت ذلك كله مسجلا في كتاب افادة الانام للشيخ / عبدالله الغازى مع هدايا اخرى لم يرد ذكرها في كتاب الشيخ / باسلامه فرأيت اكمالا لهذا البحث ان اذكرها هنا ، واود ان اذكر ايضا انه ربما كانت هناك هدايا اخرى كثيرة لم نتطرق إلى ذكرها لان ما بايدينا من كتب المؤرخين لم يتطرق اليها .

الظاهر بيبرس يهدى قفلا للكعبة :

اهدى الظاهر بيبرس صاحب مصر قفلا ومفتاحا للكعبة المشرفة وركب عليها القفل المذكور اقول : الظاهر بيبرس من سلاطين المماليك ، تولى السلطنة في مصر بعد مقتل السلطان قطز في شهر ذي القعدة سنة ٦٥٨ وبالرغم من اشتراكه في مقتل السلطان قطز الا انه كان من المشاركين في حرب التتار وانتصار المسلمين عليهم[١] .

الكوكب الدري إلى المدينة المنورة :

جاء في تحصيل المرام : ارسل السلطان احمد بن محمد بن مراد الكوكب الدري وقال : لا قيمة له ، ولم يسبق لاحد من ملوك الهند والعجم مثله وعلق على القبر الشريف[٢] اقول : لا قيمة له تعنى ان قيمته لا تقدر بمال .

حجر من الماس من آثار الدولة العثمانية :

وفي سنة الف ومائة وثمانية واربعين قدم شعبان افندى المدينة المنورة ومعه حجر من الماس محفوف باحجار مختلفة مكتوب بصفائح الذهب والفضة ، وهذا الحجر من آثار الدولة العثمانية فوضع الحجر المذكور تحت الحجر الذى وضعه السلطان احمد خان[٣] .

حجران من الماس ثمنهما ثمانون الف دينار :

وقال السيد / احمد دحلان في السالنامة ، ومن مفاخر السلطان احمد انه في سنة اربع وعشرين والف بعث للحجرة النبوية الشريفة فصين من الالماس قيمتهما ثمانون الف دينار ، فوضعها فوق الكوكب الدرى ، وهذا الكوكب تجاه الوجه الشريف ، وهو مسمار من الفضة مموه بالذهب . في رخامة « الكلمة غير واضحة تماما » حمراء ، من استقبله كان مستقبل الوجه

---

(١) افادة الانام مجلد ١ ص ٤٥٧

(٢) انظر كتاب دولة الظاهر بيبرس في مصر للدكتور / محمد جمال الدين سرور

(٣) افادة الانام مجلد ١ ص ٤٥٩ .

الشريف[١] اقول : ذكرنا في الجزء الثانى من اعلام الحجاز نقلا عن كتاب مرآة الحرمين لابراهيم رفعت باشا ان الحجرين من الالماس المذكورين نقلهما فخري باشا إلى الاستانة خلال الحرب العالمية الاولى ، ولم يعادا إلى الآن[٢] و فخري باشا هو القائد التركى ووالي المدينة قبيل الحرب العالمية الاولى وحينما قام الشريف الحسين بن على بالثورة ضد الدولة العثمانية قاوم الثورة مقاومة شديدة وحينما ترك المدينة اخذ معه ذخائر الحجرة النبوية الشريفة وهداياها ومن ضمنها الكوكب الدري ، وأحجار الماس التى مرَّ ذكرها ، وقال لى بعض الاخوان انها موجودة بمتحف توب كابى في مدينة استنبول ، اما الوصف الذى نقل عن السالنامة للكوكب الدري فيبدو لى أنه غير دقيق ، لان المعروف ان الكوكب الدري هو حجر كبير من الالماس الثمين لا تقدر قيمته بمال كما ورد في وصفه قبل ، وليس مسمارا من الفضة مموها بالذهب .

البتنونى يصف الذخائر الموجودة في الكعبة :

نقل الغازى عن الرحلة الحجازية للبتنونى مايلى :

ومعلق في سقف البيت ـ الكعبة ـ كثير مما بقى من الذخائر التى اهديت إلى الكعبة ، ومن ذلك مصباحان ذهبيان مرصعان بالجوهر ، اهداهما للكعبة السلطان سليمان القانونى سنة ٩٨٤[٣] .

اقول : حج الخديوى عباس حلمى الثانى خديوى مصر في سنة ١٣٢٧ هجرية ، وكان محمد لبيب البتنونى في ركاب الخديوى والف كتابا سماه الرحلة الحجازية يصف فيه حج الخديوى وزياراته للاماكن المقدسة ، وافرد فيه فصولا تاريخية هامة عن الحجاز وقبائله واحواله وحكامه يعتبر مرجعا هاما من كتب الرحلات الى الحجاز .

الشريف غالب أمير مكة يربِّى السادن في داره :

توفي في عام الف ومائتين وعشرة ـ او اثنتى عشرة ـ سادن بيت الله الحرام الشيخ عبدالقادر الشيبى ولم يؤخر من الذكور احدا عدا ابن عمه محمد زين العابدين وهو يومئذٍ حديث السن ولم يوجود في زمانه احد غيره من السدنة الفاتحين للكعبة المعظمة وكان أمير مكة يومها الشريف غالب بن مساعد فاحتضنه وربَّاه في بيته إلى ان كبر ، وعيَّن على املاكه عالما من علماء مكة يقال له الشامى ، وولد للسادن الصغير بعد ان شب وتزوج ستة من الولد هم « عبدالقادر ، وجعفر ، وسليمان ، ومحمد ، وعبدالله ، وعلى .

---

(١) افادة الانام مجلد ١ ص ٤٥٩

(٢) اعلام الحجاز ج ٢ ص ٢٠٣

(٣) افادة الانام مجلد ١ ص ٤٦٠/٤٦١

يقول الشيخ / الغازى : فأما عبدالقادر وسليمان فانهما عقيمين ، واما الباقون فذريتهم موجودون[١] .

الشريف عون يعزل السادن وينفيه عن مكة :

ذكرنا في الجزء الثالث من اعلام الحجاز خبر الشكوى التى بعثها مشايخ علماء مكة إلى السلطان عبدالحميد ضد الشريف عون أمير مكة المكرمة ، وما صدر به أمره من عزلهم عن الفتيا ونفيهم عن مكة المكرمة ، وقد ذكر الشيخ / الغازى ان سادن بيت الله الحرام الشيخ / عبدالرحمن بن عبدالله بن محمد بن زين العابدين كان من ضمن من وقّعوا على الشكوى التى بعثت إلى السلطان عبدالحميد وذكر ان ذلك كان في عام الف وثلاثمائة واحدى عشر ، وان سبب الشكوى هو خلاف حصل بين الشريف عون والوالي التركى عثمان نورى باشا ، وان الامر صدر من الخلافة بعزل المفتيين من وظائفهم ونفيهم عن مكة المكرمة عدا الشيخ عبدالرحمن الشيبى فانه لم ينف من مكة ولكنه خرج منها إلى الهدا وهى قرية قريبة من الطائف ، وبقى فيها حتى توفاه الله ، واسند الشريف عون سدانة البيت إلى الشيخ محمد صالح بن احمد بن زين العابدين[٢] .

اقول : لهذه الحادثة تفصيل اوفى ذكرناه في الجزء الثالث من اعلام الحجاز ، فليرجع اليه من شاء الاستزاده[٣] .

السلطان عبدالحميد يبنى بيتا لمفتاح الكعبة :

سافر الشيخ / على بن محمد بن زين العابدين وكان شقيقا لسادن بيت الله الحرام الشيخ / احمد بن محمد بن زين العابدين سافر إلى دار السعادة ـ استنبول ـ في زمن السلطان عبدالحميد خان ، فقابله السلطان واكرمه وامر باعطائه مالا لتعمير بيت لمفتاح الكعبة المشرفة ، وعاد الشيخ على من الاستانة واتفق السدنة ان يبنى المنزل وان يسكنه من يتولى السدانة منهم وتمت عمارة البيت ولكن السادن لم يتمكن من سكناه حيث ادركته الوفاة فنقل اليه وغسل وكفن فيه ، ثم خرجت جنازته منه[٤] .

ماذا فعل القرامطة بالحجر الاسود :

كنت اوردت في الجزء الثانى من اعلام الحجاز قصة دخول القرامطة إلى مكة في شهر ذي الحجة من سنة ثلاثمائة وسبع وعشرين للهجرة ، وما قاموا به من الفظائع من قتل الناس في

---

(١) افادة الانام مجلد ١ ص٤٧٢/٤٧٣
(٢) افادة الانام مجلد ١ ص٤٧٢/٤٧٣
(٣) اعلام الحجاز ٣ ص٣٤٧/٣٤٨
(٤) افادة الانان مجلد ١ ص٤٧٣

المسجد الحرام ونهب بيوت مكة ، واقدامهم على اقتلاع الحجر الاسود واخذه معهم إلى هجر ، وقد ذكر الشيخ / الغازى في افادة الانام ان القرمطى ذهب بالحجر الاسود وعلّقه على الاسطوانة السابعة من جامع الكوفة ، وانه استمر عنده إلى ان اشتراه المطيع لله او المقتدر العباسى بثلاثين الف دينار ، واعيد إلى مكانه سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة[1] .

اقول القرمطي كان يسكن هجر وان الخبر الذى اورده الشيخ الغازى يذكر ان القرمطي علّق الحجر على الاسطوانة السابعة من جامع الكوفة ، وان الحجر استمر عند القرامطة اثنين وعشرين عاما حتى أعيد إلى مكة بعد ان اشتراه الخليفة المقتدر العباسى بثلاثين الف دينار ، ولو ان الحجر علّقَ في جامع الكوفة لما احتاج الخليفة العباسى إلى شرائه ، فالكوفة كانت في حكم الخلفاء العباسيين في ذلك الزمان ، ولَمّا استمر الحجر مغيباً عن مكة وعن مكانه من البيت المعظم طيلة اثنين وعشرين سنة والأقرب إلى المعقول ان يكون الحجر قد بقي لدى القرامطة في هجر في السنوات التى غيب فيها عن مكة إلى ان اعيد إليها وقد ذكر الغازى بعد ذلك ان ابوطاهر القرمطى بنى دارا في هجر سماها دار الهجرة ، اراد ان ينقل الحج اليها ، وهذا الخبر يدل على بقاء الحجر في هجر ، وقد فصلنا البحث في هذا الموضوع في الجزء الثانى من أعلام الحجاز كما سبقت الاشارة ، فليرجع اليه من شاء الاستزاده .

تطويق الحجر الاسود :

كنت ذكرت في الجزء الثانى من اعلام الحجاز أن عبدالله بن الزبير رضى الله عنه لما قام ببناء الكعبة وجد ان الحجر الاسود انقسم إلى ثلاثة شظايا من تأثير الحريق الذى وقع في الكعبة فشدَّ ابن الزبير الشظيتين اللتين وجدهما من الحجر بالفضة ، أما الشظية الثالثة فقد بقيت عند بعض آل شيبة دهرا[2] .

وقد ذكر الشيخ / عبدالله الغازى ماجدَّ بعد ذلك من اعمال الخلفاء والسلاطين في الحجر الاسود فرأيت ايراده اكمالا للموضوع .

هارون الرشيد يطوق الحجر بالفضة :

ثم كانت الفضة التى صنعها ابن الزبير للحجر قد رثت وتزعزعت حول الحجر الاسود ، حتى خافوا على الركن ان ينقض ، فلما اعتمر أمير المؤمنين هارون الرشيد في سنة تسعة وثمانين ومائة امر بالحجارة التى بينها الحجر الاسود فنقبت بالالماس من فوقها ، ومن تحتها ، ثم افرغ فيها الفضة وبقى الحجر كذلك إلى ان قلعه القرامطة ، ولما اعيد الحجر في خلافة المطيع - الصحة في خلافة المتقدر العباسى - جعل له طوق ثم جدد مرارا .

---

(١) افادة الانام مجلد ١ ص ٤٩٥ وانظر الجزء الثانى من اعلام الحجاز ص ٨٠/٨٤

(٢) انظر تفصيل ذلك في اعلام الحجاز ٢ ص ٦٥/٦٦

السلطان عبدالمجيد يطوق الحجر بالذهب :

ثم في سنة الف ومائتين وثمانية وستين بعث السلطان عبدالمجيد العثماني طوقا من ذهب صحبة الشريف عبدالمطلب في ذي القعدة من ذلك العام ، يقول الغازى وذلك الطوق بحسب التخمين نحو الف دينار ، ثم رُكِّبَ بعد ان ازيلت الفضة ومكتوب فوقه « بسم الله الرحمن الرحيم » ويقول الغازى نقلا عن الحضراوي في كتاب نزهة الفكر :

ولم يعلم ان الحجر الاسود قد طوق بالذهب قبل ذلك ، ويصف الحضراوى طوق الفضة الذى كان مطوقا به الحجر بقوله : كان في غاية الاتقان من التنقيش ومكتوب حوله آية الكرسى ، وبعض آيات قرآنية ، ويقول كذلك ان طوق الفضة هذا ارسل إلى الاستانة بعد ان حل محله طوق الذهب الذى ارسله السلطان عبدالمجيد .

ونقل عن الحضراوي ان وزن هذا الطوق الذهبى عشر اقات ، ولعل الصحة ان وزنه عشر اوقيات او ان ذلك خطأ من الناسخ لكتاب الحضراوى ويقول الحضراوى كذلك : واصل ذهب هذا الطوق من كنز وجد بمكة في شعب اجياد[1] .

اقول : كان الشيخ / احمد الحضراوى من معاصرى هذه الفترة التى ارسل فيها السلطان عبدالمجيد الطوق الذهبى للحجر الاسود فقد ولد الحضراوى سنة ١٢٥٢ هـ بالاسكندرية وهاجر مع والده إلى مكة وهو ابن سبع سنين ، فروايته عن الطوق الذهبى الذى ارسله السلطان عبدالمجيد هى رواية المشاهد المعاصر للحدث ، ولكن ما لفت نظرى في رواية الحضراوى قوله : ان هذا الذهب اصله من كنز وجد في شعب اجياد بمكة المكرمة فهل ارسل هذا الكنز الذهبى إلى الاستانة وامر السلطان عبدالمجيد بصنع الطوق الذهبى منه ؟ ويقول الحضراوى : ان السلطان عبدالمجيد ارسل بميزاب للكعبة مصفحا بالذهب الخالص وهو بقية ذلك الذهب الذى وجد في شعب اجياد .

ومن المهم ان نذكر ان الشيخ / الغازى يذكر الروايتين ولا يرجح بينهما ولا يعلق عليهما وذلك اسلوبه في ايراد الرويات التى يذكرها .

تغيير الفضة المحاطة بالحجر الاسود فى زمنِ السلطان رشاد :

وفي سنة احدى وثلاثين وثلاثمائة وألف غُيرت الفضة المحاطة بالحجر الأسود ، وذلك في خلافة السلطان محمد رشاد خان ابن السلطان عبدالمجيد خان[2] .

أقول : نقلنا ما ذكره مؤرخو مكة عن ارسال طوق ذهبي من السلطان عبدالمجيد للحجر الاسود فى سنة ألف ومائتين وثمانية وستين ، والخبر الذى ذكرناه آنفا يذكر أن السلطان محمد رشاد بن السلطان عبدالمجيد غيَّر الفضة المحاطة بالحجر الاسود ، فأين ذهب الطوق الذهبي الذي أرسله والده في عام الف ومائتين وثمانية وستين ؟

---

(١) افادة الانام مجلد ١ ص ٥٠٤/٥٠٥

(٢) افادة الانام مجلد ١ ص٥٠٦

تحلية مقام الخليل ابراهيم عليه السلام :

جاء في افادة الأنام في الفصل الخاص بمقام ابراهيم عليه السلام ، أن موضع غوص القدمين ملبس بالفضة ، وعمقه من فوق الفضة سبع قراريط ونصف قيراط .

وروى الأرزقي عن عبدالله بن شعيب بن شبَّه عن جبير بن شبَّه قال :

ذهب ربع المقام في خلافة المهدى ، قال : وهو من حجر رخو يشبه السنان فخشينا أن يتفتت فكتبنا في ذلك الى المهدى فبعث الينا بألف دينار فصنعنا بها المقام ، أعلاه وأسفله ولم يزل ذلك الذهب عليه ، حتى ولي أمير المؤمنين المتوكل على الله فجعل عليه ذهبا فوق ذلك الذهب وفي سنة ست وخمسين ومائتين ذكر الحجبة لعلي بن حسن العباسي أمير مكة في ذلك الزمان أن المقام قد وهى ويخاف عليه ، وسألوه أن يجدد عمله ، فأمر بقلع ما على المقام من الذهب والفضة ، وضم اليه ذهباً آخر وحُلِّي المقام بذلك كله .

وكان ابتداء العمل في المحرم سنة ست وخمسين ومائتين ، وكان الفراغ منه في ربيع الأول من تلك السنة .

يقول الفاكهي : وكان تحلية مافي الطوقين الذي عمل في المقام بالنجوم ، الفي مثقال ذهب إلا ثمانية مثاقيل .

ذهب المقام يضرب دنانير :

يقول الشيخ / الغازي :

ثم ان الذهب الذي حلي به المقام في خلافة المتوكل لم يزل عليه إلى أن أخذه جعفر بن الفضل ومحمد ابن حاتم في سنة احدى وخمسين ومائتين ، وضرباه دنانير وأنفقاه على حرب اسماعيل العلوى [1] .

أقول : كانت ولاية الخليفة المهدي العباسي الذي بعث بألف دينار بين سنتى «١٥٨ـ١٦٨» [2] للهجرة ، وكانت خلافة المتوكل ما بين عامي ٢٣٢ و٢٤٧ للهجرة [3] .

فتنة العلوى بمكة :

أما حرب اسماعيل العلوى الذي ظهر بمكة فقد ذكرها الحافظ بن كثير في البداية والنهاية ونوجزها فيمايلى :

في سنة مائتين وواحد وخمسين ظهر اسماعيل بن يوسف بن ابراهيم بن عبدالله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بمكة المكرمة فهرب منه نائبها جعفر بن الفضل بن عيسى بن موسى ، فانتهب منزله ومنازل أصحابه ، وقتل جماعة من الجنود وغيرهم من أهل مكة ، وأخذ مافي الكعبة من الذهب والفضة والطيب وكسوة الكعبة ، وأخذ من الناس

(١) افادة الانام مجلد ١ ص٥١٧ ـ ٥١٨

(٢) امراء البلد الحرام ص١٤

(٣) امراء البلد الحرام ص١٨

نحوا من مائتي ألف دينار ، ثم خرج إلى المدينة المنورة ، فهرب منه نائبها علي بن الحسين بن علي بن اسماعيل ، ثم رجع اسماعيل بن يوسف إلى مكة في رجب ، فحصر أهلها حتى هلكوا جوعا وعطشا ، فبيع الخبز ثلاث أواق بدرهم ، واللحم الرطل بأربعة ، ومشربة الماء بثلاثة دراهم ولقي منه أهل مكة كل بلاء ، فترحَّل عنهم إلى جدة ، بعد مقامه عليهم سبعة وخمسين يوما فانتهب أموال التجار هنالك ، وأخذ المراكب ، وقطع المسيرة عن أهل مكة ، ثم عاد إلى مكة لا جزاه الله خيراً عن المسلمين ، فلما كان يوم عرفة ، لم يمكِّن الناس من الوقوف نهارا ولا ليلا ، وقتل من الحجيج ألفا ومائة ، وسلبهم أموالهم ، ولم يقف بعرفة عامئذ سواه ، ومن معه من الحرامية ، لا تقبَّل الله منهم صرفا ولا عدلا[1] .

ويقول السيد أحمد زيني دحلان في خلاصة الكلام عن اسماعيل هذا مايلي :

تغلب اسماعيل بن يوسف بن ابراهيم على مكة فمانعه صاحب مكة جعفر بن الفضل وأخذ جعفر ما على المقام من الذهب ، وكان وضعه المتوكل فضرب به دنانير ، وصرفه في قتاله ، تغلب اسماعيل على مكة فهرب جعفر ، واستولى اسماعيل على مكة ثم سار إلى المدينة فملكها ثم مات بالجدري سنة مائتين واثنين وخمسين[2] .

ويتضح من رواية السيد الدحلان أن أمير مكة جعفر بن الفضل حارب اسماعيل بن يوسف حينما هاجم مكة وخلع ما على مقام ابراهيم من الذهب ، وسكَّه دنانير ليصرفها في حربه لاسماعيل إلا أن اسماعيل تغلب عليه فاضطر إلى ترك مكة له .

سرقة ذهب المقام :

وذكر الشيخ / سعد الدين الاسفرائيني في كتابة «زبدة الأعمال» انه في سنة تسع وخمسين وسبعمائة في زمان القاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد الدين الطبري سرق الذهب الذي كان عليه ـ على المقام ـ فعمل عليه الفضة[3].

موضع المقام :

ذكرت في الجزء الثاني من أعلام الحجاز أن الملك المسعود بنى قبة حديدية على مقام ابراهيم ، وكانوا قبل بناء هذه القبة ينقلون حجر المقام اذا اشتد الزحام إلى داخل الكعبة أو أحد أركان المسجد وذكرنا كذلك أن هذه القبة أزيلت بكاملها توسعة للمطاف ، ووضع حجر المقام في مكانه الحالي في مواجهة حجر اسماعيل داخل اناء بلّوري شفاف يعلوه هلال من الذهب الخالص ، وتم هذا في ١٨ رجب ١٣٨٧ للهجرة[4] .

---

(١) البداية والنهاية مجلد ١ ص٥١٨

(٢) خلاصة الكلام ص١٩

(٣) افادة الانام مجلد ١ ص٥١٨

(٤) أعلام الحجاز ج ٢ ص٢٩ ـ ٣٠

ونذكر هنا المراحل التاريخية التي تمت في هذا الموضوع نقلا عن افادة الانام ونوجز ذلك فيمايلي :

ذكر ابن جبير في أخبار رحلته إلى مكة أن حجر المقام لم يكن ثابتا في مكانه ، وانه كان يوضع في موضعه المواجه لحجر اسماعيل ، ويرفع إذا اشتد الزحام فيجعل حينا في الكعبة المشرفة في البيت الذي فيه الدرجة التي يصعد منها إلى السطح ـ سطح الكعبة ـ وإذا وضع في موضعه وضع في قبة من خشب فإذا كان الموسم قلعت قبة الخشب ، وجعلت عليه قبة من حديد ، ذكر ابن جبير ذلك في شهر رجب من سنة تسع وسبعين وخمسمائة وهو يصف اعتمار مكثر بن عيسى بن فليتة أمير مكة حيث قال :

فلما فرغ من الطواف صلَّى عند الملتزم ، ثم جاء إلى المقام وصلى خلفه ، وقد أخرج له من الكعبة ووضع في قبته الخشب التي يصلي خلفها ، فلما فرغ من صلاته ، رفعت له القبة عن المقام فاستلمه وتمسح ، ثم أعيدت القبة عليه .

أما القبة الحديدية التي صنعها الملك المسعود للمقام فأغلب الظن ان ذلك تم في أوائل القرن السابع الهجري ما بين عامي ٦١٩-٦٢٦ للهجرة ، حيث كان للملك المسعود هذا أحداث في مكة سنذكرها بعد .

وقد وصف الفاسي في شفاء الغرام القبة التي وضع فيها المقام فقال :

أما صفة الموضع المشار إليه فانه الآن قبة عالية من خشب ثابتة قائمة على أربعة أعمدة دقاق حجارة منحوتة بينها أربعة شبابيك من حديد من الجهات الأربعة ، ويدخل إلى المقام من الجهة الشرقية ، والقبة مما يلي المقام مزخرفة بالذهب ، ومما يلي السماء مبيضة بالنورة ، وأما موضع المصلَّى الآن فانه ساباط مزخرف على أربعة أعمدة منها عمودان عليهما القبة ، وهو متصل بها ، وهو مما يلي الأرض منقوش مزخرف بالذهب ومبيض ، ومما يلي السماء مبيض منور ، وأحدث وقت صنع فيه ذلك في شهر رجب سنة ستة عشر وثمانمائة ، واسم الملك الناصر فرج صاحب الديار المصرية والشامية مكتوب فيه بسبب هذه العمارة ، واسم الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحي صاحب مصر مكتوب في الشباك الشرقي في هذا الموضع بسبب عمارة له في سنة ثمان وعشرين وسبعمائة ، والمقام بين الشبابيك الأربعة الحديدية في قبة من حديد ثابت في الأرض ، والقبة التي عليها ثابتة أيضا في الأرض بجصاص مصبوب ، بحيث لا يستطاع قلع القبة الحديد التي فوقه إلا بالمعاول وشبهها ، ولعل هذه القبة الحديدية التي في جوفها المقام الآن ، هى القبة الحديد التي كانت توضع عليه عند قدوم الحاج إلى مكة لكونها أحمل للازدحام والاستلام على ما ذكره ابن جبير .

يقول الغازى : وما عرفت من جعل المقام ثابتا على صفته التي هو عليها الآن[1] .

---

(١) افادة الانام مجلد ١ ص٥١٨ ـ ٥٢٠

أقول : ونستطيع مما ذكرناه آنفا أن نستخلص الأدوار التاريخية عن موضع المقام وما عمل بشأنه ، ونوجز ذلك فيما يلي :

كان المقام كما ذكر ابن جبير في قبة من خشب فإذا كانت المواسم والازدحام وضعت عليه قبة من حديد ، وكان ينقل من مكانه إلى داخل الكعبة ، ويوضع في مكانه أمام حجر اسماعيل وذلك كان في أواخر القرن السادس الهجري حينما حجَّ ابن جبير عام تسع وسبعين وخمسمائة .

ثم بنى الملك المسعود في أوائل القرن السابع بين عامي ٦١٩-٦٢٦ القبة الحديدية وقد وضع المقام بعد ذلك في موضعه أمام الحجر ووضع له شباك من حديد لم يذكر لنا الفاسي مؤرخ مكة من الذى صنعه ، ولكنه يذكر ان الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحي صاحب مصر قام بعمارة له وكتب اسمه في الشباك الشرقي الذي وصفه الفاسي كما ذكرنا قبل ، كما كتب اسم الملك الناصر فرج صاحب الديار المصرية والشامية الذي صنع أو على الأصح شارك في صنع هذا الشباك الحديد في سنة ست عشرة وثمانمائة .

أقول : وقد أدركنا المقام وهو في داخل الشباك الحديدي الذي وصفه تقي الدين الفاسي وعليه القبة الحديدية التي وصفها إلى أن تمت ازالة البناء كله وتم وضع المقام داخل كرة بلورية لها هلال من الذهب في ١٨ رجب ١٣٨٧ كما قدمنا .

الملك المسعود في مكة :

ذكرنا ان الملك المسعود هو الذي بنى القبة الحديدية على مقام ابراهيم عليه السلام ونذكر هنا ان الملك المسعود هو ابن الملك الكامل الأيوبي الذي كان يحكم مصر ، وقد استمد الملك المسعود من قوة أبيه فحكم اليمن باسم أبيه الملك الأيوبي ، وكان يحكم مكة في ذلك الزمن الحسن بن قتادة الذي قتل أباه خنقا ، واستولى على امارة مكة سنة ٦١٧ للهجرة ، واستطاع أن يستصدر مرسوما من الخليفة الناصر لدين الله بتوليته امارة مكة ، وكان الذي حضر بالمرسوم إلى مكة مملوك من مماليك الخليفة الناصر اسمه اقباش .

وقد علم الحسن بن قتادة أن أخاه الشريف راجح بن قتادة اتصل باقباش وأغراه بنقل امارة مكة اليه بدلا من أخيه الحسن ، وبذل له وللخليفة الناصر أموالا ، فغضب الشريف حسن ، وأغلق أبواب مكة ، ومنع الحاج العراقي من دخولها ، فقاتل أقباش عند باب مكة ، ثم مالبث أقباش أن انفرد عن جنده مصعدا في جبل الحبشي بجوار سور مكة ، ادلالا بمركزه ، وثقة في نفسه .

ويعلل الاستاذ/ السباعي صاحب كتاب تاريخ مكة ذلك بأنه ربما صعد الجبل بمفرده طلبا للتفاهم مع الشريف الحسن .

أحاط جنود الحسن بأقباش واحتزوا رأسه ، وحملوه على رمح ، فنصبه الحسن عند دار العباس بالمسعى ، وانهزم عسكر العراق ، وأحاط بهم جنود الحسن لينهبوهم فمنعهم الحسن من ذلك .

ولكن راجحا أخو الحسن لم يهدأ له بال ، وأراد الثأر من أخيه الحسن الذي قتل أباه وعمه في سبيل الاستئثار بامارة مكة ، فاتجه إلى اليمن ، وأتفق مع الملك المسعود الذي كان يتولى اليمن باسم أبيه الملك الأيوبي ، وزيّن راجح للمسعود الاستيلاء على مكة وضمها إلى نفوذ الايوبيين ، وصل الملك المسعود ومعه راجح بن قتادة في ربيع الأول من سنة ٦١٩ أو ٦٢٠ هجربة وهاجم مكة هجوما مفاجئا ، فاشتبك معه المدافعون عنها في المسعى ، وقاوم الحسن وجنوده بعض المقاومة ولكنه رأى أن لا طاقة له بقتال الملك المسعود وجنده ، فخرج من مكة وتركها للملك المسعود .

يقول الاستاذ/ أحمد السباعى :

ونهب عسكر المسعود بيوت مكة ، وجردوا المدنيين من ثيابهم وأموالهم ، ونبشوا قبر قتادة وأحرقوا تابوته ، فلم يجدوا الجثة في القبر ، فعلم الناس أن الحسن دفن أباه خفية في مكان سري .

يقول السباعي :

ورؤي الملك المسعود يصعد فوق قبة زمزم ويرمي حمام البيت بالبندق [١] كما رؤي غلمانه في المسعى يضربون الناس بالسيوف في أرجلهم ، ويقولون : خففوا من سعيكم فإن السلطان نائم سكران ، وكان الدم يجري من سيقان الناس في الطريق بجوار دائرة السلطنة بالمسعى [٢] .

أقول أنني أشم رائحة المبالغة في حديث المقريزي عن غلمان المسعود الذين يضربون الناس بالسيوف في أرجلهم ليخففوا من سعيهم لأن السلطان نائم وسكران ، وهل يقول الغلمان عن سيدهم أنه سكران ليشوهوا اسمه وسمعته ويعطو الدليل على فسقه في الحرم . . ؟

يقول السباعي :

وأهلَّ موسم الحج في ذلك العام ٦١٩ أو ٦٢٠ فسار المسعود بجيشه إلى عرفات ، ومنع أن تنصب راية العباسيين على الجبل ، ونصب بدلا منها راية أبيه الملك الكامل ، وكاد أن يشتبك معه أمير الحج العراقي لكنه شعر بقلة جنده ، وقيل أنه أباح رفع الراية العباسية قبل غروب يوم عرفة بعد أن خوَّفه بعضهم من سطوة العباسيين .

ثم غادر المسعود مكة بعد فراغه من الحج ، وعاد إلى اليمن بعد أن أبقى بها نائبه عمر بن علي بن رسول ، وثلاثمائة من الجند لحراسته ، وولي راجح بن قتادة بعض الأعمال المتصلة بالبادية ، وقد حاول الحسن بن قتادة استرجاع مكة من الملك المسعود بعد عودة المسعود إلى اليمن فاستنفر القبائل في ينبع ، وسار بهم فلقيه نائب المسعود ابن رسول في الحديبية وهزمه ففرّ إلى بغداد حيث مات بها .

---

(١) البندق كرات تضع من العلين والحجارة أو الرصاص أو غيرها كما ورد في التمدن الإسلامي ج ٥ ص ١٥٩ .

(٢) الذهب المسبوك للمقرزي ص ٧٨ .

كما حاول أمير المدينة قاسم الحسيني في سنة ٦٢٢ استخلاص مكة من نائب المسعود فسار اليها بجيش كثيف وحاصرها شهرا دون أن يظفر بطائل .

وتوفي الملك المسعود بمكة في سنة ٦٢٦ حيث قدم لزيارتها فما لبث أن أصيب بمرض الشلل فتعطلت يداه ورجلاه وقاسى ما لا يطاق من الآلام المبرحة ، وكأنما شعر بعظيم جنايته وعرف أن أمواله التى جمعها من الحرام لا تصلح لتجهيزه ، فتصدق عليه أحد المغاربة بمائتي درهم لتكفينه ودفنه .

وقد استمر حكم مكة يتجاذبه ملوك مصر واليمن نحوا من ثمانية وعشرين عاما إلى أن استطاع الحسن بن علي بن قتادة الاستيلاء عليها في التاسع من ذي القعدة سنة ٦٤٧ للهجرة وتفاصيل هذه الأحداث في تاريخ مكة للسباعي [١] .

ونعود الآن بعد هذه الفذلكة التاريخية عن الملك المسعود إلى تكملة البحث عن مقام ابراهيم عليه السلام .

تجديد قبة المقام :

ونقل الغازي عن مرآة الحرمين ما يلي :

وقد جددت قبة المقام في سنة تسعمائة للهجرة ، وكذلك في سنة ألف وتسع وأربعين ونقشها بالذهب في سنة ألف واثنين وسبعين سليمان بك والي جدة من قبل سلطان مصر ـ الاسم غير اضح ـ ويقول صاحب مرآة الحرمين :

وقد رأيت مكتوبا بأعلى القبة من الجهة الجنوبية ، أمر بتجديد هذا المقام الشريف مولانا العبد الفقير إلى الله تعالى سلطان الإسلام والمسلمين ، قاتل الكفرة والمشركين ، ملك البرين والبحرين خادم الحرمين الشرفين السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغوري عز نصره في ١٥ رجب الفرد سنة ٩٠٠ .

ومكتوب عليها في الجهة الغربية المقابلة لباب الكعبة :

أمر بتجديد هذا المقام المعظم سيدنا ومولانا السلطان المظفر سليم خان بن السلطان با يزيد خان ، وعلى الجهة الشمالية بقية أجداده سنة ١٠٤٩ [٢] .

الشيخ طاهر الكردي يصف حجر المقام :

وصف الشيخ طاهر الكردي مؤلف كتاب التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ـ وهو من

---

(١) تاريخ مكة صفحة ٢٣٠ ـ ٢٣٧ .
(٢) افادة الأمان مجلد ١ ص ٥٢١ / ٥٢٢ .

الكتب الموسوعية عن الكعبة المعظمة والمسجد الحرام ـ باستثناء الحوادث السياسية التى حدثت في مكة فقد تعمد عدم الحديث عنها[٢] .

أقول : وصف الشيخ طاهر حجر المقام بعد أن استأذن من الأمير سعود بن عبدالعزيز ولي عهد المملكة العربية السعودية وملك المملكة العربية السعودية فيما بعد في فتح المقام لمعاينة حجر المقام والكتابة عنه كتابة مشاهد رأى بعينه ، وتمت هذه المعاينة في السابع من شهر شعبان عام ألف وثلاثمائة وسبع وستين ، وقد كتب عنها الشيخ طاهر كتابة وافية في الجزء الرابع من كتابه التاريخ القويم ، ونورد هنا وصف حجر المقام كما شاهده الشيخ طاهر الكردي يقول : وجدنا حجر مقام ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام مثبتا فوق قاعدة صغيرة من الرخام المرمر بقدر قياس نفس المقام الشريف طولا وعرضا ، وأما ارتفاعها فثلاثة عشر سنتمتر وقد استمسك المقام بهذه القاعدة بواسطة الفضة التى تحيط بنفس المقام مع جزء من هذه القاعدة حتى صار المقام ثابتا فيها ثبوتا قويا بحيث لا يمكن تحريكه قط .

ثم أن هذه القاعدة الصغيرة مثبتة ثبوتا محكما في وسط قاعدة كبيرة من الرخام المرمر ايضا تشبه البركة طول ضلعها من جميع الجهات مترا واحدا ، وارتفاعها من الأرض ستة وثلاثون سنتمترا ولون الرخامين أبيض .

ويحيط بهذه القاعدة الكبيرة صندوق من الخشب كهيئة الهرم الرباعى ، ارتفاعه نحو القامة وليس به منافذ مطلقا سوى الباب الذي يرى منه المقام الكريم ، وهو في الجهة الشرقية .

وهذا الصندوق ملبَّس كله من الظاهر بصفائح الفضة مكتوب عليه من الجهة الشرقية فقط ما يأتي :

«بسم الله الرحمن الرحيم وبه الهداية ، أن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين ، فيه آيات بيّنات مقام ابراهيم ، ومن دخله كان آمنا ، ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا .

كتبه الحافظ اسماعيل الزهدي وادرنوي خوجة ، كتبه عام ألف ومائتين وثمان وعشرين .

وباب الصندوق مصفح من الظاهر بالفضة ايضا ، وقد كتبت عليه هذه العبارة صاحب الخيرات والحسنات ، سلطان البرين ، وفاتح الحرمين الغازي السلطان محمود خان ابن عبدالحميد خان ، دام ملكه سنة ألف ومائتين وثمان وعشرين .

ويقول الشيخ طاهر الكردي : والذي يظهر لنا من هذه العبارة أن الذي أمر بتلبيس هذا الصندوق بصفائح الفضة هو السلطان محمود خان المذكور ، وأما الصندوق من الداخل فهو خشب عادي بلونه الطبيعي لا أثر فيه لكتابة أو نقش ، وهذا الصندوق مغطى كله من قمته إلى الأرض بكسوة من الحرير مكتوب فيها بعض آيات قرآنية كتبها مؤلف هذا الكتاب ـ طاهر الكردي ـ سنة ألف وثلاثمائة وثمان وأربعين ، وصنعت بدار الكسوة بمكة المشرفة في السنة

(١) أنظر ما كتبناه عن هذا الموضوع في ترجمة الشيخ طاهر الكردي في الجزء الثاني من اعلام الحجاز ص٣١٦/ ٣٣٩ .

المذكورة ومن هذه السنة إلى الآن لم تغير الكسوة ، ثم يحيط بهذا الصندوق الشباك الحديدي المضروب باللون الأخضر من الجهات الأربع .

أما مقام ابراهيم عليه الصلاة والسلام : فهو حجر ليس بصوَّان لونه ما بين الصفرة والحمرة ، وإلى البياض أقرب ، ويمكن أن يحمله أضعف الرجال .

ثم يقول :

وفي هذا الحجر الشريف غاصت قدما خليل الله تعالى سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام مقدارا كبيرا إلى نصف ارتفاع الحجر ، فعمق احدى القدمين عشرة سنتمترات وعمق الثانية تسعة سنتمترات ، ولم نشاهد أثرا لأصابه القدمين مطلقا .

فقد انمحى من طول الزمن ومسح الناس بأيديهم ، وأما موضع العقبين فلا يتضح إلا لمن دقق النظر وتأمل ، وحافة القدمين الملبستين بالفضة ، أوسع من بطنهما من كثرة مسح الناس بأيديهم .

ويقول الشيخ طاهر عن قامة سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام ما يلي :

ولقد كان طول سيدنا ابراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه كطول الرجل العادي في زماننا لا بالطويل ولا بالقصير الخ . . [١] .

أقول : ويفهم مما ذكره الشيخ طاهر الكردي أن السلطان محمود خان بن السلطان عبدالحميد خان أمر بتلبيس صندوق المقام بالفضة عام ألف ومائتين وثمان وعشرين .

والواقع أن أمراء المسلمين وسلاطينهم وملوكهم كانوا يولون العناية بالمقام وغيره من الآثار الشريفة المقدسة بدافع من ايمانهم وشعورهم بوجوب المحافظة عليها على مدى العصور والأزمان .

مفتاح المقام يحفظ عند السادن :

ورد في الاتمام على اعلام الأنام ما يلي :

مفتاح مقام ابراهيم عليه السلام عند السدنة بني شيبة الفاتحين للكعبة المعظمة ويضعون مفتاحه مع مفتاح الكعبة المعظمة في كيس واحد ومحل واحد[٢] .

السلطان سليمان يكسو حجر المقام :

يقول الغازي : أنه منذ ما رتب السلطان سليمان خان كسوة الكعبة المعظمة ، رتّب ايضا

---

١ ـ التاريخ القويم لمكة بيت الله الكريم الجزء الرابع ص ١٠ ـ ٢٦ .
٢ ـ افادة الأنام مجلد ١ ص٥٢٢ .

«للمقام» في كل سنة كسوة ، وستارة معمولة مثل الحزام ، وستارة في باب الكعبة المعظمة بالاسلاك الفضية المموهة بالذهب(١).

وفي الرحلة الحجازية للبتنوني ما يلي :

ولمقام ابراهيم كسوة من الحرير المزركش بالقصب تأتي اليه سنويا من مصر مع كسوة الكعبة(٢).

المهدي يقطع خيفا لعبدالله بن عثمان المحيي :

جاء في تاريخ الأزرقي : حدثني غير واحد من مشيخة أهل مكة قال :

حج المهدي أمير المؤمنين سنة مائة وستين فنزل دار الندوة ، فجاء عبدالله بن عثمان المحيي بالمقام - مقام ابراهيم - في ساعة خالية نصف النهار - مشتمل عليه - فقال للحاجب :

ائذن لي على أمير المؤمنين ، فإن معي شيئا لم يدخل على أحد قبله ، وهو يسر أمير المؤمنين فأدخله الحاجب على المهدي ، فكشف عن المقام ، فسر به المهدي وتمسح به وسكب فيه ماءاً ثم شربه ، وقال له اخرج وارسل المهدي إلى بعض أهله فشربوا منه وتمسحوا به ، ثم ادخل عبدالله بن عثمان على المهدي فأحتمل المقام ورده مكانه .

وأمر المهدي بجوائز عظيمه لعبدالله بن عثمان وأقطعه خيفا «بنخلة» يقال له القويعة فباع عبدالله بن عثمان الخيف من منيرة مولاة المهدي بعد ذلك بسبعة الآف دينار(٣).

اقول : الخليفة محمد المهدي ثالث الخلفاء العباسيين ولي الخلافة في سنة ١٥٨ للهجرة بعد وفاة ابيه الخليفة المنصور ، وتوفي المهدي سنة مائة وثمان وستين(٤) ويفهم مما ذكره الارزقي أن حجر المقام في ذلك الزمن لم يكن في مكان ثابت ، وانما كان ينقل من مكانه كما سبق ايراده

رومي يحاول سرقة حجر المقام :

جاء في الجامع اللطيف : ان رجلا يهوديا كان بمكة يقال له جريج فأسلم ، فقصد المقام ذات ليلة ، فوجد عنده ، فأراد أن يخرجه إلى ملك الروم فأخذ منه وقتل(٥)

أقول : أوردنا ما ذكره المؤرخون عن مقام ابراهيم عليه الصلاة والسلام للاحاطة بالأدوار التاريخية التى مرت على حجر المقام الذى قام عليه الخليل صلوات الله وسلامه عليه حين بنائه للكعبة المعظمة وقد أدركنا المقام وهو موضوع في مكانه في مواجهة حجر اسماعيل داخل غرفة ذات شبابيك من الحديد المدهون باللون الاخضر تعلوه القبة التى وصفها مؤرخومكة ، ثم ما

---

(١) افادة الانام مجلد ١ ص٥٢٢ .
(٢) افادة أنام مجلد ١ ص٥٢٣ .
(٣) افادة الانام مجلد ١ ص٥٢٣ .
(٤) خلاصة الكلام في امراء البلد الحرام ص١٤ .
(٥) افادة الانام مجلد ١ ص٥٢٤ .

انتهى إليه امره في الوقت الحاضر بعد وضعه داخل اناء بلوري يعلوه ، هلال ذهبي في الثامن عشر من شهر رجـب عام ثلاثمائة وسبع وثمانين وألف للهجرة ، كما ذكرنا ذلك سابقا ، وسيرى القاريء صورة للحجرة التى كان يوضع بها المقام قبل وضعه داخل هذا الاناء البلوري ، اكمالا للصورة التى كان عليها قبل

عمارة المطاف :

ذكرنا في الجزء الثاني من اعلام الحجاز أن عبدالله بن الزبير فرش الأحجار في المطاف بمقدار عشرة اذرع حين عمارته للكعبة المعظمة سنة خمس وستين للهجرة [١] .

وقد أورد الشيخ / عبدالله الغازي شيئا عن العمارات التى وقعت في المطاف بعد ذلك فرأيت ايرادها اكمالا للبحث :

ذكر الفاسي في شفاء الغرام مايلي :

عمارة الرخام الذي في المطاف تم ذلك على دفعات حتى صار على ما هو عليه اليوم ، وكان مصيره هكذا في سنة سبعمائة وستة وستين ، وممن عمره المستنصر العباسي سنة ستمائة واحدى وثلاثين .

وممن عمره الملك شعبان صاحب مصر .

ومن مبرات السلطان سليمان تغيير بلاط المطاف القديم وتجديده ببلاط جديد أي رخام على يد أحمد حلبيي في سنة تسع وخمسين وتسعمائة ذكره في درر الفوائد ، وفي تاريخ القطبي ، وأما عمارة المطاف الشريف فوقع في سنة احدى وستين وتسعمائة وهذه هي عمارة السلطان سليمان خان .

وقال ابن فهد في حوادث سنة ست وأربعين وثمانمائة وفيها في سادس عشر شوال أذيب الرصاص ، وجعل بالحفر التي بأرض المطاف[٢] .

أقول : ان عمارة ملوك المسلمين وأمرائهم للمسجد الحرام بجميع أجزائه استمر عبر العصور ، وقد أوردنا في الجزء الثاني من أعلام الحجاز ملخصاً لكتاب الشيخ / حسين باسلامة عن المسجد الحرام ، وكتابه عن الكعبة المعظمة فليرجع اليه من شاء الاستزادة[٣] .

باب زمزم ومفتاحه وأسرة الزمزمي :

عقد الشيخ / عبدالله الغازي فصلاً بعنوان : باب زمزم جاء فيه موجزه :

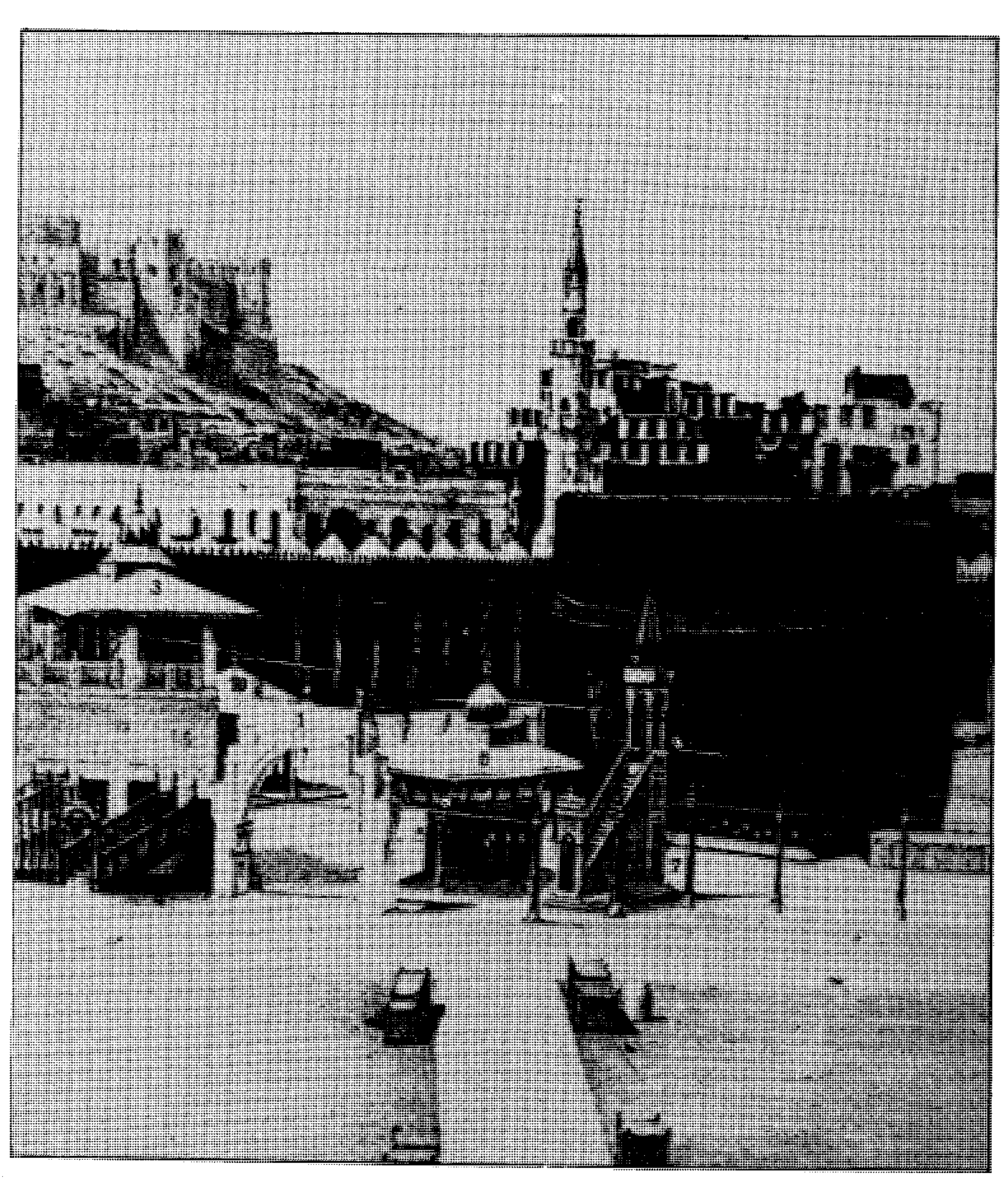
ان مفتاح باب زمزم بيد ذرية الشيخ عبدالسلام بن أبي بكر المعروفين الآن ببيت الريس

---

(١) اعلام الحجاز ج ٢ ص ٦٧ .

(٢) افادة الأنام مجلد ١ ص ٥٤١/٥٤٣ .

(٣) أعلام الحجاز ج ٢ ص ١١٩/١٢٤ .



● صورة قديمة للكعبة المشرفة ويظهر بها المنبر ومقام ابراهيم ، وباب بني شيبة ، وبئر زمزم ويعود تاريخ هذه الصورة الى سنة ١٨٨٠ ميلادية الموافقة لسنة ١٢٩٨ هجرية نقلا عن البومات ليدز التاريخية .

من سنة ستمائة وثلاثين الى وقتنا هذا ، وعندهم مرسوم من أحد خلفاء العباسية ونائبه عليها من قبل سلاطين آل عثمان .

قال الشيخ خليفة بن فرج بن محمد الزمزمي البيضاوي في كتابه « نشر الآس في فضائل زمزم وسقاية العباس » ما يلي :

كانت زمزم ليس لها باب ولا غلق وإنما هي مفتوحة لمن دخل وورد اليها ، ولذلك كان(1) أمر السقاية للجد بطريق النيابة عن الخلفاء العباسيين ، فلما أن صار أمر البئر الى الشيخ / عبدالسلام بن أبي بكر الزمزمي أنهى بمحضر الى خليفة ذلك الزمن العباسي ، بأن زمزم في أوقات الصلاة يكثر فيها الناس والازدحام ، فيشوشون على الامام والمصلين ، وطالما دخلت الكلاب والبِسَسْ في الليل فيضجون فيها ، وطلب أن يقام عليها باب يمنع ما ذكر ، فأجابه الى سؤاله وجعل عليها بابا ، ثم أنه لما صار أمر زمزم والسقاية الى ذرية الشيخ / عبدالعزيز بن عبدالسلام المذكور طلبوا من خليفة زمنهم المتوكل العباسي أن يجعلوا ضبة على باب زمزم يقفلونها في أوقات الصلوات وفي الليل وأن يكون المفتاح عند الأكبر منهم ثم من ذريتهم فأجابهم خليفة ذلك الزمان الى ما طلبوا .

وقد أورد الشيخ الغازي نص المرسوم الصادر من الخليفة العباسي المتوكل على الله وفيه موافقة الخليفة على عمل باب لزمزم يقفل عليها منعاً لما فيه ضرر على المسلمين ، وقد أصدر الخليفة مرسوماً آخر الى أمير مكة المشرفة ـ الجناب العالي الأميري مغلباي ـ الأمير بمكة المشرفة ، وناظر الحسبة الشريفة بما أجازه له الخليفة العباسي للشيخ / سراج الدين عمر بن الشيخ عبدالعزيز الزمزمي مفتي مكة المشرفة ، والقائم عنا بخدمة زمزم الشريفة وسقاية جدنا العباس ، وأجاز الخليفة في هذا المرسوم أن يعمل بيد الشيخ عمر مفتاح ، ويقيموا من شاءوا من جهتهم من يتولى اغلاق الباب وفتحه وتاريخ هذا المرسوم العشرين من شوال سنة عشرين وثمانمائة . . . الخ(2) .

أقول : انتهت الخلافة العباسية ببغداد سنة ست وخمسين وستمائة للهجرة بمقتل الخليفة المستعصم بالله ، وهو أبو أحمد عبدالله بن المستنصر العباسي ، حينما دخل التتار بغداد وقتلوا خليفتها وأكثر أهلها بقيادة القائد التتري هولاكو(3) .

ثم انتقلت الخلافة الى مصر بعد ان وصل اليها الخليفة العباسي أحمد بن الخليفة الظاهر الملقب بالمستنصر بالله سنة تسع وخمسين وستمائة . وبايعه بالخلافة الملك الظاهر بيبرس البندقداري من سلاطين المماليك سنة ثمان وخمسين وستمائة بعد انتصاره على التتار في عين

---

(1) الكلام غير واضح وقد تكون الجملة أمر السقاية للجد .
(2) افادة الأنام مجلد ١ ص٥٦٢/٥٦٣ .
(3) البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢٠٠/٢٠٥ .

جالوت ، وقتله السلطان قطز[1] وقد بقي الخلفاء العباسيون في مصر ، ولكن السلطة الحقيقية كانت بيد سلاطين مصر من المماليك ، ثم من الجراكسة الأتراك وكان الخلفاء العباسيون لا حول لهم ولا طول ، وربما تعرضوا للمهانة والاذلال على أيدي السلاطين وهذا الخليفة المتوكل على الله الذي أصدر المرسوم بالسقاية لأسرة الزمزمي ولي الخلافة في مصر وعزل منها عدة مرات[2] ولو لم تكن السقاية أصلا لجده الأعلى العباس بن عبدالمطلب رضي الله تعالى عنه لما استطاع اصدار مرسوم عنها ، واذا نظرنا الى هذا المرسوم وجدناه خاصا بعمل ضبة لباب زمزم ومفتاح يحفظ عند الساقي وأسرته .

وهكذا تدور الدنيا ، ويهون الزمان فسبحان من بيده الملك يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء ، ويعز من يشاء ويذل من يشاء وهو على كل شيء قدير .

جد الزمازمة قدم من العراق :

وينقل الشيخ / الغازي من كتاب نشر الآس السابق ذكره الكيفية التي وصلت بها أسرة الزمزمي الى السقاية فيقول :

نقلا عن الشيخ / خليفة بن فرج الزمزمي البيضاوي في كتابه مايلي : ان جدنا الأكبر علي بن محمد البيضاوي قدم مكة عام ثلاثين وستمائة من العراق ، وباشر عن الشيخ / سالم بن ياقوت المؤذن خدمة زمزم ، فلما ظهر له خيره نزل عنها ، وزوَّجه ابنته فولدت منه أولاداً فصار لهم أمر البئر وسقاية العباس[3].

البعض ينازع ورثة الزمزمي في السقاية :

وذكر الشيخ / الغازي أن رجلا يدعى عبدالعزيز بن عبدالله الزمزمي ، نازع ورثة الزمزمي في السقاية في سنة ثمانمائة وسبعة وسبعين ، وذكر أن كل من جَبَذَ دَلْواً من زمزم نسب اليها . ادعى ذلك الرجل الشراكة مع أولاد الشيخ / اسماعيل الذين أخذوها من جدهم عن الشيخ سالم بن ياقوت وهم وكلاء الخلفاء العباسيين في ذلك الزمان ، ودلَّسَ ذلك الرجل على خليفة زمانهم فأشركه معهم ، فأنهى أولاد الشيخ / اسماعيل الى الخليفة فأرسل اليهم - الأجواد بك - بضم أوله وفتح الموحدة فبحث عن هذه الخدمة ، وعقد مجلساً حضره القضاة وكثير من أعيان مكة ووقف على ما بيد أولاد الشيخ / اسماعيل البيضاوي من المستندات ، وظهر أن هذه الخدمة لأولاد الشيخ ، واخرج المعتدي عليهم .

---

(١) نفس المصدر ج ١ ص ٢٣١ / ٢٣٣ .
(٢) النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٣٩٨ / ٣٩٩ .
(٣) افادة الأنام مجلد ١ ص ٥٦٣ .

ويعلق الشيخ / الغازي على ذلك فيقول :

ومثل هذه الحادثة وقعت في زماننا ، وهي أن رجلاً يقال له عبدالله حميد ، كان وكيلاً عن الشيخ / الريس شيخ زمزم ، واستمر مدة من الزمان ، ثم بعد ذلك ادعى أن خدمة زمزم له شراكة معهم ، وأن بيده تقارير من أشراف مكة ، تبين مكانها فأرسل آل الريس رجلا من طرفهم الى الآستانة العلية ، وبيده من الخلفاء العباسيين ومن سلاطين آل عثمان ما يثبت أن هذه الوظيفة لهم ، وعاد الرجل من الآستانة وبيده فرمان سلطاني يمنع كل من يتعرض لهم ، وأن تبقى هذه الخدمة بأيديهم كما كان عليه أسلافهم .

وقد أورد الشيخ الغازي صورة الشكوى التي رفعها الشيخ / عثمان بن أحمد الريس الى والي ولاية الحجاز عثمان باشا وجوابه الذي صدر منه الى مدير الحرم في سنة ١٢٥٨ للهجرة[١] .

* * * *

(١) افادة الأنام مجلد ١ ص ٥٦٢/٥٦٤ .

أبواب المسجد الحرام وأسماؤها

باب ابراهيم نسبة الى خياط اسمه ابراهيم :

كنا ذكرنا في الجزء الثاني من أعلام الحجاز أن الخليفة العباسي المقتدر بالله أدخل زيادة في المسجد الحرام في سنة ست وثلاثمائة سميت بباب ابراهيم ، وأنه كانت هناك ساحة بين بابين من أبواب المسجد الحرام كان أحدهما يسمى باب الحزورة أو باب الخياطين ، والثاني باب بني جمح ، وكانت هذه الساحة امام دارين لزبيدة أم الأمين فادخلت هذه الساحة في المسجد الحرام[1] وقد ذكر الشيخ / الغازي نقلا عن كتاب الاعلام : أن من جملة محاسن المقتدر بالله العباسي زيادة باب ابراهيم ، وليس المراد به الخليل عليه السلام ، فقد كان ابراهيم هذا خياطاً يجلس عند هذا الباب فعرف به ، ثم ذكر الغازي نقلا عن مؤرخي مكة الزيادة المذكورة والبيوت التي كانت في موضعها وتواريخ ادخالها الى المسجد الحرام مما لا يخرج عما ذكرناه ، ونعرض عن ايراده تجنباً للتكرار[2] وقد رأيت هنا ايراد سبب تسمية باب ابراهيم لأن الكثير من الناس يظن أن هذا الباب ينسب الى الخليل ابراهيم عليه السلام .

باب بازان :

سمي هذا الباب لقربه من عين مكة المعروفة ببازان .

باب العباس :

سمي هذا الباب بباب العباس لأنه كان قريباً من دار العباس .

باب الصفا :

أما باب الصفا فكان اسمه سابقا باب بني مخزوم[3] .

---

(١) أعلام الحجاز ج ٢ ص ٢٥ / ٢٦ .

(٢) افادة الأنام مجلد ١ ص ٦٢٥ / ٦٢٦ .

(٣) افادة الأنام مجلد ١ ص ٦٥٢ .

تسمية الأبواب تختلف باختلاف الزمان :

كان امام التكية المصرية بأجياد قبل ادخالها في المسجد الحرام في التوسعة السعودية باب للمسجد الحرام أورد له الشيخ الغازي عدة أسماء منها :

باب مدرسة الشريف عجلان بن رميثة لاتصالها به ، وقد جدد هذا الباب وعدد شرافاته عشرون ، ويقال له باب بني تميم ، وسماه صاحب النهاية بباب العلافين ، وفي زماننا هذا يعرف بباب التكية المصرية[1].

أقول أسس محمد علي باشا التكية المصرية عام ١٢٣٨هـ أثناء حكم المصريين للحجاز[2].

باب أم هانىء :

يقول الغازي عنه : وقد جدد هذا الباب ببناء حسن لطيف وعدد شرافاته ثلاثة عشر شرافة قال في تحصيل المرام ، وهذا الباب مما يلي دور بني عبد شمس وبني مخزوم ، ويقال لهذا الباب « باب الفرج » على ما وجد بخط الاقشيري ، وذكر له صاحب تحصيل المرام اسماً آخر لم نتبين حقيقته لعدم وضوح الخط ، وسماه صاحب النهاية باب أبي جهل يقول الشيخ الغازي : قلت وفي زماننا هذا يعرف بباب الشريف ، لأنه كان يخرج منه الشريف سرور الى بيته الذي بأجياد[3].

باب الوداع :

يقول الغازي : وعامة أهل مكة يسمونه باب العزوزة بالعين المهملة وانما هو بالحاء المهملة الحزورة ، وهذا الباب يلي المنارة التي تلي أجياد الكبير ، ويقال له باب حكيم بن حزام وباب الزبير بن العوام ذكره القرشي .

يقول الشيخ الغازي : وفي زماننا هذا يعرف بباب الوداع لأن الحاج حين توجههم بعد الحج لبلادهم يخرجون من هذا الباب .

باب العمرة :

سمي بباب العمرة لأن المعتمرين من التنعيم يدخلون ويخرجون منه في الغالب وكان يسمى قديماً باب بني سهم[4] .

وفي الجانب الشمالي من المسجد الحرام خمسة أبواب .

---

(١) افادة الأنام مجلد ١ ص ٦٥٢ .
(٢) أعلام الحجاز ج ٣ ص ٣٩ .
(٣) افادة الأنام مجلد ١ ص ٦٥٣ .
(٤) افادة الأنام مجلد ١ ص ٦٥٣ .

باب ابن عتيق :

الأول ويعرف بباب السدة ، وكان يقال له باب عمرو بن العاص ، قال في الارج المكي : باب السدة يعرف في زمننا بباب ابن عتيق لكونه قريباً من داره .

أقول : وقد أدركت هذا الباب وهو يسمى باب العتيق في الخمسينات من القرن الماضي .

باب الباسطية :

الثاني باب العجلة ، ويدعى كذلك باب الباسطية لاتصاله بمدرسة الخواجة عبدالباسط وهو على يمين الخارج ، أوقفها على الفقراء ، وهي في غاية الاحكام ، والاتقان ، ولها شبابيك تكشف على الحرم ، وجعل سبيلا بجانب المدرسة من خارج .

توفي عبدالباسط سنة ثمانمائة واحدى وثمانين .

وقد علل ابن ظهيرة تسمية باب العجلة بأن هذا الباب كان عند دار تسمى قديماً دار العجلة وسبب التسمية أن ابن الزبير كان ينقل حجارتها على عجلة اتخذها على البُخْتِ والبقر ذكر ذلك الأرزقي .

أقول : وقد احتفظ باب الباسطية باسمه الى حين أجراء التوسعة السعودية الاولى للمسجد الحرام التي بدأت سنة ١٣٧٥ للهجرة وانتهت سنة ١٣٩٦ للهجرة[١] وسنتحدث عن المدرسة الباسطية في الفصل الخاص بالمدارس التي بنيت حول المسجد الحرام بعد .

باب القطبي :

الثالث : باب القطبي ، ولا يعرف له اسم غير هذا .

أقول : ذكر الشيخ حسين باسلامة أن هذا الباب بجوار مدرسة قطب الدين الحنفي ، وكان يسمى قديماً باب زيادة دار الندوة ، وهو واقع غرب تلك الزيادة ولم يجدد في العمارة التي وقعت سنة ٩٨٤ وله منفذ واحد ، ويعلو عن رواق الزيادة بثلاثة عشر درجة ولم يكتب عليه شيء وهو لا يزال على عمارته التي انشئت في خلافة المعتضد بالله العباسي سنة ٢٨١هـ ، وهو الباب الأثري الباقي على بنائه القديم نحو ألف ومائة سنة ، وهو لا يزال في العصر الحاضر قوي البناء لا فرق بينه وبين سائر أبواب المسجد الحرام في متانته انتهى[٢] .

أقول : وقد احتفظ باب القطبي باسمه هذا الى أن تمت العمارة السعودية الاولى مابين عامي ١٣٧٥/ ١٣٩٦ للهجرة ، وكنت أسمع من اخواننا المكيين أن هذا الباب ينسب الى أحد العلماء المسمى بالقطبي .

---

(١) أعلام الحجاز ج ٢ ص ٤٣/٥٢ .

(٢) تاريخ عمدة المسجد الحرام للشيخ حسين باسلامة ص ١٣١ .

باب الزيادة :

الباب الرابع : باب الزيادة ، قال الأرزقي :

وهو باب دار بني شيبة بن عثمان يسار منه الى السويقة ، ذكره القرشي .

الخامس :

باب الدريبة بالقرب من منارة باب السلام . انتهى ما ذكره الغازي عن الأبواب الشمالية للمسجد الحرام ، ونواصل الحديث عن الأبواب الأخرى .

باب الداودية :

وكان فتحه داود باشا لما بنى مدرسته ورباطه بين باب السدة وباب الواسطية وهو باب لطيف طاق واحد ، فتح أيام بناء المدرسة .

أقول : سنتحدث عن المدرسة الداودية وعن المدارس الأخرى في فصل خاص بعد .

وقد كنا نزور الأديب الشيخ / حسين نظيف رحمه الله في رباط الداودية في النصف الثاني من القرن الهجري الماضي ١٣٥٥هـ ، حينما كان يسكن في ذلك المكان ، ثم أزيل الرباط في التوسعة الاولى للعمارة السعودية للمسجد الحرام .

الأبواب الأخرى :

وللمدارس السلطانية بابين لطيفين نافذين على الحرم حديثاً عند بناء المدارس المذكورة كل واحد طاق واحد يسمى الأول باب القاضي لسكناه بتلك المدرسة ويسمى الثاني باب السليمانية .

وبين باب السلام وباب النبي باب لطيف « طاق واحد » يعرف بباب السلطان قايتباي لأنه فتح حين بنى مدرسته[1] .

أقول : وسنتحدث عن مدرسة السلطان قايتباي في القسم الخاص بالمدارس حول المسجد الحرام .

أما عن أبواب المسجد الحرام وأسمائها فيتضح مما أوردناه آنفاً أن هذه الأبواب كانت تختلف اسماؤها باختلاف الزمان ، وباختلاف المجاورين لها في السكن ، أو البانين حولها ، وقد أزالت التوسعة السعودية الاولى كثيراً من أسماء الأبواب القديمة التي صار ذكرها تاريخاً يذكر الناس بما كان في قديم الزمان .

وتكملة لهذا البحث فقد تفضل صديقنا العلامة الدكتور عبدالوهاب أبو سليمان الاستاذ بجامعة أم القرى بمكة المكرمة وعضو هيئة كبار العلماء ، بكتابة بحث مفصل عن أبواب المسجد الحرام وأسمائها ، كما هي في الوقت الحاضر ، وأنه ليسرني أن أثبت هذا البحث كما تفضل به الصديق الكبير .

---

(١) افادة الأنام مجلد ١ ص ٦٥٣/٦٥٦ .

أسماء أبواب المسجد الحرام وتعدادها فى التوسعة السعودية الأولى

بطلب من سعادة الأديب الكبير والمؤرخ القدير الشيخ / محمد علي مغربي لمعرفة عدد أبواب المسجد الحرام وتعدادها في الوقت الحالي ، قمت أنا عبدالوهاب ابراهيم أبوسليمان شخصياً باحصائها وتدوين أسمائها فدونت التالي .

شملت التوسعة السعودية الاولى الجهات الأربع للحرم المكي الشريف ، وقد شمل التغيير ضمن ما شمل تغيير أسماء الأبواب التي كانت معروفة عبر التاريخ ، وبعضها لازال قائماً فاستعمل في تسمية بعض الأبواب في التوسعة الجديدة ، وأقرب ما يكون موازياً للباب القديم في التوسعة الجديدة ، وفيما يلي تفصيل هذه الأسماء وبيان مواقعها :

الأبواب بالجانب الشرقي (المسعى) مواجهاً باب الكعبة الشريفة ابتداء من الصفا في اتجاه الشمال نحو (المروة) من الجهة اليمنى :

أولاً : باب دار الأرقم ، ولعله محاذٍ لهذا الموضع الأثري المعروف .

ثانياً : باب بني هاشم ، ولعل تسميته بهذا الاسم لأنه في الجانب من شعب بني هاشم (شعب علي) حيث أزيل هذا الحي كاملاً معه بسبب اتجاه الأنفاق وأغراض أخرى .

ثالثاً : باب علي ، ولعله محاذٍ في الحرم القديم لباب علي سابقاً وهو معروف لدى أهل مكة قديماً .

رابعاً : باب العباس ، وهو من الأسماء القديمة المحتفظ بها في التوسعة الجديدة وموقعه الى جانب الميلين الأخضرين .

خامساً : باب النبي ، وهو من الأسماء القديمة التي احتفظ بها في التوسعة الجديدة في نفس الجهة .

سادساً : باب السلام ، وهو أحد الأبواب الرئيسة في الحرم القديم واحتفظ باسمه في الجديد ، ولكنه لم يأخذ مكانته مساحة وشكلا ليتلاءم مع مكانته الدينية والتاريخية ، فلم يأخذ المساحة والشكل المطلوبين في باب الفتح والعمرة وعبدالعزيز .

سابعاً : باب بني شيبة ، وهذا الاسم معروف قديماً للعقد الكبير على حدود المطاف مقابل باب الكعبة .

ثامناً : باب الحجون ، وتسميته بهذا الاسم لأنه في نفس الاتجاه لهذا المكان التاريخي المعروف بأعلا مكة المكرمة .

تاسعاً : باب المعلاه ، لأنه في اتجاه (سوق المعلاه) المعروف قديماً وحديثاً ، وهو أحد أسواق مكة الكبيرة .

عاشراً : باب المدعى ، والمدعى هي المنطقة التي تلي الحرم في الاتجاه الى المعلاه وهي سوق كبيرة مشهورة من أسواق مكة المزدحمة بالبشر والبضائع .

حادي عشر : باب مراد ، ولعله أحد أسماء الأبواب القديمة سمي بأحد أسماء سلاطين آل عثمان المشهورين .

وفي الجهة اليسرى من المسعى الشريف توجد أبواب لها أسماؤها ، وتطل على رحبة واسعة حيث يصب فيها الخارجون من المسجد الحرام من المسعى إذ يوجد بها سوق للذهب والملابس ، والأبواب التالية في الجهة اليمنى للنازل من المروة في اتجاه الصفا .

ثاني عشر : باب المروة ، يقابل باب مراد .

ثالث عشر : باب المحصب ، يقابل باب المدعى .

رابع عشر : باب عرفة ، يقابل باب المعلاة .

خامس عشر : باب منى ، يقابل باب الحجون .

سادس عشر : باب قريش ، يقابل باب بني شيبة ،

هذا مجموع أبواب الحرم المكي الشريف في مشعر المسعى من كلا جناحيه الشرقي والغربي .

أما أبوابه من الجهة الشمالية تجاه الشامية والقرارة فهي كالآتي من الشرق الى الغرب :

سابع عشر : باب القرارة ، ويقع في الركن الشرقي مزوياً يقود الداخل الى المسجد الحرام في اتجاه باب السلام نزولاً الى أروقة الحرم ، وصعوداً الى الدور الثاني منه .

ثامن عشر : باب الفتح ، وهو مطل على ساحة كبيرة بها ميضأة للرجال وأخرى للنساء وبها سوق للذهب والملابس ، وفيها يلتقي الخارجون من أبواب المسعى القريبة (باب المروة ، والمحصب ، وعرفة ، ومنى ، وقريش) وهو أحد أبواب الحرم الكبيرة الرئيسة إذ يحتل مساحة ثلاثة بوائك واسعة مرتفعة يقود الداخل الى الحرم الى صالة واسعة خالية من الأعمدة يشاهد الداخل الكعبة المشرفة مباشرة .

تاسع عشر : باب عمر الفاروق .

العشـــرون : باب الندوة ، وهو محاذ لما هو معروف بدار الندوة داخل الحرم الشريف .

الحادي والعشرون : باب الشامية .

الثاني والعشرون : باب القدس .

الثالث والعشرون : باب المدينة المنورة .

الرابع والعشرون : باب الحديبية ، وعند هذا الباب تنتهي الأبواب في الجهة الشمالية من المسجد الحرام . أما الأبواب في الجهة الجنوبية من ناحية أجياد بدءاً من الصفا فهي كالتالي :

الخامس والعشرون : باب الصفا .

السادس والعشرون : باب اسماعيل .

السابع والعشرون : باب حنين .

الثامن والعشرون : باب بلال .

التاسع والعشرون : باب أجياد .

الثلاثـــون : باب الملك عبدالعزيز ، وهو أحد الأبواب الرئيسة بالمسجد الحرام ذات المساحة الواسعة والشكل المتميز ، ومنه ترى الكعبة المشرفة مباشرة ، والباب بمساحته الواسعة ذات البوائك الثلاث يقود الى صالات واسعة متتالية داخل المسجد الحرام خالية من الأعمدة ، ومستوى المدخل متباين عن مستوى الصالات الداخلية ، ينزل الداخل اليها بواسطة درج رخامية .

أما الأبواب بالجهة الغربية من المسجد الحرام فقد أصبحت أروقة تنفذ الى التوسعة السعودية الثانية لتوصل بين أروقة الحرم القديم ، والتوسعة الحديثة ، وأسماء الأبواب في هذه الجهة قبل التوسعة الحديثة تجاه ماكان معروفاً بـ (السوق الصغير) كالتالي من الشمال الى الجنوب :

الحادي والثلاثون : باب العمرة ، وهو باب رئيسي في هذه الجهة ذو مساحة واسعة وشكل متميز كسابقيه باب الفتح ، وباب الملك عبدالعزيز ، وهو من الأسماء القديمة لأبواب الحرم الشريف ، ظل الاحتفاظ به وفي محاذاة موقعه القديم من المسجد الحرام ، ولعل سبب التسمية أنه في اتجاه (التنعيم) مكان اعتمار الحجاج وأقرب الحل لمكة المكرمة .

الثاني والثلاثون : باب الشبيكة لأنه في اتجاه حي الشبيكة المكان التاريخي المعروف حيث يشمل في نفس الاتجاه المعروف (السوق الصغير) موضع التوسعة الحالية للحرم الشريف .

الثالث والثلاثون : باب ابراهيم ، وهذا حسب التسمية القديمة المعروفة لهذا البا ب .

الرابع والثلاثون : باب أبي بكر الصديق رضي الله عنه لعله سمي به حيث يوجد بالمسفلة مسجد أبي بكر الصديق اشارة اليه .

الخامس والثلاثون : باب الهجرة ، ولعل التسمية مستوحاة من توجه الرسول صلى الله عليه وسلم الى أسفل مكة للهجرة الى المدينة المنورة مع صاحبه الصديق رضي الله عنه .

السادس والثلاثون : باب أم هانىء ، ولعله ابقاء لتسمية الباب في الحرم القديم ومحاذ له .

هذه مجموع أبواب الحرم المكي الشريف أحصيتها وقوفاً بها وتطوافاً بجميع جهات الحرم ليلة الجمعة ١٤١٣/٧/١٥هـ ، نقلا من الأسماء المدونة على الأبواب على حجر الرخام .

وتوجد مداخل عليا للدور الأعلى من المسجد الحرام من الجهة الشمالية من جهة القرارة والشامية حيث ان مستوى الأرض في هذين الحيين ترتفع نسبته عن أرضية الحرم الشريف بعد التوسعة السعودية ، وتتلاءم نسبياً مع أرضية الدور الأعلى ، يتوصل الى هذا الدور من هذه الجهة بواسطة كباري ممتدة من الشارع الرئيسي الذي يطل عليه المسجد الحرام عن طريق الأبواب والمداخل من جهة الشرق الى الغرب كالتالي :

١ ـ باب عثمان بن عفان ، وهو الذي يرتفع على جبل المروة مواجهاً لعمارة رئاسة الحرمين الشريفين العائد ملكيتها للأمير بندر بن عبدالعزيز .
٢ ـ باب ابن الزبير (جسر باب ابن الزبير) .
٣ ـ باب الندوة (جسر باب الندوة) يتوسط في الجهة العليا بين بابي الندوة ، وعمر الفاروق .
٤ ـ باب المدينة (جسر باب المدينة المنورة) يتوسط في الجهة العليا بين بابي الحديبية وباب المدينة المنورة .
٥ ـ باب العمرة (جسر باب العمرة) الى الجهة اليسرى للداخل الى باب العمرة .

ومما تجدر الاشارة أنه كان يوجد باب في أعلا الصفا بالدور الثاني يطل على جبل أبي قبيس ، ويمثل منفذاً من الدور الأعلى للمسعى يخرج منه المصلون الى الجسر الذي يوصل المتجهين من السوق الصغير وأجياد الى الغزة ، ويسمى

٦ ـ باب أبي قبيس .

وقد تم لي اكمال عدد أبواب المسجد الحرام التي وافت جميعها اثنين وأربعين بابا ، ليلة الجمعة ٢١/٢٢/٠٧/١٤١٣هـ والله ولي التوفيق .

كاتبه
عبدالوهاب ابراهيم أبوسليمان

وقد تم ترقيم أبواب المسجد الحرام ووضع أسماء عليها فبلغ تعدادها واحداً وسبعين بابا ، وبدأ الترقيم بباب الملك عبدالعزيز رقم ١ وانتهى بالرقم الواحد والسبعين من جهة سوق الصغير ، ويقول الدكتور عبدالوهاب أبوسليمان الذي تفضل باكمال هذه المعلومة أن التوسعة التي تمت من جهة سوق الصغير وضعت لها الأرقام ولكن لم توضع لها الأسماء بعد ، أثبتنا ذلك إكمالاً للبحث .

منائر المسجد الحرام :

نقل الغازي عن صاحب الاعلام ما يلي :
هي الآن سبع منائر يؤذنون عليها في الأوقات الخمس أولاها :

منارة باب العمرة :

عمَّرها أبوجعفر المنصور ثالث ملوك بني العباس ، وعمَّرها بعده وزير صاحب الموصل الجواد بن علي بن أبي منصور الأصفهاني في سنة احدى وخمسين وخمسمائة .

وكان رئيس المؤذنين يؤذن عليها في زمن الفاكهي يتبعه سائر المؤذنين ، ثم صار في زمن الفاسي رئيس المؤذنين يؤذن في منارة باب السلام ، ويتبعه سائر المؤذنين ، وهو الآن - في زمن صاحب الاعلام - يؤذن في الأوقات الخمس على قبة زمزم ، ويتبعه المؤذنون ، إلا ليالي رمضان في التسحير واحداً بعد واحد ، وكذلك في[1] والتوديع والتذكير ونحو ذلك .

قال في التحصيل ، قلت وهو كذلك في زماننا ، يؤذن الريس على قبة زمزم ثم يتبعونه .

أقول : كانت عمارة أبوجعفر المنصور للمسجد الحرام في سنة مائة وثلاثين للهجرة ، وتمت هذه العمارة سنة مائة وأربعين[2] ، ولا بد أن تكون عمارة منارة باب العمرة قد تمت من ضمن عمارة المنصور في هذه الأعوام .

أما الفاكهي فهو محمد بن اسحاق بن العباس الفاكهي أبوعبدالله المكي من أقدم مؤرخي مكة المكرمة ، وقد ولد ما بين عامي ٢١٥ - ٢٢٠ للهجرة ، وتوفي مابين عامي ٢٧٢ - ٢٧٩ على اختلاف بين المؤرخين في عامي ولادته ووفاته[3] .

أما الفاسي فهو الامام أبوالطيب التقي الفاسي محمد بن أحمد الحسيني المكي مؤرخ مكة المكرمة ، ولد سنة ٧٧٥ وتوفي سنة ٨٣٢ ، فهو ممن عاصروا الربع الأخير من القرن الثامن والثلث الأول من القرن التاسع الهجري - وهو مؤلف العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، وشفاء الغرام بأخبار البلد الحرام .

أما صاحب الاعلام الذي نقل عنه الغازي فهو الامام قطب الدين الحنفي صاحب كتاب الاعلام باعلام بيت الله الحرام وهو من رجال القرن العاشر .

وصاحب تحصيل المرام هو الشيخ محمد بن أحمد الصباغ المكي وهو ممن عاصروا القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين .

ويقول الشيخ الغازي : بقيت هذه المنارة - منارة باب العمرة - منذ أن عمرها أبوجعفر المنصور في سنة مائة وأربعين للهجرة الى أن جَدَّد عمارتها الجواد الأصفهاني وزير صاحب الموصل عام ٥٥١ للهجرة ، ثم هدمت وأعيد بناؤها بأمر السلطان العثماني سليمان خان سنة ٩٣١ ، وبنيت على الطراز المعماري الرومي ، وكانت قبل ذلك مبنية على طراز العمارة المصرية حيث كان على رأسها ثلاثة قناديل في ثلاثة أعواد مغروزة في قبة صغيرة على رأس المأذنة ثم

---

(١) الكلمة غير واضحة في الأصل .

(٢) أعلام الحجاز ج ٢ ص ٢٥ .

(٣) انظر ترجمته في أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه ج ١ ص ٩ - ٣٢ للاستاذ/ عبدالملك بن عبدالله دهيش .

جدد عمارتها الشريف سرور ، وجعل لها دورين وذلك سنة ١٢٠١ هـ كما هو مكتوب على باب خلوتها ، وبقيت هذه المنارة على ذلك الى أن تمت التوسعة السعودية الاولى للمسجد الحرام حيث يذكر الشيخ / حسين باسلامة العمارة الأخيرة فيقول :

ولا تزال منارة باب العمرة على ذلك البناء ذات دورين الى العصر الحاضر الذي ألف كتابه فيه عام ١٣٥٤ للهجرة(١) .

أقول : كان الأذان يتم في المسجد الحرام بارتقاء المؤذنين للمنائر العالية وكانوا يختارون من أصحاب الأصوات الجميلة والقوية ، ليتم ايذان الناس بأوقات الصلوات في بيوتهم ومتاجرهم ، وكان رئيس المؤذنين في زمن الفاكهي في القرن الثالث الهجري يبدأ الأذان من هذه المنارة فيردد بعده المؤذنون الأذان في المنائر الأخرى التي كانت في المسجد الحرام ، والتي سنتحدث عنها بعد .

ثم تحول رئيس المؤذنين في زمن الفاسي في القرن الثامن الهجري الى منارة باب السلام ويتبعه سائر المؤذنين من المنائر الأخرى ، وفي القرن العاشر في زمن صاحب الاعلام صار رئيس المؤذنين يشرع الأذان من قبة زمزم ويتبعه سائر المؤذنين من المنائر الأخرى ، وقد تم تجهيز المسجد الحرام بمكبرات الصوت ـ الميكروفون ـ بعد الحرب العالمية الثانية في عهد الشيخ / عبدالرؤوف الصبان يرحمه الله ، وركبت الأجهزة في المنائر وصار المؤذنون يؤذنون في موضعهم في البناء المخصص لهم الذي كان فوق قبة زمزم ، والذي هو في الوقت الحاضر فوق موضع الامام في مواجهة الركن اليماني من الكعبة المشرفة .

وينتقل صوت المؤذنين عبر مكبرات الصوت فيصل الى رحاب مكة شرفها الله(٢) .

وقد جاء ذكر التسحير والتوديع والتذكير في رواية الفاكهي عن المؤذنين فقد كان المؤذنون في الحجاز يعتلون المآذن وتنطلق أصواتهم بأدعية يصحو عليها النائمون في رمضان لتناول السحور ، ويتم ذلك قبل ساعتين من الفجر ، أما التذكير فكان يتم في الربع الأخير من الليل قبل الفجر ليوقظوا الناس للذكر ، وأما التوديع فلعله كان توديعاً لشهر رمضان في الأيام الأخيرة منه ، وقد أدركت التذكير والتسحير وأنا طفل صغير ، ومما ذكره الفاكهي يظهر لنا أن هذه العادة كانت قديمة في الحجاز تعود الى القرن الثالث الهجري .

وقد ذكر ابن اياس في بدائع الزهور أن الناصر محمد بن قلاوون سلطان مصر هو أول من اتخذ التذكير يوم الجمعة على المآذن لتستعد الناس للصلاة وذلك في سنة سبعمائة للهجرة(٣) .

أقول : ذكر ابن اياس ذلك في تاريخه لحكم السلطان في مصر ، ولا أعرف اذا كانت هذه العادة ـ عادة التذكير يوم الجمعة ـ قد انتقلت الى الحجاز ، ولكن الذي هو حادث الآن في

---

(١) تاريخ عمارة المسجد الحرام ٢٤٢/٢٤٣ .

(٢) انظر قصة ادخال الميكروفونات الى المسجد الحرام مفصلة في أعلام الحجاز الجزء الأول ص ١٠٨ ـ ١٠٩ .

(٣) بدائع الزهور ج ١ ص ٤٨٣ .

الحرمين الشريفين وفي كافة مساجد المملكة أن يؤذن للجمعة أذانان ، الأذان الأول قبل نصف ساعة من موعد الصلاة ، والأذان الثاني حين يعتلي الامام المنبر لخطبة الجمعة ، كما أنه يؤذن أذانان لصلاة الفجر في الحرمين الشريفين وبعض المساجد الأخرى ، الأول قبل ساعة من دخول وقت الفجر ، والثاني حين حلول وقته .

وقد أبطلت هذه العادات جميعها في العهد السعودي لأنها لم تكن موجودة في العهد الاسلامي الأول عهد الرسول صلوات الله وسلامه عليه والخلفاء الراشدين من بعده .

نعود الآن الى اكمال الحديث عن المنائر السبع التي ذكرها الشيخ الغازي .

منارة باب السلام :

عمر هذه العمارة المهدي والمنصور العباسي الذي أمر بتوسعة المسجد الحرام في سنة اربع وستين ومائة ، وهي بدورين ، وقد تهدمت وتمت عمارتها في زمن الناصر فرج بن برقوق في سنة ست عشر وثمانمائة وهي باقية الى الآن .

أقول : لتوضيح ما ذكره الشيخ / الغازي عن عمارة المهدي والمنصور ، أن الخليفة المنصور العباسي بدأ بعمارة عظيمة في المسجد الحرام عام ١٦٤هـ ، وتوفي قبل اكمالها ، فأكملها ابنه الخليفة المهدي ، وجعل المسجد مربعاً بحيث تظهر الكعبة المعظمة في وسطه تماما[١] .

ويقول الشيخ / حسين باسلامة عن منارة باب السلام ان السلطان مراد خان جِدَّد عمارتها سنة ٩٨٣ نُقل ذلك عن كتاب مرآة الحرمين ، وقد بقيت هذه المنارة بعد عمارتها الثالثة الى أن تمت العمارة السعودية الاولى للمسجد الحرام[٢] .

منارة باب علي :

أول من عمرها المهدي العباسي وقد بنيت مع عمارة باب السلام السابق ذكرها ، وآلت الى الخراب فأمر بعمارتها السلطان العثماني سليمان خان فهدمت وأعيد بناؤها بالحجر الأصفر الشميسي وجعل لها دورين أعلا وأسفل ، وكانت بدور واحد وجعل رأس المنارة المذكورة على طراز منائر الحرم الشريف .

ويقول الشيخ / حسين باسلامة ، ان عمارة السلطان كانت في حدود سنة ٩٧٠ للهجرة وأن هذه المنارة بقيت بعدها الى أن تمت العمارة السعودية الاولى للمسجد الحرام[٣] .

منارة باب الوداع :

سماها الشيخ الغازي : منارة باب الحزورة ، وسماها الشيخ / باسلامة منارة باب

---

(١) انظر ذلك في أعلام الحجاز ج ٢ ص ٢٤ - ٢٧ .
(٢) تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ٢٤٢ .
(٣) تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ٢٤٢ - ٢٤٣ .

الوداع ، وقد اخترت ما سماه الشيخ / باسلامة لأنه أقرب الى مفهوم القارىء في الوقت الحاضر .

بناها المهدي العباسي ثم عمرت في زمن الأشرف شعبان بن حسين صاحب الموصل وكانت قد سقطت عام احدى وسبعين وسبعمائة ، وَسلِم الناس من سقوطها ، فوصل المعمرون لعمارتها وفرغوا منها في مفتتح محرم الحرام سنة اثنين وسبعين وسبعمائة ، وهي باقية الى الآن .

ويروي الشيخ / باسلامة نقلاً عن ابن فهد القرشي في اتحاف الورى كيفية سقوطها فيقول :

وفي ليلة الاثنين ثاني جماد الاولى سقطت مأذنة (باب الحزورة) في ليلة مطيرة ، وكفى الله شرها فلم تَضرُّ أحداً من مجاوريها ، ولا من البيوت التي الى جانبها بعد أن خلت تلك الدور من ساكنيها خوفاً على أنفسهم ، فلما بلغ الأشرف شعبان بن حسين صاحب مصر ذلك أمر أمير الحاج المصري علاء الدين بن علي بن كلبك التركماني ، شاد الدواوين بمصر أن يتأخر بمكة المكرمة بعد الحج لعمارة مأذنة باب الحزورة ، فشرع في عمارتها عقب سفر الحاج وفرغ من العمارة في المحرم من السنة التي بعدها[1] .

منارة باب الزيادة :

وهي قديمة بناها المعتضد العباسي لما بنى زيادة دار الندوة ثم سقطت ، وأنشأها الملك الأشرف « برسباي » في عام ثلاث وثمانين وثمانمائة كما هو مثبت في حجر باب المأذنة قال في تحصيل المرام : وعمرت سنة ألف ومائة وثلاثة عشر حيث وقع دورها فأمر ببنائها .

أقول : كانت عمارة المعتضد العباسي في سنة ٢٨١ حيث خربت دار الندوة وكانت مسجداً مستقلاً عن المسجد فأمر المعتضد بادخالها في المسجد الحرام وهذه العمارة التى ضمت فيها دار الندوة إلى المسجد الحرام وأحدث لها باب سمي باب الزيادة[2] .

منارة السلطان قايتباي :

بناها السلطان قايتباي حينما بنى مدرسته كما هو مكتوب على عقد باب مدرسته الى جهة المسعى (في غاية الصناعة) ثلاثة أدوار .

وبنى نظيرها منارة أخرى على عقد باب مسجد الخيف بمنى وفرغ من بنائها سنة خمسمائة وخمسين .

أقول : التاريخ الذي أورده الغازي عن منارة السلطان قايتباي غير صحيح ، لأن السلطان قايتباي من رجال القرن التاسع وليس من رجال القرن السادس الهجري ، وقد أدى

---

(١) عمارة المسجد الحرام ص ٢٤٣ .

(٢) أعلام الحجاز ج ٢ ص ٢٥ .

فريضة الحج عام ٨٨٤هـ[١]، وتولى السلطنة بمصر سنة ٨٧٣ للهجرة ، وهو من ملوك الجراكسة المماليك[٢] . أما المدرسة التي بناها بمكة فسيأتي الحديث عنها في قسم المدارس حول المسجد الحرام بعد ، وقد تم بناؤها في سنة ٨٨٤هـ ، والذي يظهر لي أن السلطان حج في هذا العام بعد أن أكمل بناء المدارس التي أمر بتشييدها في مكة المكرمة وأوقف عليها الأوقاف الكثيرة [٣]كما سيأتي تفصيله بعد .

منارة السلطان سليمان خان :

وهذه المنارة أمر السلطان خان ببنائها في احدى مدارسه الأربع فيما بين باب السلام وباب الزيادة ، وهي منارة في غاية العلو والارتفاع مبنية بالحجر الشميسي الأصفر لها دورين ، وكان بناؤها سنة ثلاثة وسبعين وتسعمائة .

ويقول الشيخ / باسلامة عن منارتي السلطان قايتباي والسلطان سليمان خان انهما باقيتان الى الآن على عمارتها الاولى حسبما انشئتا عليه ، ولم يحصل فيها تغيير ولا تبديل ، إلا بعض مرمات كغيرها من المنائر الأخرى[٤] .

ويفهم من هذا الذي ذكره الشيخ / باسلامه أن المنارتين المذكورتين بقيتا الى أن تمت العمارة السعودية الاولى للمسجد الحرام التي بدأت عام ١٣٧٥ للهجرة ، وانتهت عام ١٣٩٦ للهجرة .

المآذن في العمارة السعودية :

المآذن الموجودة في الوقت الحاضر والتي تمت في العمارة السعودية هي سبعة مآذن مئذنتان عند كل باب من الأبواب الرئيسية والمأذنة السابعة عند باب الصفا ، وهي مبنية بالخرسانة المسلحة ، ومكسوة بالرخام والحجر الصناعي ويبلغ ارتفاع المأذنة الواحدة ستة وتسعين متراً عن سطح الأرض[٥]، وقد سبق لي الحديث عنها في الجزء الثاني من أعلام الحجاز ، وقد اقتضت التوسعة السعودية العظيمة ازالة المنائر السبعة الاولى التي تحدث عنها مؤرخو مكة المكرمة ، والتي فصلنا القول فيها نقلاً عنهم وتعليقاً على ما كتبوا بشأنها وليست هذه المرة الاولى التي تهدم فيها المآذن في الحرم الشريف .

---

(١) أعلام الحجاز ج ٣ ص ٦١ .
(٢) انظر بدائع الزهور ج ٣ ص وما بعدها .
(٣) انظر الحديث مفصلا عن هذه المدارس في افادة الأنام مجلد ١ ص ٤٤٣/ ٤٤٩ .
(٤) تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ٢٢٤ .
(٥) أعلام الحجاز ج ٢ ص ٤٩ .

المآذن التي كانت على المسجد الحرام وهدمت :

فقد ذكر الشيخ / الغازي منائر أخرى ثلاث ذكرها مؤرخو مكة وأزيلت منها منارة تشبه الصومعة كانت على باب ابراهيم هدمها بعض أمراء مكة لاشرافها على داره ، ذكر ذلك التقي الفاسي مؤرخ مكة في القرن التاسع الهجري .

ومنارة أخرى ذكرها ابن جبير كانت على باب الصفا ، وهي أصغر المنائر ، كما أنها كانت عَلَماً لباب الصفا ، وكانت ضيقة لا يستطاع الصعود اليها .

ومنارة ثالثة كانت على الميل الذي يهرول عنده الساعون بين الصفا والمروة ، ذكر ذلك الفاكهي مؤرخ مكة في القرن الثالث الهجري .

يقول الشيخ / الغازي ونقلاً عن الشيخ / باسلامة : وهذه المنائر الثلاث كانت على المسجد الحرام ولا يعلم من بناها ولا متى هدمت(١) .

ونختم الحديث عن المنائر ببعض ما كان يعمل فيها من وسائل لاعلام الناس بأمور تهمهم في أمور دينهم .

قنديل يعلق على منارة لاعلان الناس بالافطار والامساك في رمضان :

يقول الغازي : وبعلو مكة شرفها الله تعالى منارة على مسجد يقال له مسجد الراية على يسار النازل من المعلاة ، بقرب بئر جبيرين مطعم بن عدي بن نوفل ، ويقال أن النبي صلى الله عليه وسلم ركن رايته يوم فتح مكة فيه ، وهي منارة عتيقة ذهب رأسها ، وكان لها دوران ، ولا أعلم من بناها يؤذن فيها بعض أهل الخير في مغرب شهر رمضان ، ويعلق فيها قنديلا لأعلام أهل ذلك المكان بدخول المغرب للافطار في رمضان ، ويُسَحَّر عليها في الليل ويطفىء قنديلها بعد السحور ، إعلاماً بدخول أول الفجر ليمتنع الصائمون عن الأكل والشرب وهو باقٍ الى الآن(٢) .

أقول لم يذكر لنا الشيخ / الغازي مصدره في خبر هذا القنديل الذي يعلو لاعلان الناس بحلول غروب أيام رمضان ، ودخول أذان الفجر ، واستبعد أن يكون هذا القنديل كان في زمن الشيخ / الغازي نفسه لأنه توفي عام ١٣٥٦ للهجرة أي في منتصف القرن الرابع عشر للهجرة وربما كان هذا الخبر منقولاً من رواية أحد مؤرخي مكة السابقين .

هارون الرشيد يقيم المآذن في شعاب مكة وفجاجها :

وينقل الغازي عن التقي الفاسي مؤرخ مكة في القرن التاسع عشر ، أن المنائر بمكة كانت كثيرة في الشعاب والمحلات ، وكان المؤذنون يؤذنون عليها للصلوات ، وكانت لهم أرزاق تُجْرى عليهم ، وأول من جَدَّد تلك المنائر على رؤوس الجبال ، وفي فجاج مكة وشعابها هارون الرشيد ، وأجرى على المؤذنين الأرزاق .

---

(١) افادة الأنام مجلد ١ ص ٦٥٦/ ٦٥٩ .

(٢) افادة الأنام مجلد ١ ص ٦٥٩ - ٦٦٠ .

ذكر الفاسي : انها كانت خمسين منارة في شعاب مكة ، وقال : وقد ترك الأذان على هذه المنائر ولم يبق منها شيء[1] .

ويوضح الشيخ / باسلامة الأمر فيقول نقلاً عن الفاكهي مؤرخ مكة في القرن الثالث : كان أهل مكة فيما مضى من الزمان لا يؤذنون على رؤوس الجبال ، وانما كان الأذان في المسجد الحرام وحده ، فكان الناس تفوتهم الصلاة ممن كان منهم في فجاج مكة ونائياً عن المسجد حتى كان في زمن أمير المؤمنين هارون الرشيد ، فقدم عبدالله بن مالك أو غيره من نظرائه مكة ففاتته الصلاة ولم يسمع الأذان ، فأمر أن يتخذ على رؤوس الجبال منارات لتشرف على فجاج مكة وشعابها يؤذن فيها للصلاة ، وأجرى على المؤذنين في ذلك أرزاقاً ، ولعبدالله بن مالك الخزاعي منائر . ذكر الشيخ / باسلامة مواضعها ، وعبدالله بن مالك هذا ممن خدم هارون الرشيد ، وكذلك كانت هناك منائر تنسب الى « بغا » الذي يكنى بأبي موسى مولى هارون الرشيد .

وذكر الشيخ باسلامة مواضعها ، وذكر الفاكهي أنه كانت تجري الأرزاق على المؤذنين فيها وبتطاول الزمان بطل العمل والأذان عليها[2] .

* * * *

(١) افادة الأنام مجلد ١ ص ٦٦٠ .

(٢) انظر تفصيل ذلك في عمارة المسجد الحرام ص ٢٤٥ - ٢٤٧ .

بعض جبال مكة وأسباب تسميتها

جبل عمر بالشبيكة :

ومن أسمائه ثبير الزنج ، وهو جبل النوبي المعروف بأسفل مكة في جهة الشبيكة الذي كان به مولد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه على ما قيل .

وانما سمي بذلك لأن سودان مكة كانوا يلعبون عنده ، وهم النوبة والسودان الزنوج فطابقت التسمية على كلا الوجهين[1] .

أقول : يقول الأرزقي مؤلف أخبار مكة : أن زنوج مكة كانوا يحتطبون منه ويلعبون فيه[2] .

جبل أبو قبيس :

نقل الغازي عن السيد/ أحمد زيني دحلان في سالنامة الحجاز نقلاً عن القزويني في عجائب المخلوقات ما يلي :

ان من خواص جبل أبي قيس أن من أكل فيه الرأس المشوي ، يأمن من وجع الرأس ، فصار كثير من الغرباء يحرصون على ذلك ، لا سيما حجاج الجاوا ، وقال العلامة المُلاَّ علي القاري في شرح اللباب ، أن ذلك باطل لا أصل له[3] .

أقول : لا شك أن ما ذكره القزويني يدخل في باب الخرافات التي لا أصل لها ، والتي قد يأخذ بها بعض السذج من الناس ، وجبل أبو قبيس هو أحد أخشبي مكة وهو الجبل المشرف على الصفا الى السويدا الى الخندقة ، وكان يسمى في الجاهلية الأمين ، ويقال إنما سمي الأمين لأن الركن الأسود كان مستودعاً فيه عام الطوفان .

---

(١) افادة الأنام مجلد ١ ص ٧١٠ .
(٢) أخبار مكة لأبي الوليد الأزرقي ج ٢ ص ٢٧٩ .
(٣) افادة الأنام مجلد ١ ص ٦٩٥ .

يقول الأرزقي نقلاً عن بعض أهل مكة أنه انما سمي أبا قبيس لأن أول من نهض بالبناء فيه كان رجلاً يدعى أبا قبيس ، وكان هذا الرجل من اياد ، وثاني الأخشبين جبل قيعقان ، والأخشب من الجبل الخشن الغليظ ، وقيل إن الأخشب الثاني هو الجبل الأحمر ، ولكن القطبي صوَّب التسمية الاولى ، وقعيقعان هو جبل الهندي المعروف بهذا الاسم في الوقت الحاضر[1] .

جبل تفاحـة :
يقول الغازي ، ومن جبال مكة جبل يقال له تفاحة ، وهي مولاة لمعاوية كانت أول من بنى في ذلك الجبل فسمي باسمها[2] .
أقول : سماه الأزرقي جبل تفاجة ، بالجيم وليس بالحاء كما ذكره الغازي[3] .

جبل النار :
يقول الغازي : هو الجبل الذي يلي جبل زرزر ، وسمي بجبل النار لأنه أصاب أهله حريق متوال[4] .

جبل زرزر :
هو الجبل المشرف على دار منصور الحميري خال المهدي بالسويقة على حق آل نبيه بن الحجاج السهميين ، وكان يسمى في الجاهلية القايم ، وزرزر حايك كان بمكة ، كان أول من بنى فيه فسمي به[5] .
أقول : ويفهم من هذا أن الجبل كان يشرف على السويقة وكان سوق سويقة خلف المسعى من الجهة الغربية للمسجد الحرام ، وقد أدخلت سويقة كلها بما تحتويه من مبان ودكاكين في العمارة السعودية الاولى للمسجد الحرام عام ١٣٩٦هـ .

جبل أبي زيد :
هو الجبل الذي يصل زرزر مشرفاً على حق آل عمر بن عثمان ، الذي يلي زقاق مهر ، ومهر كان رجلا يعلم الكتابة هناك ، وأبوزيد هومن أهل سواد الكوفة ، كان أميراً على الحاكة بمكة ، كان أول من بنى فيه[6] .

---

(١) أخبار مكة ج ٢ ص ٢٦٦ / ٢٦٧ .
(٢) افادة الأنام مجلد ١ ص ٧١٥ .
(٣) أخبار مكة ج ٢ ص ٢٨٥ .
(٤) افادة الأنام مجلد ١ ص ٧١٦ .
(٥) افادة الأنام مجلد ١ ص ٧١٦ .
(٦) افادة الأنام مجلد ١ ص ٧١٦ .

أقول : سمى الأزرقي هذا الجبل جبل أبي يزيد وليس جبل أبوزيد ، وكان أبويزيد هذا يتولى آل هشام بن المغيرة ، والحاكة هم الخياطون وكان أبـوزيد أميـراً لهم أي شيخاً عليهم [1].

جبل الأعرج :

وهو مشرف على شعب أبي زيد ـ يزيد ـ وشعب ابن عامر ، والأعرج مولى لأبي بكر الصديق ، كان فيه فسمي به ونسب اليه [2].

أقول : هذا ما كتبه الغازي عن بعض جبال مكة وقد أفرد الأزرقي فصلاً خاصاً بجبال مكة وشعابها ، فصل فيه أسماء الجبال وأسباب تسميتها ومواقعها تفصيلاً وافياً في الجزء الثاني من كتابه الكبير أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، فليرجع اليه من أراد الاستزادة في هذا الباب .

وتعليقاً على ما ذكره الغازي في تسمية الجبال ، وما ذكره الأزرقي هو أن أسماء الجبال تتغير بأسماء ما يقع فيها من أحداث وما يبنى فيها أو حولها كما هو الحال في غيرها من الأماكن في كثير من الأنحاء .

* * * *

(١) أخبار مكة ج ٢ ص ٢٩٦ .
(٢) افادة الأنام مجلد ١ ص ٧١٦ .

بعض المساجد في مكة وحولها

ذكر الغازي بعض المساجد التي بمكة وحولها وأسباب تسميتها ومواضعها ونوردها فيما يلي :

مسجد الاجابة :
جاء في تحصيل المرام عن مسجد الاجابة : وهذا المسجد بالابطح ، ويسمى بالبطحاء وبخيف بني كنانة ، وهو المسمى الآن بالمعابدة ، وحَدَّه الى جبل ثقبة ، والموضع الذي نزل فيه النبي صلى الله عليه وسلم هو الموضع المسمى بمسجد الاجابة[1] أقول : وفي المدينة المنورة مسجد صغير في داخل المدينة لا يبعد كثيراً عن المسجد النبوي الشريف يسمى كذلك مسجد الاجابة .

مسجد الجن :
قال الأزرقي وهو الذي يسميه أهل مكة مسجد الحرس ، وإنما سمي بهذا الاسم ، لأن العسس يجتمعون عنده ليلاً قال : وهو فيما يقال الموضع الذي خطه الرسول صلى الله عليه وسلم لابن مسعود ليلة استمع اليه الجن ، وأن الجن بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ، ذكره في الاعلام ، وفي أتحاف فضلاء الزمن .

تعمير مسجد الجن بالمعلاة :
وفي سنة اثنتي عشرة ومائة وألف عمَّر ابراهيم بك مسجد الجن بالمعلاة ، لأنه درس ودُفِنَ تحت الأرض مع كثرة السيول وتطاول الأزمان حتى أنهم غرسوا في ذلك المحل بعض أشجار وبستان ـ كنبق ـ وبعض الريحان ، وكانوا يسمونه الجنينا ، فأحضروا المهندسين والعلماء ، وحفروا عن ذلك الموضع ، وظهر محراب المسجد الذي أسلم الجن فيه (تحت الأرض) ،

---

(١) افادة الأنام مجلد ١ ص ٧١٧ .

وبادروا بقطع تلك الأشجار ، وتنظيف تلك البقعة ، ثم بُني فيه مسجد صغير على حَدِّهِ الأصلي ، ووضعوا المحراب على ما كان عليه ، وجعلوا على أعلا المسجد قبة ، ثم بنوا مسجداً آخر على سطح المسجد المأثور ، مسجد كبير بقبة عظيمة ، وجعلوا في جانب القبة[1] ومحراباً وسدوا القبة وفتحوا من أطراف القبة لأجل الماء ، وجعلوا بجانبه حنفية لطيفة بابها من داخل المسجد المذكور الذي خط عليها النبي صلى الله عليه وسلم ونهاه أن يخرج عن هذا الخط والدايرة وعمروا هذا المحل أحسن مسجد بأحسن البناء ، انتهى . . . الخ[2] .

تسمية مسجد الخيف :

في حديث الغازي عن مسجد الخيف قال :

الخيف ما ارتفع من الأرض ، وانحدر من الجبل ، ومسجد منى المشهور يسمى مسجد الخيف لأنه في سفح جبلها ، ذكر ذلك في تحصيل المرام[3] .

تاريخ بناء مسجد عرفة :

ويسمى مسجد ابراهيم نسبة الى الخليل ابراهيم عليه السلام ، وفي هذه النسبة اختلاف بين العلماء .

يقول الغازي : ولم يذكر الأزرقي تاريخ بنائه ، وذكر ابن عبدالبر أن هذا المسجد بني بعد مصير الأمر لبني هاشم بعشر سنين ـ هكذا نقله ـ عن ابن عبدالبر الشيخ / خليل في توضيحه على مختصر ابن الحاجب ، وعلى هذا بني المسجد في أوائل عشر الخمسين .

وفي العقد الثمين : المسجد الذي يصلي فيه الامام بالناس يوم عرفة ليس من عرفة على مقتضى ما ذكره ابن الصلاح والنووي ، وكلام المحب الطيري يقتضي أنه منها ، وقيل أن مقدمه من عرنة بالنون ومؤخره من عرفة بالفاء[4] .

تسمية المزدلفة :

سميت بالمزدلفة لازدلاف الناس اليها أي اقترابهم واجتماع الناس اليها ، وقيل لمجيئهم اليها في زلف من الليل ـ أي ساعات الليل .

ويقال للمزدلفة جمع ، قيل لاجتماع آدم وحواء فيها ، وقيل لجمع الصلاتين فيها[4] .

---

(١) الكلمة هنا غير واضحة .
(٢) افادة الأنام مجلد ١ ص ٧١٨ / ٧١٩ .
(٣) افادة الأنام مجلد ١ ص ٧٢٩ .
(٤) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٤ ، ٥ .
(٥) افادة الأنام مجلد ٣ ص ١٥ .

تعليل اسم منى :

سميت بذلك لما يُمْنى بها من الدماء - أي يراق - وهو المشهور ، والذي ذكره جمهور اللغويين وغيرهم ، وقيل لأن جبريل قال لآدم حينما أراد فراقه تَمَنَّ ، فقال آدم : أتمنى الجنة ، فسميت بذلك لأمنية آدم ، هكذا قال ابن عباس رضي الله عنهما ، أو لاجتماع الناس بها لأن العرب تسمي كل مجتمع للناس منى ، وقيل لأن الله تعالى منَّ على الخليل عليه السلام بفداء ابنه اسماعيل عليه السلام بها ، أو لمنَّ الله تعالى على عباده بالمغفرة الى غير ذلك[1] .

سبب تسمية التنعيم :

سميت بذلك لأن جبلا عن يمينها يقال له نعيم ، وآخر من شمالها يقال له ناعم والوادي نعمان[2] .

سبب تسمية الجعرانة :

سميت الجعرانة باسم امرأة من قريش يقال لها رايطة ، براء وطاء ومهملتين ، بينهما مثناة تحتية بنت كعب ، ولقبها جعرانة ، وهي امرأة أسد بن عبدالعزيز ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنها هي التي نزل فيها قوله تعالى : ﴿ **ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا** ﴾ .

وعلى ذكر الجعرانة يقول الغازي .

الفضة في الجعرانة :

جاء في السالنامة الحجازية : وادي الجعرانة وادٍ مبارك كثير الأنوار ، وبه أحجار تستخرج منها الفضة ، وقد سمع بذلك بعض الصواغين بمكة ، وهو أبوبكر المُلَّا ، فخرج الى الجعرانة ووجد شيئا من الأحجار فاختبرها ، واستخرج منها فضة ، فكان الخارج بقدر المنصرف ، فترك ذلك ، ولو فعل ذلك ذو قوة بآلات وعدد لربما يستخرج منها ما يحصل له ربح ، انتهى . . .[3] .

أقول : السالنامة الحجازية كما علمت هي الجريدة الرسمية أو نشرة رسمية في أواخر العهد العثماني ، كانت تصدرها الحكومة العثمانية بمكة ، وما جاء في هذه النشرة عن الفضة في الجعرانة اذا كان صحيحاً فربما كان ارتفاع أثمان الفضة في الوقت الحاضر يجعل استخراجها إن وجدت بكميات تجارية ذات جدوى اقتصادية ، وعلى أي حال فان وزارة البترول والثروة

---

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٢٠/٢١ .

(٢) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٥٥ .

(٣) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٥٦/٥٧ .

المعدنية هي الجهة ذات الاختصاص في هذا الشأن ، وربما كان لديها من الدراسات ما يدلُّ على وجود الفضة في الجعرانة أو ينفيه ، وقد ذكرنا الأمر لدلالته على أفكار الناس قبل ما يزيد على قرن من الزمان .

الخرمانية :

سميت بذلك لأن بها حائط ـ بستان ـ يسمى خرمان وهو بثنية أذاخرْ(١).

جبل الهندي :

نسبة الى الشيخ تاج الدين ابن زكريا بن سلطان الهندي النقشبندي ، وكان له رباط بسفح جبل قيقعان ، ولما تُوفي دفن فيه ، وجبل قيقعان يسمى في الوقت الحاضر جبل الهندي(٢).

حوض البقر :

كان حوضاً لسقيا الدواب وهو من الأحواض المتصلة بقنوات عين زبيده ، لايصال الماء من نعمان إلى عرفه ومنى(٣).

أقول : حوض البقر في الوقت الحاضر أصبح ضاحية من ضواحي مكة المكرمة التي تموج بالعمران ويسمى حاليا « العزيزية » وهو من أجمل الأحياء بشوارعه الفسيحة التي يمتد على جوانبها العمران ، وتقوم عليها العمارات الشاهقة ، والحوانيت الكثيرة ، وتضيئه الكهرباء فسبحان مغير الأحوال .

لقد أدركت حوض البقر وهو خلاء يهرع بعض الناس اليه في الليالي الشديدة القيظ فينامون فيه التماساً لنسمة هواء باردة ، ثم بدأ العمران يدبُّ اليه قليلاً قليلاً فاكتفوا بتسميته ـ الحوض ـ وأبطلوا كلمة البقر ، وما لبث أن عمَّه العمران واتصلت مكة به أو اتصل بها فسمى العزيزية كما أسلفت .

* * * *

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٢٦٠ .
(٢) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٢٧٠ / ٢٧١
(٣) افادة الأنام مجلد ١ ص ٢٩٤ .

أسوار مكة

ذكرنا في الجزء الثاني من أعلام الحجاز شيئاً عن أسوار مكة ، وقد ذكر الشيخ / عبدالله الغازي في افادة الأنام أسوار مكة بتفصيل أوفى نورده فيما يلي :

سور المعلاة :

كانت مكة في قديم الزمان مسوَّرة ، فجهة المعلاة كان بها جدار عريض من طرف جبل عبدالله بن عمر الى الجبل المقابل له ، وكان فيه باب من خشب مصفح بالحديد ، أهداه ملك الهند الى صاحب مكة ، يقول صاحب الاعلام الذي نقل عنه الغازي .

وقد أدركنا منها ـ من الجدار ـ قطعة جدار كان فيه ثقوب للسيل ، قصير دون القامة وكان صنع باب السور « بكتباية » من بلاد الهند في سنة ست وثمانين وسبعمائة ، وأهدى للسيد / أحمد بن عجلان ـ أمير مكة في ذلك الزمان ـ وركّبه على باب المعلاة عنان بن مغامس بن رميثة في سنة تسع وثمانين وسبعمائة ، لما ولى أمرة مكة بعد مقتل محمد بن أحمد بن عجلان .

ثم أحرق ذلك الباب بالنار حتى سقط على الأرض ، وهدم كذلك عدة مواضع من سور باب المعلاة من جانبه ، وسبب ذلك أن جند السيد / رميثة بن محمد بن عجلان منعوا جند عمه السيد حسن من دخول مكة ، لما ولى أمر مكة عَوَّضَ رميثة في ثامن عشر من رمضان في هذه السنة ، فقام بعض جنود السيد حسن بهدم عدة مواضع من السور كما قاموا باحراق باب السور حتى سقط الى الأرض .

ثم أمر السيد حسن ببناء ما تهدم من السور ، وعوَّض عن الباب المحترق بباب جديد انتزعه من بعض دوره بمكة ، وكان الباب الجديد يقل عن الباب المحترق في الحجم فزيد فيه حتى تم اكماله ، ووضع في مكانه من السور في ثاني عشر ذي القعدة من العام المذكور .

سور الشبيكة :

وكان في جهة الشبيكة سور ما بين جبلين متقاربين بينهما الطريق السالك الى خارج مكة

وكان في السور بابان بعقدين ، أدركنا أحد العقدين يدخل منهما الجمال والأحمال ثم تهدم شيئاً فشيئا الى أن لم يبق منه شيء الآن ، ولم يبق منه إلا فج بين جبلين متقاربين فيه المدخل والمخرج ، وهذا التعليق لصاحب الاعلام الذي نقل عنه الغازي .

سور المسفلة :

وكان بمكة سور في جهة المسفلة في درب اليمن ، يقول صاحب الاعلام ، لم ندركه ولم ندرك آثاره .

سور آخر بأعلى مكة :

وذكر التقي الفاسي نقلاً عن من تقدم،أنه كان لمكة سور من أعلاها دون السور الذي تقدم ذكره ، قريباً من المسجد المعروف بمسجد الراية ، وكان من الجبل الذي الى جهة القرارة ، ويسمى لعلع ، الى الجبل المقابل الذي الى جهة سوق الليل ، قال : وفي الجبل آثار تدل على اتصال السور به . انتهى .

يقول التقي الفاسي : ولم يبق من آثار هذا السور شيء مطلقاً .

ويقول التقي الفاسي عن تاريخ انشاء هذه الأسوار : فما عرفت متى أنشئت هذه الأسوار بمكة ولا من أنشأها ، ولا من عمرها ، غير أنه بلغني أن الشريف أبا عزيز قتادة بن ادريس الحسيني ، جَدُّ ساداتنا أشراف مكة أدام الله عزهم وسعادتهم هو الذي عمَّرها .

قال الفاسي : وأطن أنه كان في دولته عمرً السور الذي أعلا مكة ، وفي دولته سهلت العقبة التي بنى عليها سور باب الشبيكة ، وذلك من جهة المظفر صاحب أربل سنة ستمائة وستة ، ولعله الذي بأعلا مكة ، والله أعلم[١] .

أقول : التقي الفاسي مؤرخ مكة كان من مواليد سنة سبعمائة وخمس وسبعين ، وتوفي سنة ثمانمائة واثنين وثلاثين ، وهو مؤلف كتاب العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، وكتاب شفاء الغرام في أخبار البلد الحرام وهو ممن عاصروا القرنين الثامن والتاسع الهجريين[٢] أما الشريف قتادة بن ادريس فقد وصل الى مكة بقومه من ينبع وهاجم أميرها الشريف مكثر واستخلصها لنفسه في سنة خمسمائة وسبعة وتسعين للهجرة[٣] .

وتعليقاً على ما ذكره التقي الفاسي في تعمير الشريف قتادة لأسوار مكة إن ذلك غير مستبعد لأن الشريف قتادة كان أميراً طارئاً على مكة قدم اليها من ينبع وأراد تحصينها بالأسوار بعد أن استولى عليها من امرائها أشراف مكة .

---

(١) افادة الأنام مجلد ١ ص ١٨٤ ـ ١٨٧ .
(٢) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين .
(٣) تاريخ مكة للسباعي ص ٢٢٤/٢٢٥ .

تسقيف المسعى :

ذكر الشيخ / الغازي في افادة الأنام مايلي :

في سنة ألف وثلاثمائة واحدى وأربعين أمر الشريف الحسين الملك الهاشمي بعمل سقيفة للمسعى ، وكانت المسعى مكشوفة ، وكان الساعون بين الصفا والمروة يتعرضون لحرّ الشمس ولفح السموم حين سعيهم ، وقد أورد الشيخ الغازي الأبيات الشعرية الجميلة التي سجلت هذا الحدث للشاعر الأديب الشيخ / فؤاد الخطيب والتي سجلت على باب سقيفة المسعى من جهة الصفا ، كما أورد الأبيات الشعرية التي نظمها الشاب الأديب صالح قزاز ، والتي سجلت على باب سقيفة المسعى من جهة المدعي .

وهذه أبيات فؤاد الخطيب :

نضَّر الله تعالى ورعى ... ملك العرب الحسين الأروعا

مرَّت الأجيال لم يرفع لهم ... غيره الظلَّ الذي قد رفعا

وحمى الاسلام في خير حِمًا ... فهو ظل الدين والدنيا معا

ضجَّ بالشكر وبالحمد له ... كل من طاف ولبَّى ودعا

وجزى القزاز من همته ... خير ما يجزي به من نفعا

صدق الذي قال لنا ... ليس للانسان إلا ما سعى[1]

أقول الشيخ / فؤاد الخطيب كان وزيراً لخارجية الملك الشريف الحسين بن علي ، وهو شاعر عربي كبير ، وأصله من لبنان ، وكان على اتصال بالملك حسين وأولاده ، وفي عهد جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود ، جاء الى الحجاز فعيَّنه الملك عبدالعزيز يرحمه الله سفيراً للمملكة في أفغانستان ، وابنه الآن من سفراء المملكة في الخارج ، أما القزاز الذي أشار اليه الخطيب قائلاً :

وجزى القزاز من همته ... خير ما يجزي به من نفعا

فهو الشيخ / عبدالوهاب قزاز من أعيان مكة المكرمة ، وكان وزيراً للنافعة في زمن الملك حسين ، ووزارة النافعة في الاصطلاح الهاشمي إذ ذاك تعني وزارة الأشغال في زماننا هذا .

أما الشاب الأديب صالح قزاز الذي سجلت الأبيات التي نظمها في سقف المسعى من جهة المدعي ، فهو الشيخ / صالح قزاز أمين رابطة العالم الاسلامي يرحمه الله فيما بعد وهو من رجالات مكة المعروفين[2] .

أقول : ولقد أدركت السقيفة التي أمر بانشائها الملك حسين والتي أشاد بها الشعراء في حينه ، وقد أزيلت هذه السقيفة في العهد السعودي ، وأبدلت بسقف جميل المنظر تحمله

---

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٥٠/٥١ .

(٢) انظر ترجمته في هذا الكتاب .

أعمدة حديدية متقنة الصنعة ، وذلك في عهد تولي الشيخ / عبدالرؤوف الصبان أمانة العاصمة في مكة المكرمة ، وذكرت ذلك في أعلام الحجاز وأنقل هنا بعض ما كتبته في ذلك .

كانت المسعى في بعض أجزائها مكشوفة تخترقها الشمس ، فكان الناس يتحاشون السعي في أوقات الحرارة ، ويؤدون نسكهم بعد صلاة الفجر أو بعد صلاة العصر أو في الليل في أوقات الصيف ، وكان القسم الآخر مسقوفاً بسقف من الخشب كئيب المنظر ، ان حمى من حرِّ الشمس فهو لا يحمي من المطر في الشتاء . . . الخ .

ثم قلت : تقدم الشيخ / عبدالرؤوف الصبان الى المسؤولين باكمال تجميل المسعى ، وذلك بإزالة السقف القديم المتآكل الكئيب المنظر بسقف جميل حديث مرتفع قائم على أعمدة حديدية ، وكان هذا السقف مع رصف أرض المسعى وتبليطه أول تحسين ادخل على شارع المسعى في التاريخ ان صح هذا التعبير الى أن تم العمل العظيم الكامل بادخال المسعى نفسه كاملاً في الحرم الشريف في التوسعة السعودية كما هو بوضعه الحاضر[١] .

وعلى ذكر المسعى فقد أورد الشيخ / الغازي رواية عن حادثة وقعت في مكة المكرمة في زمن الملك قايتباي سلطان مصر ، وكان له تابع من التجار مقرَّب من قايتباي أرسله السلطان الى مكة ليدير أمور تجارته فيها . وليقوم له بتعمير مدرسة باسمه ، كما أمره باجراء بعض العمارة في المسجد النبوي الشريف ، وبناء مدرسة له بها ، واجراء العين الزرقاء الى المدينة المنورة .

ذكر الغازي أن هذا التاجر واسمه الخواجة شمس الدين بن الزمن استأجر ميضأة كانت بين الميلين الأخضرين عمَّرها السلطان شعبان بن الناصر حسن بن قلاوون ، فقام شمس الدين هذا بعد استئجارها بهدمها وأراد انشاء رباط له في مكانها ، وأدخل مقدار ثلاثة أذرع في أرض المسعى وباشر بحفر الأساس لبناء الرباط المذكور ، ولكنَّ قاضي القضاة بمكة برهان الدين بن علي بن ظهيرة الشافعي منعه من ذلك فلم يمتنع ، فجمع القاضي ائمة علماء مكة وذهب بنفسه الى المسعى ، وذهب معه العلماء وقاموا باتخاذ محضر أثبتوا فيه الاعتداء على أرض المسعى ، وأوقفوا العمل في البناء ، ولكن التاجر شمس الدين لم يستسلم لذلك ، واستصدر أمراً من السلطان قايتباي بإتمام البناء وعزل القاضي ابن ظهيرة ، وأمر أمير الحاج المصري في ذلك العام ، يَشْبَك الجمَّال باستئناف البناء ، ووقف بنفسه ليلاً على المكان وأمروا البنائين بالعمل الى أن صعد البناء على وجه الأرض ، وجعل ابن الزمن بناءه هذا رباطاً وسبيلاً وبنى في جانبه داراً ، وصَغَّر الميضأة وجعل لها بابا من سوق الليل وكان ذلك في سنة ثمانمائة وخمس وسبعين ، ويعلق مؤرخ مكة الذي نقل عنه الغازي هذه القصة فيقول :

ويا لله العجب من ابن الزمن وما ذكرناه عن فضله وخيرته ، وكيف ارتكب هذا الجرم

---

(١) انظر تفصيل ذلك في أعلام الحجاز ج ١ ص ١٠٩ / ١١١ .

باجماع المسلمين طالباً به الثواب ، وكيف تعصَّب له سلطان عصره ، الملك الأشرف قايتباي مع أنه أحسن ملوك الجراكسة عقلاً وديناً وخيرية ، وهو يأمر بفعل هذا الأمر المجمع على حرمته في مشعر من مشاعر الله تعالى ، وكيف يعزل قاضي الشرع الشريف لكونه نهى عن منكر ظاهر الانكار فرحم الله الجميع وسامحهم وغفر لهم انتهى[1].

أقول : أخذت ابن الزمن العزَّة بالإثم فلم يطق أن يُصَدَّ عن أمر أراد انفاذه وهو يعلم مكانه من السلطان وكان حَرِياً به أن لا يخلط بين السيئة والحسنة ، ولكن النفوس اذا تسلط عليها الهوى ، أعمى بصيرة أصحابها ، وقد رأى ابن الزمن من سبقه الى البناء على أرض المسعى وجوانبها فلم ير ما يحول بينه وبين ذلك ، وبإدخال المسعى في المسجد الحرام انقطع الطريق على كل من تسول له نفسه بشيء ، فجزى الله القائمين على هذا العمل العظيم خير الجزاء .

* * * *

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٤٤/ ٥٠ .

أوليات في مكة

هاشم بن عبدمناف أول من سن الرحلتين :

كان القرشيون تجاراً يمارسون التجارة ويتكبَّدون لها الأسفار ، وكانوا يقومون برحلتين في العام رحلة في الصيف الى الشام ، ورحلة في الشتاء الى اليمن ، وكانوا ينقلون في الرحلتين من عروض التجارة الى كل بلد ما يطلبه البلد الآخر ، وكانت ترد الى مكة منتجات البلدان المختلفة مع الحجاج القادمين اليها ، والتي كانت تباع في الأسواق المقامة في الحجاز في عكاظ ومِجَنَّة ، وذي المجاز ، وقد ذكر القرآن الكريم رحلتي الشتاء والصيف في سورة قريش .

وجاء في افادة الأنام أن هاشم بن عبدمناف الجدُّ الثاني للرسول صلوات الله وسلامه عليه هو أول من سَنَّ الرحلتين لقريش ، وهو كذلك أول من أطعم الثريد ، واسمه عمرو ، وإنما سُمِّي هاشماً لهشمه الخبز وثَردِهِ لقومه كما قال الشاعر :

عمرو الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف
سُنَّتْ اليه الرحلتان كلاهما سفر الشتاء ، ورحلة الأصياف[1] .

الخليفة الراضي يبني أنصاب الحرم بالتنعيم :

كان الخليفة الراضي العباسي ، هو الذي أمر ببناء المعلمين الكبيرين لانصاب الحرم بالتنعيم وذلك في سنة ثلاثمائة وخمس وعشرين للهجرة ، واسمه مكتوب عليها .

وصاحب اربل يبني أنصاب عرفة :

كما أمر المظفر صاحب اربل بعمارة العلمين الذين هما حدُّ الحرم من جهة عرفة ، في سنة ستمائة وست وعشرين للهجرة ، وقال ابن فهد أن بناء المظفر كان في سنة ستمائة وخمس في شعبان .

---

(١) افادة الأنام مجلد ١ ص ١٦٦ .

وهي أعلام ثلاثة بين منتهى أرض عرفة ، ووادي عرفة ، والمظفر هو كوكبري ابن علي بن بكتكين صاحب اربل .

اصلاحات العيون وايصالها الى مكة والمشاعر :

عقد الشيخ الغازي بحثاً طويلاً عن اصلاحات العيون وايصالها الى مكة والمشاعر ، وقد رأيت أن أنقل بعض ما جاء فيه ، وخاصة الاصلاحات التي لم يصل خبرها الينا ، فمن المعلوم أن السيدة/ زبيدة ، زوجة الرشيد الخليفة العباسي ووالدة الخليفة الأمين أجرت الماء الى مكة في العهد الأول للخلافة العباسية ، وأخبار هذه العين وما بذلته فيها من أموال كتب عنها المؤرخون ، واشتهر أمره ، فسميت العين باسم زبيدة ، واستمر هذا الاسم متداولا في مكة في جميع العهود والأزمان ، وقد كانت في مكة ادارة لهذه العين تسمى عين زبيدة حتى عهد قريب .

ولَمَّا تضخم العمران في مكة المكرمة وما حولها ، وفي مدن المملكة عامة ، عمدت الدولة الى تحلية مياه البحر ، وقامت مصانع التحلية في شواطىء البحار لاستخراج الماء العذب ومُدَّتْ له الأنابيب لتخترق الأودية السحيقة ، والجبال الشاهقة ، والصحاري المترامية ، فتمد مدن المملكة بالماء العذب ، وأضيفت اليه مياه العيون السابقة لتقابل النمو العظيم المتزايد في تعداد السكان ، وانتشار العمران ، فكان هذا العمل العظيم من أعظم الانجازات التي تشهدها بلادنا الحبيبة في هذا العهد الذي نعيش فيه .

بعد هذه المقدمة ، لعل من واجب المؤرخين أن لا ينسوا ما قام به الأسلاف من مجهودات عظيمة أصبحت في ذمة التاريخ ونحن اذ نسجلها الآن فانما نذكر بالخير من قاموا بانجازها وبذلوا الأموال ، والجهود العظيمة في هذا السبيل ، ثم نحمد الله تعالى على ما ننعم به في الوقت الحاضر مقارنة بما كان يلقاه أسلافنا من مشقات ، ومتاعب .

ولما كان تاريخ الماء في مكة والمشاعر حولها تاريخ طويل لا يتسع له هذا البحث فقد رأيت الاقتصار على بعض الحوادث الهامة التي حدثت في العهد العثماني ، أما الحوادث السابقة لذلك ، فقد أعرضت عن ذكرها تجنباً للاطالة والملالة وبوسع القارىء الاطلاع عليها في كتاب الغازي إن رغب في ذلك[1] .

ونبدأ الحديث عن كلمة يتداولها الناس في الحجاز هي كلمة « بازان » :

بازان :

يطلق الناس في الحجاز وفي مكة خاصة اسم « بازان » على موارد الماء التي يستقون منها الماء حينما كانت العيون تُجَرُّ الى المدن ، وتصنع لها موارد يستقي منها الناس ، ولعل هذه النسبة

---

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٢٧٧ / ٣٢٧ .

تعود الى رجل اسمه عمر بازان ، أرسله الى مكة نائب السلطنة بالعراقين الأمير جوبان بن تلك بن تداون ، وكان نائباً عن السلطان أبي سعيد خدابنده ملك التتر وكان الماء قد شَحَّ في مكة وعرفة ، وكان الناس في جهد عظيم من قلة الماء ، فقد كانت الراوية[1] من الماء تبلغ قيمتها في الموسم عشرة دراهم ، وفي غير الموسم سبعة .

ورغب الأمير جوبان المذكور ، انشاء عمل خيري بمكة ، فدلَّه بعض الناس على عين كانت تجري قديماً وتعطلت ، فندب بعض ثقاته وأرسل معه خمسين ألف دينار ، وجهزه في الموسم سنة خمس وعشرين وسبعمائة ، فلما قضى حجه تأخَّر بمكة ، واشتهر أمره ، فاعلم بعين عرفة فنادى بمكة : من أراد العمل بالعين فله ثلاثة دراهم في كل يوم ، فهرع اليه العمال ، وخرج بهم الى العمل فلم يشق على أحد منهم ، ولا استحثه ، وانما كانوا يعملون باختيارهم ، فأتاه جمع كثير من العرب وعمل حتى العشاء الى أن جرى الماء بمكة بين الصفا والمروة في ثامن عشر جمادي الاولى من هذه السنة ، فكانت مدة العمل أربعة أشهر ، وكثر النفع بهذه العين وعظم ، وصرفه الى مكة والى مزارع الخضروات .

وكان جملة ما صرف عليها في هذه العمارة مائة وخمسين ألف درهم[2] .

أقول : هذا ما ذكره الشيخ / الغازي ، وقد وجدت في كتاب بدائع الزهور ، في أخبار سنة خمس وعشرين وسبعمائة أن السلطان الناصر محمد بن قلاوون هو الذي أجرى هذه العين ، قال ابن اياس :

وفيها ـ في السنة المذكورة ـ أرسل السلطان جماعة من البنائين الى مكة وأجرى بها عين ماء ، وهي العين المعروفة بعين بازان ، فحصل لأهل مكة بها غاية النفع وهي الآن جارية ويعم نفعها أهل مكة[3] .

قربة الماء الصغيرة بدينار ذهب :

أورد الغازي عن كتاب بلوغ القرى في حديثه عن الماء ما يلي :

قال العلامة قطب الدين رحمه الله : ثم انقطعت ـ العين ـ في أوائل الدولة العثمانية بهذه الأقطار الحجازية ، وبطلت العيون لقلة الأمطار ـ وتهدمت قنواتها ـ وانقطعت عين حنين عن مكة المشرفة ، وصار أهل مكة يستقون من الآبار حول مكة ، من ابيار يقال لها « العسيلات » في علو مكة قريبا من المنحنى ، ومن آبار في أسفل مكة يقال لها « الزاهر » وتسمى الآن بالجوخي في طريق التنعيم ، وكان الماء غالياً قليل الوجود ، وكذلك انقطعت عين عرفات وتهدمت قنواتها ، وكان الحجاج يحملون الماء الى عرفات من الأمكنة البعيدة ، وصار فقراء

---

(١) الراوية هي القربة من الماء .

(٢) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٢٩٦ / ٢٩٨ .

(٣) بدائع الزهور مجلد ١ ص ٤٥٧ .

الحجاج في يوم عرفة لا يطلبون شيئاً غير الماء لعزته ، ولا يطلبون الزاد ، وربما جلب بعض الأقوياء ـ الماء ـ من أماكن بعيدة للبيع فيحصلون أموالاً من ذلك لغلو ثمنه .

قربة الماء الصغيرة بدينار من الذهب :

يقول القطبي : وأني أذكر انه في سنة تسعمائة وثلاثين قلَّ الماء في الآبار البعيدة أيضاً فارتفع سعر الماء جداً في يوم عرفة ، وكنت يومئذ مراهقاً في خدمة والدي رحمه الله ، وفرغ الماء الذي حملناه من مكة ، وعطش أهلنا ، فطلبت قليلاً من الماء للشرب ، فاشتريت قربة ماء صغيرة جداً يحملها الانسان بأصبعه بدينار من الذهب ، والفقراء يصيحون من العطش ، يطلبون من الماء ما يبلُّ حلوقهم في ذلك اليوم ، فشرب أهلنا بعض تلك القربة ، وتصدَّقوا بباقيه على بعض من كان مضطراً من الفقراء ، وجاء وقت الوقوف الشريف والناس عطاش يلهثون .

والغيث يأتي من السماء :

فأمطرت السماء ، وسالت السيول من فضل الله تعالى ورحمته ، والناس واقفون تحت جبل الرحمة فصاروا يشربون من السيل من تحت أرجلهم ، ويسقون دوابَّهم ، وحصل البكاء الشديد ، والضجيج الكثير من الحجاج في وقت الوقوف لما رأوا من رحمة الله تعالى ولطفه واحسانه اليهم وتكرمه عليهم .

يقول القطبي : ولا أزال أتذكر تلك الساعة وما حصل فيها من اللطف العظيم من كرم الله العميم[1] .

الماء في سنة ألف ومائة وأربعين :

ونقل الغازي : من حوادث سنة أربعين ومائة وألف عن الوقوف بعرفة قال :

كانت الوقفة بالسبت ، ولم يحصل من المخالفات شيء ، وكانت الوقفة في غاية الأمن وانما شاقَّ ـ شق ـ على الناس قلة وجود الماء ، فقد بيعت القربة بثلاثين دواني[2] .

أقول : الدواني أو الديواني وحدة من العملة العثمانية ، فصلّناها في أعلام الحجاز نقلا عن السباعي[3] ، ونستطيع أن نستخلص من هذا أن سعر الماء في سنة ألف ومائة وأربعين كان رخيصاً جداً بالنسبة لما ذكره القطبي عن سعر الماء في سنة تسعمائة وثلاثين أما جلب الماء من الآبار فقد كان الحجاز كله يعاني من شح الماء وقلته .

---

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٣٢٧/٣٢٩ .

(٢) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٣٧٢ .

(٣) انظر أعلام الحجاز ج ٣ ص ٣٨ .

وفي كتابي ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز تحدثت عن الماء في جدة وعن أنواعه وما يجلب منه من العيون أو الآبار أو يؤخذ من البحر فليرجع اليه من شاء الاستزادة[1].

ابنة السلطان سليمان تنفق على اجراء الماء الى مكة وعرفات :

كان الماء شحيحاً في مكة وعرفة ومنى ، وتاريخ العيون واجراؤها في هذه الأماكن ثم توالي توقفها تاريخ طويل ليس هنا محل بسطه ، ولكنما استوقف نظري فيما أورده الشيخ الغازي من هذا التاريخ ما قامت به الأميرة خانم سلطان ابنة السلطان سليمان القانوني التي تقدمت الى والدها السلطان سليمان في أوائل سنة تسعمائة وتسع وستين ، أن يأذن لها في الانفاق على ايصال الماء الى عرفات ، وكانت عين عرفات قد انقطعت ، وأصبح الحجاج يعانون كثيراً من فقدان الماء وغلاء ثمنه ، وكان السلاطين العثمانيون منذ أن صار لهم حكم الحجاز يوالون اصلاح العيون في مكة وعرفة ، وكان قاضي مكة عبدالباقي بن علي المغربي ، والأمير خير الدين سنجقدار جدة ، قد رفعوا الى السلطان سليمان تقريراً عن عين عرفات التي انقطعت من سنوات طويلة ، وكان في تقديرهم أن اصلاح هذه العين وايصالها الى مكة يقضي على مشكلة الماء في هذه الأماكن المقدسة ، وقدروا المال اللازم للمشروع بثلاثين ألف دينار فلما علمت الأميرة خانم سلطان بفحوى هذا التقرير التمست من والدها السلطان سليمان أن يأذن لها بالانفاق على هذا المشروع تشبُّهاً بالسيدة زبيدة زوجة هارون الرشيد التي أجرت العين المسماة باسمها الى مكة ، وكانت هذه العين قد انقطعت عن البلد الأمين بتعاقب القرون .

أذن السلطان لابنته الأميرة بالقيام بهذا العمل الجليل ، واختار اسناد هذه المهمة الجليلة الى الأمير الكبير ابراهيم باشا ، دفتردار مصر ، ودفعت له الأميرة خمسين ألف دينار ذهباً بزيادة عشرين ألف دينار مما قدره قاضي مكة لاصلاحها .

سافر ابراهيم باشا بحراً من مصر ، ووصل الى مكة لثمانٍ بقين من ذي القعدة سنة تسع وستين وستمائة ، وبعد مقابلة أمير مكة الشريف حسن بن أبي نمي ، وشيخ الاسلام بمكة القاضي حسين الحسني ، والاستماع الى آرائهما ، باشر العمل فبدأ أولاً بتنظيف بعض الآبار التي يستقي منها الناس ، ثم توجَّه الى عرفات ، وقام بفحص مجاري العين ومشاربها وتتبع الدبول والقنوات التي يجري فيها الماء ، وأقام بوادي نعمان ، وكان قد أحضر معه للقيام بأعمال الحفر والتنظيف أربعمائة مملوك ، واستخدم البنائين ، والحجارين ، والقطاعين والنجارين والعمال الذين بلغ تعدادهم ألف رجل للعمل في المشروع ، وكان قد أحضر معه من مصر كلَّما ظنَّ انه لازم للعمل من مكاتل ومساحي ، ومجاريف ، وحديد ، وفولاذ ، ونحاس ، ورصاص ، وقسَّم العمال الى فرق متعددة أوكل لكل فرقة مساحة من الأرض

---

(١) ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز ص ١٥٢/١٥٤ .

يعملون فيها ، وكان يقدِّر أن العمل سينتهي خلال عام واحد ، وكان التقرير المقدم الى السلطان يقدر أنه اذا تم تنظيف القنوات التي كان يجري فيها ماء عين زبيدة ، واصلاح ما تهدم منها ، وتعميرها يمكن الوصول الى عين عرفات ، ومن ثمَّ العمل الى اعادة جريانها كما كانت في عهد زبيدة ، ولكن المفاجأة التي حدثت أنه حينما اتصل عمل ابراهيم باشا بعمل زبيدة لم يجد العمال دبلاً ولا آثار عمل وتبين لابراهيم باشا أن زبيدة اصطدمت بصلابة الحجر ، وعدم امكان قطعه في تلك المنطقة فلجأت الى عين حنين وأنه اذا أراد ابراهيم باشا ايصال عين حنين الى هذا المكان ، فانه يحتاج الى شق قناة ـ دبل ـ منقور تحت الأرض في الحجر الصوان بطول ألفي ذراع بذراع البنائين ، وكان مما يصل الى الاستحالة نقب ذلك الحجر تحت الأرض ، لأنه يحتاج الى أن يتعمق في الحفر الى خمسين ذراعاً .

وقام ابراهيم باشا بمحاولة أخرى ، هي الحفر في وجه الأرض حتى يصل الى الحجر الصوان ، ثم أخذ يوقد عليه النار ، ويقول المؤلف ان ابراهيم باشا أوقد حمولة مائة حمل من الحطب الجزل في ليلة كاملة ، وكان العمل في مساحة مقدارها سبعة أذرع في خمسة أذرع من وجه الأرض ، وكانت النار لا تعمل إلا في العلو ، فاذا نزلت عن وجه الأرض قل تأثيرها فيلين بالحجر من جانب السفل بمقدار قيراطين من أربعة وعشرين قيراطاً ، فيكسر بالحديد الى أن يصل الى الحجر الصلب الشديد ، فيوقد عليه بالحطب الجزل ليلة أخرى وهلمَّ جرًّا الى أن ينزل في ذلك الحجر مقدار خمسين ذراعاً في العمق في عرض خمسة أذرع الى أن يستوفي ألفي ذراع تقطع على هذه الصورة .

ويعلق المؤلف فيقول : وذلك يحتاج الى عُمر نوح ، ومال قارون ، وصبر أيوب ، ولم ير ابراهيم باشا بداً في الاستمرار في العمل بهذه الطريقة التي وصفناها ، حتى فرغ الحطب من جبال مكة ، فصار يُجلب من المسافات البعيدة ، وغلا سعره ، وضاق الناس بذلك ، وتعب الأمير ابراهيم وذهبت أمواله ومماليكه ، وهو يتجلد عن ذلك الى أن قطع من المسافة ألف ذراع وخمسمائة ذراع ، وصار كلما فرغ المال الذي لديه طلب من مصر مالاً ، حتى بلغ ما صرف على المشروع خمسمائة ألف دينار ذهباً من الخزائن العامرة ، وتوفي ابراهيم باشا ناظر العمارة في سنة تسعمائة وأربع وسبعين ، بعد استمراره في العمل خمس سنوات ، فأسند الأمر من قبل أمير مكة الى سنجق جدة الأمير قاسم بك ، ورفع الأمر الى السلطان في الأستانة للموافقة ، وتوفي السلطان سليمان ، وتولى بعده السلطان سليم ابنه ، فاختار لإكمال مشروع العين ، دفتردار مصر في ذلك الزمان محمد بك المككجي وحضر الدفتردار المذكور الى مكة ، وشرع في العمل ولكنه توفي في سنة تسعمائة وست وسبعين ، ولم يتم انجاز المشروع فأعيد الأمير قاسم سنجق جدة لمباشرة العمل ، وأقره السلطان سليم على ذلك ليكون أميناً على مصارف العمل وأسند النظارة الى قاضي القضاة بمكة حسين الحسيني ولكن الأمير قاسم توفي في منتصف سنة تسعمائة وتسع وسبعين ، ومازال للعمل بقية ، فأمر السلطان سليم أن يتولى قاضي القضاة حسين

الحسيني القيام به ، وأراد الله إتمام المشروع بعد خمسة شهور من إسناد العمل الى قاضي قضاة مكة كما ذكرنا ، ووصل الى مكة لعشرين بقين من ذي القعدة سنة تسع وسبعين وتسعمائة وقد استمر العمل في مشروع ايصال الماء الى مكة نحو عشر سنوات ، وكان المقدر له عاماً واحداً ، وبلغ ما صرف على هذا المشروع خلال هذه العشر سنوات خمسة لكوك وسبعة آلاف دينار ، وكان المقدر له ثلاثين ألف دينار ، وقد رغبت ابنة السلطان سليمان العثماني أن يكون لها شرف هذه الصدقة الجارية تشبهاً بزبيدة زوجة الرشيد فدفعت من مالها خمسين ألف دينار ولكن المشروع تضاعفت تكاليفه مائة ضعف فأنفقت عليه الدولة العثمانية من خزائنها طيلة عشرة أعوام ، واذا كانت الأميرة العثمانية لم تحقق ما أرادت ، فإن لها ثواب النية الطيبة والأعمال بالنيات .

أقول : خمسة لكوك بمعنى خمسة ملايين والكلمة هندية وهي تعني المليون ومفردها لُكُّ .

الاحتفال بايصال الماء الى مكة :

احتفل الناس في مكة بوصول الماء احتفالاً عظيماً وصفه صاحب الاعلام بقوله :

وكان ذلك اليوم عيداً أكبر عند الناس ، وزال بوصول ذلك الماء الى البلد كل هم وباس ، وأقام قاضي مكة الذي أكرمه الله تعالى بإتمام المشروع على يديه « اسمطة » موائد عظيمة في الأبطح ، في بستان له هناك ، دعا اليها الأكابر والأعيان ، ونصب لهم السرادقات والصيوان ، وذبح أكثر من مائة من الغنم ، ونحر عدة من الأبل والنعم ، وقدم للناس على صفاتهم الموائد والنِّعم ، وخلع على أكثر من عشرة من المعلمين والبنائين والمهندسين حللا فاخرة وأحسن الى باقيهم بالانعامات الوافرة ، وتصدَّق على الفقراء والمساكين شكراً لله تعالى على هذه النعمة الجزيلة ، وزُفَّتْ البشائر بها الى السلطان سليم خان ، والى صاحبة الخيرات بلقيس الزمان ، حضرة خانم السلطان ، فانعمت بالأنعامات الجزيلة على سائر المبارين والمتعاطين لهذه الخدمة الشريفة الجزيلة ، وحصل لمولانا شيخ الاسلام المشار اليه ترقيات عظيمة ، وصارت هذه العين من جملة الآثار الباقية على صفحات الليالي والأيام الى آخر ما ذكره صاحب الاعلام[1] .

مقدار ما أنفقته زبيدة على ايصال الماء الى مكة :

أورد الشيخ الغازي مقدار ما أنفقته السيدة زبيدة على ايصال الماء الى مكة فقال :

« انه ألف ألف وسبعمائة ألف مثقال من الذهب » قالوا : وأحضر القائمون بالعمل دفاترهم لتطلع عليها ، وكانت في قصر عالٍ مشرفٍ على نهر دجلة ، فأخذت الدفاتر وألقتها في النهر وقالت : تركنا الحساب ليوم الحساب ، فمن بقي عنده شيء من بقية المال فهو له ،

---

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٣٤٦/٣٣١ .

ومن بقي له شيء عندنا أعطيناه ، وألبستهم الخلع والتشاريف ، فخرجوا من عندها حامدين شاكرين(١) .

أقول : لقد أجرت السيدة زبيدة العين المسماة باسمها والتي كانت من الأعمال العظيمة في التاريخ قبل سبعمائة سنة من تاريخ اجراء العين الجديدة التي أرادت بها ابنة السلطان سليم التشبه بزبيدة يرحمها الله ، وبذلت من مالها الخاص ما قدرت أنه يكفي لاتمام المشروع العظيم ، واذا كانت لم تتمكن من إتمامه من مالها الخاص ، فقد كان لها فضل السبق والبداية ، والنية الحسنة ، فجزاها الله خير الجزاء .

لجنة من أثرياء الهند تجمع المال لاصلاح العين :

قصة الماء في مكة كما قلنا لها تاريخ طويل ، فلا يكاد يتم وصول الماء الى مكة ويفرح الناس به إلا وينقطع بعد سنوات تقصر أو تطول ، وضمن ما أورده الشيخ / الغازي من أخبار العيون والآبار المتعلقة بمكة انه في عام ١٢٩١ ، اجتمع جماعة من علماء مكة المشرفة بالشريف عبدالله باشا أمير مكة ، وهم السادة / الشيخ عبدالرحمن سراج مفتي مكة ، والشيخ / عبدالله الشيبي فاتح بيت الله الحرام ، والشيخ /عبدالرحمن جمال ، والشيخ / عبدالقادر خوقير وغيرهم ، وعوّلوا كما يقول الشيخ / الغازي على جمع المال من أهل البر والاحسان لاصلاح عين عرفات ، واصلاح عين حنين واجرائها لاعانة عين عرفات ، فوفق الله تعالى أصحاب الهمم العالية ، الراجين ثواب الله سبحانه ، منهم المرحوم الشيخ / أحمد أفندي المشاط ، فانه دفع مائة جنيه ، وجمع من تجار الهند بجدة مبلغاً ، وصادف وجود أشخاص كرام مثل الحاج / عبدالواحد الشهير بوخدانة الميمني ، والحاج / عبدالله عرب الميمني ، فساعدوا على هذا العمل الخيري أحسن مساعدة ، وعمّروا ما تيسر لهم تعميره الى أن جرى الماء بمكة واستراح الناس قليلاً ولكنهم عملوا وتحققوا أن الأمر مهم ، ويحتاج الى نفقات هائلة .

وفي سنة خمس وتسعين ومائتين وألف رغب الحاج / عبدالواحد وخدانه والحاج / عبدالله عرب وبعض جماعة معهما في القيام بهذا العمل الخيري ، وذلك بالتفرغ له وجمع الاعانات من كل الجهات الاسلامية .

وصل الرجلان الى مكة ومعهم من يترجم حديثهم الى اللغة العربية ، وقابلوا أمير مكة في ذلك الوقت وهو الشريف الحسين الشهير فيما بعد بالشهيد ، وشرحوا للأمير ما ينوون القيام به ، فشكرهم ، وأثنى على همتهم وقال لهم ، حيث ان الحكومة تدفع سنوياً مبلغ ألف جنيه عثماني لعين زبيدة ، فلابد من استئذانها في الأمر ، وذكر لهم أنه سيبحث الموضوع مع الوالي التركي ، وكان الوالي في ذلك الزمن ناشد باشا .

---

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٢٨٧ / ٢٨٨ .

قابل الرجلان ناشد باشا ، وعرضوا عليه ما اعتزما عليه ، واتفق الشريف والوالي على أن يكتبا سوية الى الاستانة للحصول على الموافقة المطلوبة من الدولة ، وكتبا ، وجاء الاذن بالموافقة على الشروع في العمل .

شكَّل الأمير والوالي لجنة تضم جماعة من الأشراف والأهالي وأفاضل المجاورين مثل فضيلة الشيخ / رحمة الله الهندي ، واجتمعت اللجنة وشرعوا في جمع التبرعات التي افتتحها أمير مكة بمبلغ سبعمائة وخمسين ريالاً مجيدياً وتلاه الوالي بمائتين وخمسين ريالاً ، وتوالت التبرعات من التجار والأهالي كلٌ على قدر استطاعته ، وتعينت لادارة المشروع لجنة رئيسها الفخري الشيخ / عبدالرحمن سراج مفتي الأحناف والحاج / عبدالواحد خوندا أميناً للصندوق ، ومفوضاً بالنظر والتصرف وكتبت اللجنة الى جميع الجهات الاسلامية وأعلنوا عن مشروعهم في الصحف بلغات عديدة ، وكان المدير التنفيذي باصطلاح عصرنا هذا هو الحاج عبدالواحد الميمني ، وكانت الخطوات التنفيذية تتم بعد اطلاع اللجنة عليها والمداولة فيها وتقرير ما يجب تنفيذه ، ولا يتم الاقدام على عمل إلا بقرار من اللجنة المذكورة .

تجمَّع في صندوق اللجنة مقدار عظيم من المال يقول المؤلف :

وساعدتهم الحكومة المحلية على هذا العمل الخيري أتم مساعدة ، ولم تجعل منها عليهم يداً أصلاً ، إلا بالمساعدة عندما يحتاجون اليها .

وباشرت اللجنة عملها فاستقدمت من الهند المهندسين والصناع ، وخرجوا بهم الى عرفة وحققوا المسافة بين مكة وبين عين زبيدة من وادي نعمان ، فوجدوا أنها تنوف على سبعة عشر ألف متر ، ورأوا أن البدء بالعمل من عين زبيدة من عرفات أنفع فشرعوا في العمل باجتهاد تام ، وقاموا بالحفر من بعد حدود عرفة الى وادي نعمان ، فبحثوا وحفروا في أسفل الدبل نحو ستمائة ذراع ، بنوا فيها عدة خرزات دفنوا بعضها ، وأبقوا البعض الآخر لسقيا العربان .

كما شرعوا من مكة في تنظيف الدبول وتعمير ما تخرَّب منها حتى وصلوا الى المفجر وأوصلوا الماء الى منى « بالآلة النارية » من المفجر ، ونحتوا لأجل ذلك بعض الجبال ، وواصلوا العمل حتى وصلوا الى عرفة ، وبنوا في عملهم هذا عدة خرزات في طريق مكة ، كما بنوا بازانات بمكة منها ، بازان الشعب ، وبازان سوق الليل ، وبازان القشاشيه ، وبازان اجياد ، وبازانين بحارة المسفلة ، وبازان بحارة الباب ، وبازان الشبيكة ، وبازان الشامية ، وبازان سوق المعلاة الذي يسمي بازان التِّمارة .

وعمروا ما كان خراباً ، وزادوا عليه موارد الماء بالبلدة ، وقطعوا الجبل الطويل الكائن بأول مكة ، وهو الريع المعترض وسط الطريق المشهور بريع الرسام وبنوا به دبلا طويلا يجري فيه الماء الى حارة جرول ، وبنوا في حارة جرول بازانا عظيما يستقي منه الناس ، وكذلك أجروا عملاً آخر من جهة العين الأصلية بمكة وهي عين الزعفرانة « والشحاخيد » المعينة لعين حنين ومكثت اللجنة التي كان رئيسها الحاج عبدالواحد الميمني تعمل بعزم وهمة نحو

ثلاث سنين ، ثم حصل الضعف في عملهم شيئاً فشيئا ، وكان الماء جارٍ بمكة أحسن جريان .

كان صندوق عين زبيدة في ذلك الزمان عامراً بالنقود المتواردة عليه من التبرعات بصورة دائمة من الهند وغيرها ، واستمر كذلك الى أن حدثت المخالفات من أمين الصندوق .

ثم تدخلت الحكومة المحلية في أمر النقود الموجودة في صندوق عين زبيدة ، بتناول شيء منها احتاجوه وصرفوه في بعض تعميرات لازمة للحكومة ، فلما بلغ أهل الهند ذلك توقفوا عن ارسال الاعانات ، وكان ذلك سبباً في استياء هيئة اللجنة ، حتى أوقفوا الأعمال ، ثم استعفى الرئيس وأكثر أعضاء اللجنة ، وسافر الحاج وخدانه بعد ذلك بنحو عامين الى الهند ، وتشكلت لجنة جديدة محلية .

ويقول المؤلف : ان المبلغ الذي كان في صندوق عين زبيدة ، عند الأخذ منه نحو سبعة وخمسين ألف جنيه[1] .

أقول : ان العمل العظيم الذي قام به أثرياء الهند المسلمين باصلاح العيون التي تمد مكة وعرفات بالماء هو عمل مشكور ، وقد قام هذا العمل بأموال المسلمين الذين رغبوا التقرب الى الله تعالى بالصدقة الجارية بتوفير الماء في بلد الله الحرام ، والمشاعر المقدسة ، وقد سار العمل سيره الحسن ، واستمر عدة سنوات الى أن طمع الطامعون في أموال العين فمدوا أيديهم اليها لتصرف في غير ما جمعت له ، فانصرف القائمون على العمل وأمسك المنفقون أموالهم ، وعادت أمور الماء في مكة الى ما كانت عليه قبل ذلك ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ، ولقد ورد ضمن أسماء أعضاء اللجنة التي شكلت لهذا الغرض اسم الشيخ رحمت الله العثماني مؤسس المدرسة الصولتية بمكة ، وقد ترجمنا له في الجزء الثاني من أعلام الحجاز[2]، والشيخ عبدالرحمن سراج مفتي الأحناف بمكة المكرمة ، وقد ترجمنا له في الجزء الثالث من أعلام الحجاز[3] فليرجع اليها من شاء الاستزادة .

وما دمنا بصدد الماء في عرفة ومكة نذكر هنا ما أورده الغازي مما يتصل بالموضوع .

أول من اتخذ الحياض بعرفة :

نقل الغازي عن كتاب أسد الغابة : ان عبدالله بن عامر بن كريز هو أول من اتخذ الحياض بعرفة وأجرى عليها الماء ، وقد جدَّد السلطان سليمان العثماني هذه الحياض وجددت بعده مراراً .

---

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٣٨٦/٣٧٧ .
(٢) أعلام الحجاز ج ٢ ص ٣١٣/٢٨٦ .
(٣) أعلام الحجاز ج ٣ ص ٣٧٢/٣٣٩ .

يقول صاحب تحصيل المرام : وهي الآن عمارة مملوءة من عين عرفة[1] .

أقول : عبدالله بن عامر بن كريز صحابي جليل ، ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأتي به النبيَّ وهو صغير فقال صلوات الله وسلامه عليه هذا يشبهنا ، وجعل يتفل عليه ويَعُوِّذه ، فجعل عبدالله يبتلع ريق رسول الله صلوات الله وسلامه عليه فقال صلى الله عليه وسلم : انه لَمَسْقِيٌّ ، فكان لا يعالج أرضا إلا ظهر له الماء .

وهو ابن خال عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وكان من ولاة عثمان رضي الله تعالى عنه وافتتح خرسان كلها ، وأطراف فارس وسجستان ، وكرمان ، وزابلستان ، وبعث الجيوش ففتح هذه الفتوح كلها ، وفي ولايته قتل كسرى يزدجرد فأحرم ابن عامر من نيسابور بعمرة وحجة شكراً لله تعالى ، وكان من الأجواد الممدوحين ، وفي ولايته للبصرة اشترى دوراً فهدمها وأنشأ بها سوقاً بالبصرة ، وتوفي ابن عامر سنة سبع وقيل سنة ثمان وخمسين وأوصى الى عبدالله بن الزبير[2] .

مكان للشنق يتحول الى سبيل :

ومن الطرائف التي أوردها الغازي في حديثه عن السقايات ذكر الحادثة التالية نقلا عن ابن فهد قال :

وفي سنة سبع عشرة وثمانمائة أنشأ عطية المطيري سبيلا بالمروة ، وكان موضع هذا السبيل قبل ذلك معداً للشنق ، فقال شعبان الأثاري في ذلك :

بمكة دار كـــــان للشنق ركنها ... وأضحت سبيـــلا بعـــد كـــل بليـــة
وأضحى لسان الحال منها يقول قد ... رضيت من المـــولى بخـــير عـــطيـــة

وقال شاعر آخر :

بمسعى رســـول الله دار معـــدة ... لشنق فصـارت لـلأنـام سبيـلا

* * * *

---

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٤٢٠ .

(٢) انظر ترجمته مفصلة في أسد الغابة ج ٣ ص ٢٨٨ / ٢٨٩ وانظر كتاب عثمان بن عفان ذو النورين ص ٦٢/ ٦٥ .

المدارس حول المسجد الحرام

أدركت مكة في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري ، وكثيرمن البيوت الملاصقة للحرم الشريف تدعى بالمدارس ، فيقال مثلا مدرسة الباسطية ، ومدرسة الداودية ، وما الى ذلك ، ولم تكن هذه البيوت التي تسمى بالمدارس إلا منازل للسكن يسكنها بعض أهل مكة ويعيشون فيها كما يعيش الناس في بيوتهم ، والميزة الوحيدة التي كانت تميزها عن غيرها من المنازل أن لها نوافذ مشرعة على المسجد الحرام وفي أسفل كل منها غرفة مطلة على المسجد يصلي بها الناس مؤتمِّين بامام الحرم الشريف ، وخاصة في الأوقاف التي يزدحم فيها المسجد بالمصلين كأيام الجمع والأعياد ، وأوقات الحج والعمرة ونحو ذلك .

وكنت أعجب لتسمية هذه الأماكن بالمدارس ، وليست مخصصة للدرس والتدريس ، وقد أزيلت هذه المدارس جميعها مع ما أزيل من بيوت مكة في التوسعة الاولى للمسجد الحرام في العهد السعودي مابين عامي ١٣٨٥ ـ ١٣٩٦ للهجرة[1]، وقد اختفت هذه التسمية نهائياً بإزالة هذه البيوت .

وقد وجدت في كتاب الشيخ / عبدالله الغازي ـ إفادة الأنام ـ أسباب تسمية هذه الأماكن بالمدارس لأنها كانت مدارس حقيقية في الأصل بنيت لغرض التدريس ، وأوقفت على نشر العلم وعين لها المدرسون ، ويؤخذ من الفصل الذي خصصه الغازي لهذا الموضوع ان المدارس التي كانت موقوفة بمكة المكرمة ، أحد عشر مدرسة نوجز هنا ما ذكره عنها لأهميته التاريخية .

يقول الغازي : أما المدارس الموقوفة بمكة فهي أحد عشر مدرسة فيما علمت ، منها بالجانب الشرقي من المسجد الحرام مدرسة الملك الأفضل عباس بن الملك المجاهد صاحب اليمن ، أوقفها على فقهاء الشافعية ، وتعرف الآن ، بابن عبَّاد الله ، وهي على يمين الخارج من باب النبي .

---

(١) انظر المعلومات التفصيلية عن العمارة السعودية للمسجد الحرام في الجزء الثاني من أعلام الحجاز ص ٤٣ ـ ٥٢ .

مدرسة الباسطية :

ومنها بالجانب الشمالي منه مدرسة بدار العجلة على يمين الخارج من باب المسجد المعروف بباب العجلة ، وتعرف الآن بمدرسة عبدالباسط أوقفها على أئمة مقام الحنفي . . . انتهى .

وذكر ابن فهد في حوادث سنة أربع وثلاثين وثمانمائة أن القاضي عبدالباسط اشترى الدار المذكورة وأمر ـ استاداره ـ ركن الدين عمر الشامي بأن يقيم بمكة المشرفة ويعمرها مدرسة ، وكانت هذه الدار مدرسة للأمين ارغون الناصري ، نائب السلطنة بمصر عن ابن مولاه الناصر محمد بن قلاوون ، فاستولى عليها بعض الأشراف (أولاد راجح ابن أبي نمي) وباعوها في هذه السنة ، وفي سنة خمس وثلاثين وثمانمائة ابتدىء في عمارتها ، ولم تنقض هذه السنة إلا فرغ من عمارة أسفلها ، وغالب علوها ، فَدَرَّس بها في العشر الأول من ذي الحجة قاضي القضاة : جمال الدين أبو السعادات بن ظهيرة .

وفي سنة ست وثلاثين أكملت العمارة . . . انتهى(١) .

أقول : يفهم من تاريخ هذه المدرسة أنها بنيت أولاً للأمين ارغون نائب السلطنة بمصر عن ابن مولاه الناصر محمد بن قلاوون ، ثم باعها بعض أشراف مكة على القاضي عبدالباسط ، فعمرها ما بين عامي ٨٣٤ ، ٨٣٦ هجرية ، وقد تولى السلطان الناصر محمد بن قلاوون السلطنة في مصر ثلاث مرات كانت الاولى سنة ٦٩٣ ، والثانية سنة ٦٩٨ ، والثالثة سنة ٧٠٩ الموافقة للسنوات الميلادية ١٢٩٣ ، ١٢٩٨ ، ١٣٠٩ ، ويبدو أن شراء هذه المدرسة لابن السلطان الناصر محمد بن قلاوون كان في أواخر القرن السابع الهجري ، أو أوائل القرن الثامن الهجري ، كما يتضح من تاريخ ولايته الثلاث ، ولم يوضح المؤلف كيف تسنى للأشراف الذين سماهم ، بيع هذه المدرسة للقاضي عبدالباسط الذي أعاد بناءها بعد مائة وثلاثين سنة من تشييدها وايقافها فقد اكتفى المؤلف بقوله استولى عليها أولاد الشريف راجح بن أبي نمي ، ولعل انتهاء حكم سلاطين المماليك البحرية ، وقد كان السلطان قلاوون وأولاده منهم في سنة ٧٨٣ للهجرة الموافقة لسنة ١٣٨١ للميلاد ، واستيلاء سلاطين المماليك الجراكسة على الحكم في مصر .

أقول لعل ذلك من الأسباب التي أدَّت الى الاستيلاء على المدرسة وبيعها مرة أخرى(٢) .

تهدم المدرسة الباسطية :

وقد ذكر الغازي عن هدم وقع بالمدرسة الباسطية وما آلت اليها فقال :

وفي احدى عشر جمادي الثانية من سنة ست وثلاثين ومائة وألف تطبقت المدرسة الباسطية ـ تطبقت أي تهدمت ـ سقوفها على بعضها لتفجر بارود كان بها .

---

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٤٤١/٤٤٢ .

(٢) انظر ما يتعلق بتولي السلطان الناصر بن قلاوون السلطنة في مصر وانتهاء حكم المماليك البحرية ـ كتاب المماليك للدكتور السيد الباز العريني ص ٢٦٧/٢٦٩ .

وينقل الغازي ما آلت اليه فيقول :

وهي الآن في حوزة الشريفة سعدية بنت سعد بن زيد تأخذ كراها ، وكانت موقوفة على التدريس . . . الخ[1] .

مدرسة دار السلسلة :

يقول الغازي : وفي الجانب الغربي من الحرم الشريف ثلاث مدارس ، مدرسة الأمير فخر الدين نائب عدن على باب العمرة ، وتعرف بدار السلسلة ، أوقفها على علماء الحنفية سنة خمسمائة وتسع وسبعين .

وقد أورد الغازي تفصيلاً عن دار السلسلة نذكره فيما يلي :

وفي سنة ٥٧٩ وصل الى مكة صاحب عدن الأمير عثمان بن علي الزنجبيلي ، خرج منها فاراً أمام سيف الاسلام المتوجه الى اليمن ، وبالرغم من أنه تعرَّض لأخذ كثير من الأموال والأثقال التي كانت معه من قبل سيف الاسلام ، إلا أنه وصل الى مكة ، وكان قد ابتنى بها داراً ، بعد أن قدَّم نفيس ذخائره ، وناجي ماله ، وجملة رقيقه وخدمه ، وكان حاله لا يوصف كثرةً واتساعا ، وكان موصوفاً بسوء السيرة مع التجار ، وكانت المنافع التجارية كلها راجعة اليه ، والذخائر الهندية المجلوبة كلها واصلة اليه .

وأوقف مدرسته التي عند باب العمرة للحنفية ، وتعرف الآن بدار السلسلة وأوقف الرباط المقابل لها ، ويعرف برباط الهنود .

يقول الغازي : والمدرسة هي الآن بأيدي بعض الأشراف من أولاد أمراء مكة[2] .

أقول ؛ ذكر الغازي في الخبر الأول عن مدرسة السلسلة أن الذي بناها هو الأمير فخر الدين نائب عدن ، وذكر في الخبر الثاني أنه الأمير عثمان بن علي الزنجبيلي ، وتاريخ بناء المدرسة في الخبرين واحد وهو عام ٥٧٩ هجرية ، فربما كان فخر الدين لقباً لعثمان المذكور ؟ .

مدرسة طاب الزمان :

ومدرسة طاب الزمان عتيقة المستنصر العباسي - وهو الموضع المعروف بدار زبيدة - أوقفتها طاب الزمان في شعبان سنة خمسمائة وثمانين على عشرة من الفقهاء الشافعية .

مدرسة الداودية :

ومدرسة الملك المنصور عمر بن علي صاحب اليمن بين هاتين المدرستين - بين دار السلسلة وطاب الزمان - وكانت عمارتها في سنة ستمائة واحدى وأربعين ، وتعرف الآن بالداودية أوقفها الملك المنصور على الفقهاء الشافعية والمحدثين .

---

(١) افادة الأنام مجلد ٣ ص ١٦٧/ ١٦٩ .

(٢) افادة الأنام مجلد ٣ ص ٣١٤/٣١٥ .

أقول : أدركت الداودية عام ١٣٥٢ للهجرة وما بعدها ، وهي تدعى بهذا الاسم ، وكان الشيخ / حسين نظيف أحد أدباء مكة يسكن بها .

مدرسة العينية :

يقول الغازي : ومنها بالجانب الجنوبي مدرسة الملك المجاهد صاحب اليمن أوقفها على الفقهاء الشافعية ، وتعرف الآن بالعينية ، يسكنها قضاة مكة ، وتاريخ وقفيتها في شهر ذي القعدة سنة سبعمائة وتسع وثلاثين .

مدرسة الملك غياث الدين صاحب بنقالة :

ويواصل الغازي حديثه عن المدارس فيقول :

ومنها بالجانب اليماني مدرسة الملك المنصور غياث الدين صاحب بنقالة وهي موقوفة على الفقهاء من المذاهب الأربعة ، وجعل الواقف المنازل بعلوها ، وهي احدى عشرة خلوة محلاً لسكنى جماعة من الفقراء أوقفت سنة ثمانمائة وأربع عشرة ، انتهت عبارة تحصيل المرام .

ونقل الغازي عن الفاسي في شفاء الغرام تفصيلا أكثر عن مدرسة الملك غياث الدين فقال : بالجانب اليماني مدرسة الملك المنصور غياث الدين أبي المظفر أعظم شاه ، ابن السلطان السيد الشهيد اسكندر شاه ، ابن السلطان شمس الدين صاحب بنجالة ، وهي للفقهاء من أصحاب المذاهب الأربعة ، وكان المتولي لشراء عرصتها وعمارتها ووقفها من يديه لذلك وغيرها من مصالحها التي تذكر ، وفوض اليه النظر خادمه المكين ، وثقته الأمين ياقوت السلطان الغياثي ، وكان الشراء لعرصتها ، والنخيل وسقيه الموقوفتان عليها الآتي ذكرهما اثنى عشر ألف مثقال ، في أول شهر رمضان من سنة ثلاث عشرة وثمانمائة .

ثم أعيد عقد البيع على ذلك في شهر شوال من السنة المذكورة لموجب اقتضاه الحال .

وفي شهر رمضان المذكور ابتدىء في هدم ما كان في موضعها من الأبنية ، وفيه أيضاً ابتدىء في بنائها ، وفرغ من ذلك في آخر صفر سنة أربع عشرة وثمانمائة .

وقرروا فقهاء فيها أربعة من المدرسين ، وهم قضاة مكة الأربعة يومئذ ، وستون نفراً من المتفقهين ، عشرين من الشافعية وعشرين من الحنفية وعشرة من المالكية وعشرة من الحنابلة .

وجعل الواقف المنازل التي بعلوها ، وهي احدى عشرة خلوة محلاً لسكنى جماعة من الفقراء خلاف واحد منها ، فانه جعلها خاصة للمدرسة المذكورة .

وكان ابتداء التدريس بها في ضحوة يوم السبت سابع جمادي الآخرة سنة أربع عشرة وثمانمائة ، على الحالة التي قدرت عين الوقف ، في تعيين أوقات التدريس بها في أيام الأسبوع ، فكان تدريس الشافعي ضحوة يوم السبت .

وكان تدريس الحنفي في ضحوة يوم الأحد ، وضحوة يوم الأربعاء ، وضحوة يوم الخميس .

وكان تدريس المالكي فيما بين الظهر والعصر أيام السبت والأحد والاثنين ، وباشرت ذلك من حين ابتدائه .

وكان تدريس الحنبلي فيما بين الظهر والعصر من يومي الأربعاء والخميس .

وأوقف الواقف على المدرسين والفقهاء ، والسكان بالمدرسة المذكورة ، وعلى مصالحها ما اشتراه ، وذلك حديقتان وسقية ماء ، فأما الحديقتان فتعرف أحدهما بسلمة ، والأخرى بالحل ، وهما بالضيعة المعروفة بالركابي بوادي مُرٍّ من أعمال مكة المشرفة ، وأما سقية الماء فهي أربع وجبات من قرار عين الضيعة المذكورة ، وجبتان منها تعرفان بحسين بن منصور ليله ونهارُه ، والوجبتان الأخيرتان تعرفان بحسين بن يحيى ليلُه ونهارُه ، وجعل الواقف المذكور الريع المتحصل من ذلك في كل سنة يقسم خمسة أقسام ، قسم للمدرسين الأربعة بالسوية بينهم ، وثلاثة أقسام للطلبة بالسوية بينهم ، وقسم منه يقسم ثلاثة أقسام ، قسم منه يصرف في مصالح المدرسة المذكورة من الزيت والماء ، وغير ذلك ، والقسمان الآخران من هذا القسم يصرفان للسكن بالمدرسة المذكورة بالسوية بينهم .

وفي النصف الآخر من ذي الحجة من السنة المذكورة ، وقف الواقف المذكور على المدرسة المذكورة داراً تقابلها تعرف بدار أم هانيء اشتراه الواقف بخمسمائة مثقال ، وعمَّرها في السنة المذكورة ، وأوقفها على مصالح المدرسة المذكورة .

وسافر الواقف من مكة بعد حجِّه في هذه السنة لاعلام مخدومه السلطان غياث الدين بذلك ، فلم يُقدَّر اجتماعهما ، لأن ياقوت مات في شهر ربيع الأول من سنة خمس عشرة وثمانمائة بجزيرة هرموت ، ومات السلطان غياث الدين في أوائل سنة خمسة عشرة تغمده الله برحمته .

نهاية مدرسة غياث الدين :

ويواصل الغازي كلامه عن المدرسة المذكورة نقلاً عن كتاب بلوغ القرى فيقول :

وفي يوم الأربعاء عاشر شهر المحرم سنة أربع وتسعين وثمانمائة شرع في هدم المدرسة البنجالية السيد الشريف جمال الدين محمد بن بركات ، وكأنه استأجرها أو صرفت له بمرسوم شرعي ، والله أعلم .

ويقول صاحب كتاب بلوغ القرى :

وعمرت قاعة بِصُفَّةٍ ، وتحت ذلك حاصل بباب له من المسجد ، وبابٌ بباب المسجد المعروف بام هانيء ، وفوق القاعة مقعد يخرجه على باب الحرم . . . انتهى[1] .

---

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٤٤٣/ ٤٤٩ .

أقول : لا شك أن السلطان غياث الدين الذي أنفق الأموال الطائلة على شراء البيوت وتشييد مدرسته العظيمة بملحقاتها ، وبما أنفقه من الأموال كذلك في شراء النخيل ووجبات الماء لتصرف غلتها على المدرسة ومدرسيها وطلابها ، لا شك ان الرجل بعمله العظيم هذا يبتغي وجه الله تعالى ، وهو مجازيه على عمله الطيب ، فانه لا يضيع أجر من أحسن عملا ، ولكن السؤال الذي يستوقف القارىء هو ، كيف يضيع هذا العمل الطيب هباءاً بعد زمن طويل أو قصير . . ؟ فقد تم انشاء المدرسة وأوقف عليها ما أوقف ، ورتّب لها المدرسين من قضاة مكة المكرمة على المذاهب الأربعة في سنة ثمانمائة وأربعة عشر ، وبعد ذلك بثمانين عاماً تهدم المدرسة ويعمر بدلها قاعة ومقعد ودكان بعد أن تصير ملكيتها الى الشريف جمال الدين محمد بن بركات ؟ . الذي يقول عنه صاحب كتاب أم القرى انه استأجرها أو صرفت له بمرسوم .

ولم يتحدث صاحب الكتاب عن الوقف الذي أوقفه السلطان وهو الحديقتان وسقيا الماء فلابد أن تكون قد امتدت لها الأيدي كما امتدت الى المدرسة ذاتها وملحقاتها ، ونستطيع أن نتصور أن وفاة السلطان غياث الدين ووفاة خادمه الذي قام بالعمل كله ، وبُعْدُ سلطنة بنقالة عن مكة المكرمة ، وعدم تفقد العمل الجليل الذي خلّفه السلطان غياث الدين ، قد انتهى به الى ما ذكرنا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

مدارس أخرى :

وذكر الغازي مدارس أخرى فقال :

ومنها مدرسة أبي علي بن أبي زكريا قرب المدرسة المجاهدية ، وتاريخ وقفها سنة خمس وثلاثين وستمائة .

ومنها مدرسة الأرسوقي بقرب باب العمرة ، وهو العفيف عبدالله بن محمد الأرسوقي .

ومنها مدرسة ابن الحداد الهدوي بقرب هذه المدرسة ، وتعرف الآن بمدرسة الأشراف الأدارسة لاستيلائهم عليها ، وتاريخ وقفها شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وستمائة وهي على المالكية .

ومنها مدرسة النهاوندي بقرب الموضع الذي يقال له الدريبة ، ولها نحو مائتي سنة فيما أحسب والله أعلم ، ذكره الفاسي في شفاء الغرام[1] .

مدرسة قايتباي :

كلّف السلطان قايتباي وكيله وتاجره الخواجة شمس الدين محمد بن عمر الشهير بالزمن وشاد العمائر سنقر الجمالي أن يحصل له موضعاً يشرف على الحرم يبني به مدرسة يدرس فيه علماء المذاهب الأربعة ، ورباطاً يسكنه الفقراء ، ويعمر له ربوعاً ومسقفات يحصل منها

---

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٤٤٩ .

ريع يقسم منه على المدرسين والفقراء ، وأن تقرأ له رَبْعَةٌ في كل يوم يحضرها القضاة الأربعة والمتصوفون ويقرر لهم وظائف ، ويعمل مكتب للأيتام وغير ذلك من جهات الخير .

فاستبدل له رباط السدرة ، ورباط المراغي ، وكانا متصلين ، وكان الى جانب رباط المراغي داراً للشريفة شمسية من شرايف بني حسنٍ ، اشتراها منها وهدم ذلك جميعه ، وجعل فيه اثنتين وسبعين خلوة ومجمعاً كبيراً مشرفاً على المسجد الحرام ، وعلى المسعى الشريف ، ومكتباً ومأذنة ، وسير المجمع المذكور مدرسة بناها بالرخام الملون والسقف المذهب وقرر فيها أربعة مدرسين على المذاهب الأربعة ، وأربعين طالباً ، وأرسل خزانة كتب أوقفها على طلبة العلم ، وجعل مقرها المدرسة المذكورة ، وجعل لها خازناً عيَّن له مبلغاً[1] .

وفي سنة ٨٨٤ للهجرة كان الفراغ من بناء هذه المدرسة والرباط والبيتين ، أحدهما من ناحية باب السلام ، والثاني من ناحية باب الحريريين على يد الأمير سنقر الجمالي يرحمه الله .

نهاية وقف قايتباي :

وقد ذكر الشيخ الغازي : النهاية التي آلت اليها أوقاف السلطان قايتباي وننقلها هنا بنصها يقول الغازي :

وقد استولت عليه ـ على الوقف ـ أيدي النظار والمستفيدين ، وقد ضاع غالباً إلا القليل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وجعل الواقف في ذلك المجمع للقضاة الأربعة حضوراً بعد العصر مع جماعة من الفقهاء يقرأون ثلاثين جزءاً من القرآن العظيم .

أما في زماننا هذا فالتدريس المشار اليه قد بطل والربعة لا يحضرها سوى (الجاوا) نواباً عن المسحقين ، وهذه المعينات أغلبها أُكِلَ بل جميعه ، فإنَّا لله وإنا اليه راجعون ، وجعل فقيهاً يعلم أربعين صبياً من الأيتام ، وجعل لأهل الخلاوي ما يكفيهم من القمح ، وجعل مثل ذلك للمدرسين ، وهذا أيضاً شيء دَرَسْ ، وجعل للمدرسين والمؤذنين وقرَّاء الحديث والأجزاء مبلغاً من الذهب يصرف لهم كل سنة ، وهذا أيضاً درس ، وان قصدوا أصحاب هذه الوظائف بشيء في بعض السنين فعلى حدِّ قول المتمثل من الشاة اذنها ، والحكم لله تعالى العلي القدير .

ومن عدة ربوع ودور تَغُلُّ كل عام نحو ألف ذهب ، ووقف عليهم بمصر قرى وضياع كثيرة وحبوباً كثيرة تحمل الى مكة كل عام .

وصارت المدرسة سكناً لأمير الحج أيام الموسم ، وسكناً لغيرهم من الأمراء في وسط السنة ، وعمل من الخيرات العظيمة مالم يعمل ذلك سلطان قبله وهو باقٍ الى الآن ، إلا أن الأكَلَة من الدول استولت على هذه الأوقاف تستغلها النظار كل عام وتأخذها الدولة ، وهذه الأوقاف قد آلت الى الخراب مالم تتدارك ، والدوام لله تعالى .

---

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٤٥٦/٤٥٨ .

وذكر صاحب الرحلة الحجازية ـ محمد لبيب البتنوني ـ الذي حج الى مكة سنة ١٣٢٧هـ مع الخديوي عباس باشا حلمي مصير مدرسة قايتباي فقال :

مدرسة قايتباي التي على يسار الداخل من باب السلام فانها بعد أن كانت مدرسة تدرس فيها علوم الدين ، ولها أوقاف بمصر تصرف غلتها عليها ، ضعفت أوقافها شيئاً فشيئا فنقلوها الى دار ضيافة كان ينزل بها أمراء الحج المصري ، ثم صار يسكنها بعض أشراف ذوي غالب وهي في أيديهم الى الآن[١] .

* * * *

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٤٥٨/ ٤٦١ .

مدارس السلطان سليمان العثماني

ذكر القطبي أن السلطان سليمان استبدل الأماكن التي بجانب الحرم من الجهة الشمالية وبنى بها أربع مدارس أوقفها على من ولي الافتاء من الأحناف والشافعية والمالكية والحنابلة وتاريخ وقفها سنة تسعمائة وسبعين .

وقد فصَّل الشيخ عبدالله الغازي أمر بناء هذه المدارس وكيفية شراء السلطان سليمان لها فالأماكن المملوكة اشتريت ، والأماكن الموقوفة استبدلت بغيرها مما فيه فائدة للوقف الأصلي وتم بناء المدارس الأربعة ، وعينت المرتبات للمدرسين والطلاب ، فعين لكل مدرس خمسين عثمانياً لكل يوم ، وعين للمعيد أربعة عثمانية في كل يوم ، يجهزها في كل عام ناظر الأوقاف السليمانية بالشام مع الركب الشامي الى مكة المشرفة فيوزع على المدرسين والطلبة وظائفهم .

وقد تم إكمال عمارة المدارس الأربعة في عهد السلطان سليم ابن السلطان سليمان ، وبوشر التدريس فيها من قبل العلماء الأجلاء .

ويقدم صاحب كتاب الاعلام وصفاً شائقاً للدراسة لهذه المدارس يقول فيه :

فأنعم السلطان بالمدرسة المالكية السليمانية وهي رأس المدارس الأربعة على سيدنا ومولانا شيخ مشايخ الاسلام قاضي القضاة وناظر المسجد الحرام مولانا السيد القاضي حسين الحسيني بخمسين عثمانياً ، ثم رقَّاه الى أن صارت مدرسته بمائة عثمانياً ، وأنعم بالمدرسة الحنفية السليمانية على مؤلف هذا الكتاب ـ صاحب كتاب الاعلام محمد بن أحمد القطبي ـ بخمسين عثمانياً في أواسط جمادي الاولى سنة خمس وسبعين وتسعمائة ، يقول القطبي :

فأقرأت فيه قطعة من الكشاف والهداية ، وقطعة من تفسير مولانا أبوالسعود العماري وأقرأت فيها درساً في الطب ، ودرساً في الحديث وأصوله ، وأنني أدرس الآن فيها تكميل شرح الهداية الذي كمله الآن العلامة الفهامة فريد دهره ووحيد عصره صاحب التصانيف الفائقة التي سارت بها الركبان ، وتداولتها العلماء فالطلبة ، في سائر البلاد ، مولانا شمس الملة والدين أحمد المعروف بقاضي زاده أفندي .

ويكمل صاحب الاعلام حديثه عن هذه المدارس فيقول :

وأنعمت السلطنة الشريفة بالمدرسة السلطانية السليمانية الشافعية لاقراء مذهب الشافعي بمكة المشرفة على بعض علماء الشافعية بخمسين عثمانياً ، وأما المدرسة الرابعة العثمانية فقد جعلها المرحوم الواقف لاحياء مذهب الامام أحمد بن حنبل ، فلم يوجد بمكة يومئذ من يكون ثابتاً في مذهب الامام أحمد بن حنبل ، فعدل عنه الى علم الحديث الشريف ، وجعلت تلك المدرسة ـ داراً للحديث ـ بخمسين عثمانياً ، يقرأ فيها الصحاح الستة . انتهى[1] .

أقول : وأود أن نذكر أن ما أورده الغازي من أخبار هذه المدارس وما ذكره صاحب الاعلام الذي كان مدرساً بالمدرسة الحنفية وهي احدى المدارس الأربع التي بناها السلطان سليمان يعطي لنا صورة عن بعض أوجه النشاط العلمي في مكة المكرمة في أواخر القرن العاشر الهجري .

وقد لفت نظري ما ذكره صاحب الاعلام عن أنه كان يلقي درساً في الطب على طلبته في المدرسة الحنفية ، ولابد أن يكون لهذا الدرس مثيل في المدارس الأخرى ، وبالرغم من أن الطابع الديني يغلب على هذه المدارس وهي أصلاً إنما انشئت لتعليم الطلاب المذاهب الأربعة إلا أن النشاط العلمي في المدرسة كان متنوعاً فيما يبدو ، وقد خصصت المدرسة الرابعة لدراسة علم الحديث لأن المذهب الحنبلي لم يكن منتشراً في مكة في ذلك الزمان ، وبالنسبة للمرتبات التي ذكرها القطبي يقول الشيخ / حسين عبدالله باسلامة :

ان هذه النقود العثمانية ربما كانت أجزاء من العملة الفضية .

نهاية المدارس الأربعة :

يقول الشيخ / حسين باسلامة في كتابه « تاريخ عمارة المسجد الحرام » المؤلَّف في سنة ١٣٥٤هـ وأما المدارس المذكورة فهي باقية على حكمها بناءاً ، وشكلاً الى هذا العصر .

وأما حالتها الحاضرة فصارت احداها مركزاً لرئاسة القضاء ، والثانية مركزاً للقضاء الشرعي والثالثة داراً للكتب الموقوفة لعموم القراء ، والرابعة بجناحيها تصرَّف فيها بالبيع أحمد باشا عامل محمد علي باشا خديوي مصر منذ مائة سنة من صدور هذا المؤلف وأصبحت ممتلكة[2] .

ونستطيع أن نتصور أن السلطان سليمان الذي أنشأ المدارس الأربعة والتي كملت في عهد نجله السلطان سليم ، أن المصروفات التي كانت تنفق على هذه المدارس ومدرسيها وطلابها ، كانت تصل سنوياً مع أمير الحج الشامي انقطعت فتوقفت الدراسة بها ، أما المدرسة التي تصرف فيها بالبيع أحمد باشا عامل محمد علي باشا خديوي مصر ، فلعل ذلك تم

---

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٤٤٩/٤٥٦ .

(٢) تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ٨١ .

حينما وصل محمد علي باشا خديوي مصر الى الحجاز سنة ١٢٢٨ واستولى على الحجاز بأمر من الدولة العثمانية[١]، وبقي أحمد باشا والياً على مكة من قبله ، فتصرف في احدى المدارس بالبيع كما يقول الشيخ / باسلامه ، ويقول السيد أحمد زيني دحلان عن أحمد باشا هذا :

أنه تولى منصب ولاية الحجاز سنة ١٢٣٥ بعد وفاة أخيه خليل بك ، وطالت مدته بالحجاز حتى صار يقال له أحمد باشا الحجاز ، فقد تولى سنة خمس وثلاثين وعزل سنة أربع وأربعين ، وأعيد سنة ثمان وأربعين ، ومكث الى سنة ست وخمسين ، وهو ابن أخت محمد علي باشا[٢]، ولعل طول بقاء أحمد باشا في الولاية مكّن له الاستيلاء على المدرسة الرابعة والتصرف فيها بالبيع .

* * * *

(١) أمراء البلد الحرام ٣٢٧ .
(٢) أمراء البلد الحرام ٣٣٩/٣٤٠ .

مدرسة محمد باشا بسويقة

نقل الغازي بالارج المسكي مايلي :

ومن المدارس مدرسة الوزير محمد باشا بجانب رباطه ولها معلوم معين من غلال وقفه بمكة المشرفة ، وكانت في أصل الوقفية بيمارستان ، ثم قلبت مدرسة .

أقول : البيرامستان هو المستشفى باصطلاح العصر الحديث .

وقف السلطان سليمان خان :

نقل الغازي عن كتاب منائح الكرم مايلي :

ومما حدث في زمن الشريف حسن أن محمد باشا وزير مولانا السلطان سليمان خان أمر أن يبنى له موضع بالقرب من الحرم يكون محلاً للفقراء وصوناً للحرم الشريف ، وأن يبنى له مساطب تصلح للمرضى ، فتكون دار الشفاء له ، وأن يبنى خارج ذلك دكاكين وبيوت تؤجر وتصرف غلالها في مصلحة هذا المحل ، وأمر ببناء حمّام في وسط هذا البلد يكون عظيم الشأن فبني جميع ذلك ، وعُمِّرتْ له أوقاف كثيرة بمكة ووردت صدقاته سنة ٩٧٤ أو سنة ٩٨٤ انتهى .

الباقي من المدارس :

جاء في تحصيل المرام تعليقاً على المدارس التي بجوار الحرم مايلي :

لم يبق من المدارس إلا مدرسة محمد باشا بباب الزيادة ، والداودية ، وكذلك رباط وراء المدارس السلطانية يسكنها الفقراء وما عداها توالت عليها الأيدي . انتهى .

الأوقاف تتغير عبر الأزمان :

ذكر الغازي نقلاً عن شفاء الغرام في الفصل الخاص بالرباطات :

رباط السدرة بالجانب الشرقي من المسجد الحرام على يسار الداخل من باب السلام ،

وكان موقوفاً في سنة ٤٠٠ ، وموضعه دار القوارير التي بنيت في زمن الرشيد على ما ذكر الأرزقي ودار القوارير موضعها مدرسة قايتباي . انتهى(١) .

أقول يفهم من هذا النص أن الخليفة العباسي هارون الرشيد الذي تولَّى الخلافة مابين عامي ١٧٠ الى ١٩١ بنى في الجانب الشرقي من المسجد الحرام داراً سميت دار القوارير ، ثم تحولت هذه الدار بعد أكثر من مائة عام لتكون رباطاً سمي رباط السدرة ، وبعد نحو خمسمائة عام تحولت لتكون مدرسة السلطان قايتباي في سنة ثمانمائة وأربع وسبعين ، وقد تحولت هذه المدرسة في الأزمان الأخيرة لتكون منزلاً يسكنه أمراء الحج المصري ، كما جاء تفصيله في الحديث عن مدرسة قايتباي قبل .

وقد بنى السلطان قايتباي الى جانب مدرسته هذه رباطاً ، وكان مكانه رباطاً بناه قاضي القضاة أبوبكر بن محمد بن عبدالله بن عبدالرحيم المراغي ، ولم يذكر الغازي تاريخ بناء الرباط المذكور ولكنه قديم حتماً ، وقد ذكر أن السلطان قايتباي استبدل الأماكن التي بني محلها المدرسة والرباط أي أنه اتفق مع نظار الوقف على شرائها واستبدال ماهو خير منها للوقف كما هو معلوم في مثل هذه الأحوال .

وقد استبدل السلطان سليمان العثماني رباط الخليفة الناصر العباسي الذي أوقفه سنة خمسمائة وتسع وسبعين على الصوفية ، وبنى في موضعه المدارس السلطانية سنة ٩٧٠ للهجرة التي سبق الحديث عنها قبل(٢) .

* * * *

---

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٤٦٢/٤٦٤ .

(٢) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٤٦٥/٤٦٦ .

الأربطة في مكة

الأربطة مفردها « رباط » وهي الأماكن التي تبنى ويخصص سكنها للفقراء والمحتاجين من الرجال والنساء وقد عرفت مدن الحجاز كثيراً من الأربطة التي شيَّدها وأوقفها أهل الخير لهذه الأغراض ، ولاتزال لهذه الأربطة بقايا في كل من مكة والمدينة وجدة ، وقد عقد الشيخ الغازي فصلا خاصاً عن الأربطة في مكة .

وقد وجدت فيما أورده عنها بعض الغرائب الخاصة في شروط الوقف فمن ذلك :

رباط الطبري :

رباط الحافظ أبو عبدالله بن منده ملاصق لزيادة دار الندوة ويعرف في وقته برباط الطبري وقد أوقفه بانيه على القادمين من أصفهان أربعين يوماً ، وعلى سائر الناس عشرة أشهر وعشرين يوماً .

أقول : الأربعون يوماً التي خصصت لأهل أصفهان لابدَّ وأن تكون في أيام الحج حين قدومهم حاجين الى مكة المكرمة[1] .

رباط رامشت :

عند باب الحزورة ، ورامشت هو الشيخ / أبو القاسم واسمه ابراهيم بن الحسن الفارسي وقفه على جميع الصوفية الرجال دون النساء أصحاب المرقعة من سائر العراق وتاريخه سنة تسع وعشرين وخمسمائة[2] .

أقول : كانت بدعة التصوف في ذلك الزمان منتشرة في العالم الاسلامي ، وكان بعضهم يلبس ملابس خاصة يعرفون بها ، وكل هذه البدع بعيدة عن صفاء العقيدة وتوحيد العبادة لله تعالى .

---

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٤٤٦ .

(٢) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٤٦٧ .

رباط الشيخ / غياث الدين :

وموقعه قبالة باب الصفا ، أمر بانشائه السلطان شاه شجاع صاحب بلاد فارس ويقال له رباط الشيخ غياث الدين الأبرقوهي لتوليه لأمره وعمارته ، وتاريخ وقفيته سنة سبعمائة واحدى وسبعين ، وهو وقف على الأعاجم من بلاد فارس المجردين دون الهنود[1] .

الرباط العباسي :

وهو بالمسعى عند العلم الأخضر ، وكان مطهرة انشأها الملك المنصور لاجين المنصوري ، وقد حوله الى رباط الملك الناصر قلاوون الألفي[2] .

مصير الأربطة :

نقل الغازي عن الشيخ الصباغ بعد أن أورد أسماء الأربطة الكثيرة في مكة مايلي :

قلت لم يعرف الآن شيء مما ذكر ، وقد توالت عليه الأيدي ، والموجود الآن شيء قليل منها . . . الخ[3] .

رباط البصري :

نقل الغازي عن الطبري في اتحاف فضلاء الزمن مايلي :

وفي سنة ألف ومائة واحدى وثلاثين بنى الشيخ / سالم بن عبدالله البصري رباطاً وجعل له ثلاث طبقات ، في كل طبقة عشرة خلاوي ومحل زائد لشيخ الرباط ، وأوقفه على آل باعلوي وأرسل الى ـ الكرزار ـ أني قد بنيت رباطاً وأريد منكم المعونة فأجروا لنا في بندر جدة لكل خلوة قرش ، وقرش للزيت ، وأربع قروش للسقا ، تأخذ كل سنة من بندر جدة[4] .

* * * *

---

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٤٦٨ .
(٢) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٤٦٩ .
(٣) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٤٧٠ .
(٤) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٤٧٤ .

ذكر من دخل مكة والمدينة من النصارى والافرنج

ذكر الغازي ما ذكره الأزرقي عن سيل الجحاف الذي دهم الناس بمكة صباح يوم التروية من سنة ثمانين للهجرة قبل الفجر ، وما أحدثه هذا السيل من الفزع فقد امتلأ الوادي بالماء وهدم البيوت الشارعة على المسجد الحرام مما اضطر الناس للاتجاه الى الجبال خشية على أنفسهم ، وكان هذا السيل في خلافة عبدالملك بن مروان ، فلما علم بأمره بعث الى عامله مالاً كثيراً لاصلاح البيوت التي تخربت ، ولعمل ضفاير لها وللمسجد الحرام ، وبعث مهندساً نصرانياً للقيام بهذا العمل كما هو موضح في صفحة ٤٧٩ من المجلد الثاني من افادة الأنام .

وعلى ذكر دخول هذا المهندس النصراني الى مكة ذكر الشيخ الغازي مقالة لأحمد زكي باشا سكرتير مجلس الوزراء في مصر ، في ذِكْرِ من زار مكة والمدينة من نصارى الافرنج وهذا نصها :

قد تمكَّن طائفة من الافرنج من دخول الحجاز ـ ومن زيارة البقاع المقدسة والأماكن المطهرة ، ولكنهم لم يكتبوا عنها « بالمرة » وإن كانوا كتبوا فمن باب الاستطراد ، ومن هذه الفئة :

أولاً : الثلاثة النصاري الذين رآهم « نيبور » في مكة ، فقد روى أن ملاحاً انجليزياً توجه اليها في سنة ١١٧٥ للهجرة قاصداً أوربا عن طريق القسطنطينية ، وأن رجلا آخر أتى اليمن عن طريق مكة وركب البحر سراً الى الهند ، وأن تاجراً فرنسياً ذهب الى مكة لمعالجة أمير الحج بعد أن أعطاه الأمان على نفسه ، وعلى دينه ولكنهم اضطروه في أثناء الطريق الى الدخول في دين الاسلام .

ثانياً : توماس ـ اكيت ـ وهو عسكري اسكتلندي ـ أسره المصريون في محاربة الانجليز مع محمد علي الكبير بمدينة الاسكندرية سنة ١٨٤١ ميلادية ، ثم أسلم وانتهى أمره أن صار والياً على المدينة المنورة ، ثم قتل في محاربة الوهابين .

ثالثاً : انجليزي في الجيش الذي حارب محمد علي بالاسكندرية أيضاً فقد أسره المصريون ودخل الاسلام باسم عثمان ، وتمكن بدهائه من الاستحواذ على كل أموال سبيه المسلم وكان يجتهد في التوفيق بين التوراة والانجيل والقرآن .

رابعاً : الكابتن جورج فواسترسا ربر ، ذهب الى المدينة في سنة ١٢٣٩ رسولاً الى ابراهيم باشا القائد المصري ، وامتاز على من عداه من الأوربين الذين دخلوا الحجاز بأنه بقي محافظاً على زيه الأفرنجي ، ولكنه لم يقترب من أسوار المدينة .

أرسلته شركة الهند الشرقية ليهنىء ابراهيم باشا على انتصاراته ، ويعرض عليه مساعدة المراكب الانجليزية ، ثم عاد من ينبع وهو أول أوربي اجتاز شبه جزيرة العرب من الشرق الى الغرب .

سابعاً : الطلياني الذي لقي في سفره من الأهوال مالا يوصف ، وفي آخر الأمر ادعى الاسلام ، وتردد كثيراً بين مكة والمدينة وجمع له المسلمون اعانة تاجر بها فأصبح من ذوي اليسار ومشاهير التجار .

ثامناً : دوتي الانجليزي ، فقد كتب رحلته في الحجاز وما لاقاه من المشاق ولم - يرزأ - أحداً فرمي بل سيق الى الطائف والى جدة في خطب طويل .

تاسعاً : في سنة ١٢٠٠ للهجرة تمكن الدكتور المورسي الفرنسي من الحج ، وقد كان مقيماً في الجزائر ، وهو من الأوربيين الذين تمكنوا كل التمكن من زيارة الكعبة المعظمة ، وهو قد أسلم اسلاماً خالصاً لم يعتوره أدنى ريب .

عاشراً : اولاننس شارل هوبر ، فقد اقترب كثيراً من مكة ، عند عودته من - حائل - سنة ١٢٠٠ وشاهد الحرم وجباله عن بعد ، ثم تمكن بفضل مساعي خادمه من النجاة الى جدة ، وهو مدفون بها ، وقبره موجودٌ الى الآن في جبانتها ، وقد صوّره كور تلمون بالفوتوغرافية وطبعه في رحلته قال :

وهناك طائفة من الافرنج المستقلين المتظاهرين بالاسلام ، وقد كتبوا كثيراً أو قليلاً عن الحرمين الشريفين ، ودوّنوا ما شاهدوه في موسم الحج ، وما وصلوا اليه من المعلومات الصادقة أو البعيدة عن الحق وإليك بيانهم بحسب ترتيبهم التاريخي دون الشرح والتفصيل :

فأولهم حامل رايتهم الايطالي - بارتيما - فهو فاتح هذا الباب لكل من أتى بعده من الأفراد وكانت زيارته للحرمين في سنة ٩٠٨ للهجرة في أيام السلطان قانصوه الغوري ، وتسمى باسم يونس .

الثاني : الفرنسي تنسان لابان في سنة ٩٦٨ للهجرة .

الثالث : برهان الألماني - ويلد - في سنة ١٠١٦ للهجرة .

الرابع : الانجليزي جوزيف تبس في سنة - ١ -

---

(١) التاريخ غير واضح .

الخامس : الأسباني باديابيش في سنة ١٢٢٣ للهجرة ، باسم علي بك العباسي ، وتحصل على شهادة على أنه من الأشراف من سلالة العباسيين .

السادس : الألماني (أول ريخ جاسبار شتيرن) في سنة ١٢٢٤ للهجرة .

السابع : السويسري (جون لويس بوركهارت) في سنة ١٢٣٠ للهجرة وتسمى باسم الشيخ حاج ابراهيم وذكر الريحاني أيضاً في تاريخ نجد دخول هؤلاء الثلاثة أي (باديا ، أرريخ ، بوركهارت) فقال : ان ثلاثة من العلماء المستشرقين المستعربين دخلوا مكة يوم كان الوهابيون مستولين عليها ، أول هؤلاء رجل أسباني اسمه رولد موباديا ، انتحل نسباً وديناً عربياً وجاء من قادش عن طريق الجزائر الى الحجاز وهو علي بك العباسي الأمير المكرم والعالم المحترم رسول بونابرت الى البلاد العربية ، أجل قد جاء حاجاً مستكشفاً فنُظِرَ في جدة تحفّه الخدم والحشم وصار الى مكة المكرمة محرماً مثل من جاءوها من أهل نجد ، فدخلها في ٢٣ يناير ١٨٠٧ ميلادية الموافق أربعة عشر ذو القعدة ١٢٢١ للهجرة .

وقد شاهد جموع الوهابيين ، وحج معهم واعتمر ، وكان في ظاهره قحاً عربياً ومسلماً حقاً ، لا تعيبه كلمة يقولها ولا تخونه فعلة أو اشارة فما شكَّ أحد في دينه أو نسبه .

علي العباسي يصف الشريف غالب :

وقد وصف العباسي الشريف غالب أمير مكة في ذلك الزمن فقال :

انه في العقد الرابع من العمر وأنه على جهله ذو حصافة ودهاء ، رآه لأول مرة في مجلسه وهو يدخن النارجيلة التي كانت محجوبة خوفاً من الوهابيين ، ولم يرَ السائح الأوربي غير الأريج الذي كان يتصل من خُرْقٍ في الحائط بالنارجيلة (لعله يقصد اللي أو الأنبوب المتصل بالنارجيلة) ورآه في الغرفة المجاورة للمجلس ، والعباسي هذا كان عالماً يحمل في حقائبه أدوات الرصد والمساحة فاستخدمها في مكة وجوارها دون أن يعترضه أحد من الناس ، بل كان محترماً من الجميع ، وقد حاز فوق ذلك شرفاً لم يحزه سواه من المستشرقين ولا يحوزه إلا الأفراد القلائل من المسلمين ، ألا وهو شرف كناسة الكعبة ، ولكنه على ما يظهر لم يفلح حتى النهاية في تنكره ، فعندما قصد الى المدينبة زائراً صدُّه عنها الوهابيون ، فعاد الى ينبع ، ومنها الى مصر فباريس ، حيث اجتمع بنابليون ، وعين في حاشية أخيه يوسف بونابرت ، وقد عاد علي بك الى الشرق في سنة ١٨١٨ ميلادية ، فسافر من دمشق ليقوم برحلة ثانية الى البلاد العربية ولكنه وهو لا يزال في أول الطريق أصيب بالدسنتاريا فمات بالمزاريب .

ومن هؤلاء العالم الألماني الريخ زتش الذي قضى عشرين سنة يدرس ويتأهب لرحلته في الشرق ، فجاء سورية سنة ١٨٠٥ ، وأقام في الشرق الأدنى بضع سنين ثم سافر الى الحجاز في زي درويش اسمه الحاج موسى ، فدخل مكة حاجاً سنة ١٨١٠ وارتحل منها الى اليمن ، فزار صنعاء ، ونزل الى عدن ، وقد كان في نية ـ رتش ـ أن يجتاز شبه الجزيرة العربية الى الخليج

ليسوح في الشرق الأوسط « فعارض » عدن ووجهته الجبال ، ولكن عند مروره « بتعز » اعترضه بعض الناس وقد ارابهم أمره فقتلوه .

الثالث : من المستشرقين الذين ساحوا في الحجاز السويسري الشهير (بركهرت) المسمى بالحاج عبدالله ، صديق محمد علي ، جاء الى الحجاز عندما كان محمد علي هناك ، فنزل في جدة في ١٥ تموز ١٨١٤ ، وسار منها الى االطائف ثم رحل الى مكة المكرمة في ١٥ رمضان ١٢٣٠ الموافق ٤ أغسطس ١٨١٤ بعد استئذان صديقه العظيم ، وهو يومئذ سيد الحرمين فحجَّ مع من حجوا في ذلك العام ، وأقام في مكة ثلاثة أشهر ، ثم سافر الى المدينة فأدَّى الزيارة في أبريل سنة ١٨١٥ يوم كان محمد علي باشا هناك ولكنه مرض في المدينة ، فعاد الى القاهرة في ربيع ذلك العام ، وتوفي فيها وكان بركهرت في قيافته وفي اسلامه محترماً موقراً ، وقد قال يصف نعمة ـ الحج ـ بها ،«وماشعرت في مكان آخر بمثل الطمأنينة التي كنت أشعر بها وأنا في مكة» انتهى .

قال الشيخ / أحمد زكي باشا :

الثامن : الطلياني (جوفاني فيناتي) في سنة ١٢٣٠ للهجرة باسم الحاج محمد .

التاسع : ليون ردش في سنة ١٢٥٧ باسم الحاج عمر .

العاشر : الفرنسي (دكوبريه) في سنة ١٢٥٧ باسم الحاج عبدالحميد .

الحادي عشر : الفنلندي (جورج أغسطوس دالين) في سنة ١٢٦١ باسم ولي الدين .

الثاني عشر : الانجليزي سير ريتشارتن في سنة ١٢٦٩ باسم الحاج عبدالله .

الثالث عشر : الألماني هريش ديهرماترذ في سنة ١٢٧٦ باسم سيد عبدالرحمن .

الرابع عشر : الانجليزي هرمن بيكبل في سنة ١٢٧٨ باسم الحاج عبدالواحد .

الخامس عشر : الانجليزي جون دركين في سنة ١٢٩٤ باسم الحاج محمد أمين .

السادس عشر : الهولندي (ك سنوك هورخرونيه) في سنة ١٣٠٣ باسم عبدالغفار .

يقول أحمد زكي باشا وهو صديقي ومن كبار المستشرقين ولا يزال موجوداً الى الآن .

أقول : وقد ألف سنوك هذا كتاباً عن رحلته الى مكة وقامت مشكورة بنشره وترجمته جامعة أم القرى بمكة المكرمة وعنوان الكتاب « مكة المكرمة في نهاية القرن الثالث عشر الهجري » .

وهو من أهم الكتب التي تصور الحياة في مكة في زمنه .

السابع عشر : الفرنسي خرفي كور تلمون في سنة ١٣١١ باسم عبدالله .

يقول عنه أحمد زكي باشا وقد تعرف بي عند رجوعه الى القاهرة (١) كثيراً ولا يزال على قيد الحياة .

الثامن عشر : السويسري الدكتور هيس في سنة ١٣٣٨ ولا يزال باقٍ الى الآن ينفع بعلمه الواسع خصوصاً فيما يتعلق ببلاد العرب وأهلها ، وهو من الأصدقاء ومن كبار المستشرقين

---

(١) الكلمة غير واضحة .

وهو أكبر من رحل الى الحجاز من الافرنج . انتهى ما ذكره أحمد زكي باشا[١] .

وفي المجلد الأول من مجلة المنار ص ٧٨٣ في سنة ١٨٠٥ ميلادية تمكن الفرنسي ـ روش ـ وكان مترجماً لدى الأمير عبدالقادر الجزائري من الدخول الى مكة بصفته وبزي عربي ، وعرض على أمير مكة الشريف محمد بن عون أنه وافد من قبل الأمير ليحصل على التصديق من علماء العرب على فتوى أفتى بها علماء مصر والقيروان .

وسافر من مكة للطائف ، ولدى عودته بمكة للحج دَلَّ عليه بعض الحجاج الجزائريين فكشفوا خبره وقبضوا عليه وساقوه الى السجن والناس حوله تحاول الفتك به .

فسلمه شريف مكة كتاب أمان وبعض نفقة يستعين بها على سفره وأشخصه الى جدة .

وفي سنة ١٨١٤ أو ١٨١٥ احتال السائح السويسري بوكهارت حتى دخل مكة والمدينة ورجع مزوداً ببعض المعلومات عن حالة البلاد الجغرافية ، وعن أهلها وتظاهر في آخر أمره بالاسلام وعليه مات ، وقبره بمصر وعليه اسمه هكذا ـ عبدالله بوكهارت المشهور عند العامة باسم الشيخ بركات ـ انتهى .

وفي الرحلة الحجازية لمحمد لبيب البتنوني تحدث عن الافرنج الذين رحلوا الى الحجاز فقال عن بوركهارت أنه سويسري لوزاني المولد وفد الى مصر ودخل الأزهر بعد أن ادعى الاسلام ، وسمى نفسه ابراهيم المهدي ، وتعلم في الأزهر العربية ، ثم سافر الى بلاد العرب وأقام بها نحو سبع سنين ، وكتب عنها كتابه ، الذي هو أحسن ما كتبه الفرنجة خصوصاً في صفة بلاد العرب وقبائلها ومات في مصر على زيه الاسلامي [٢].

* * * *

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٤٨٠/ ٤٩٠ .

(٢) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٤٩٤/ ٤٩٥ .

أصناف العملة بمكة وأسعارها

صرف القرش بأربعين ديواناً ، والأحمر بقرشين ، والمشخص بأربعة قروش ، والريال بقرشين وثمن .

كانت هذه الأسعار في سنة ١١٤٠ كما نقل الغازي عن خلاصة الكلام[١] .

اورد الشيخ عبدالله الغازى فى الفصل الخاص بأحوال المعيشة وغلائها فى مكة المكرمة قصيدة للشيخ زين العابدين بن أحمد الشماع هذا نصُّها :

الحمد لله مبيد الدهور ... عالم ما يخفى بطي الصدور
مسيِّر الأفلاك في أفقها ... ومجريَ الفلك بماء البحور
فقد جرى في مكَّةٍ محنةٌ ... قد عمَّت الدنيا وفي كل دور
جرى غلاءٌ ما سمعنا به ... ولا مضى في سابقات العصور
قد أذهب الأرواح حتى لقد ... ضاقت على الموتى فسيح القبور
وقد غدى من عظم أهواله ... كل فتىً منا عديم الشعور
أقام في أم القرى ماكثا ... ثلاثة أعوام وأدنى شهور
وبعد ما حلَّ بنا وانقضى ... وارتحل الهم ووافى السرور
قامت حروب نارها تلتظي ... ينفر منها الطبع كل النفور
وقتلة ما قد جرى مثلها ... في سُوْحِ بيت الله بادي الظهور
من رمم القتلى وأشباهها ... قد شبع الوحش وبعض الطيور
وها هي الآن وقد بدت ... تشعل نارا مالها من فتور
وأغنا كلها لنا مثل ما ... رواه خير الرسل وافي النذور
ونسأل الرحمن سبحانه ... يفرِّجُ الكرب ويمحو الشرور
وعامنا قد صح تاريخه ... ألا إلى الله تصير الأمور

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٥٦٥ .

يقول الشيخ / الغازي في هذا الصدد ما يلي :

وفي عاشر جمادي الآخرة سنة ١١١٨ أخذ الأشراف قافلة كبيرة من جدة ولم يفزع لها أحد من جانب الشريف ، وانما الشريف عزم على الركوب عليهم ، وَرْفعِهِمْ عن الطريق فأرسل يستصرخ عرباً وأرسل ـ لايوز بك ـ يطلبه بعض مدافع فامتنع أن يعطيه وقال :

أنا لا أستغني عنها ، فأمر بفتح بيت سليمان باشا لأنه بلغه أن في الدهليز أربعة مدافع مدفونة وكان الأمر كذلك ، فأخرجها ، وأخرج أيضاً من البيت بَطَّةً ملآنة بارود ، واشتد الكرب ، وعزَّ كل شيء من الأقوات وغيرها من حطب وفحم وملح لانقطاع الطريق ، وقد أرَّخ هذه السنة الأديب الشيخ/ زين العابدين بن أحمد الشماع بالقصيدة التي أوردناها آنفا(١) .

أقول : كانت امارة مكة محل تنازع شديد بين الأشراف فقد وليها الشريف عبدالكريم بن محمد بن يعلي بدلاً من الشريف سعيد بن سعد بعد أن حصل على أمر من السلطنة العثمانية له بها ودخل مكة في السادس من شعبان سنة ١١١٧ ولكن الشريف سعيد جمع جموعاً من العربان قاصداً مهاجمة مكة ، وخرج الشريف عبدالكريم لملاقاته ـ بالمليساء ـ قرب الطائف ، واقتتل الفريقان وانهزم الشريف سعيد في هذه المعركة ، وانسحب الى لِيَّةَ من ضواحي الطائف .

وكانت الأحوال مضطربة بسبب الاقتتال بين الأشراف على الامارة ، وتداولها بينهم وقد انعكس ذلك على الحالة العامة ، ففي موسم حج عام ١١١١ ، حصلت مشاجرة بين المحمل الشامي والمحمل المصري تبودل فيها اطلاق الرصاص بين الفريقين في يوم عرفة .

ومن المؤكد أن هذه الأحوال قد أثَّرتْ على حالة الأمن لانقطاع الطريق وشُحِّ الغذاء ، وهو الأمر الذي صوره الشيخ زين العابدين في قصيدته التي أوردناها آنفا(٢) .

* * * *

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٥٨١/٥٨٤ .
(٢) انظر تفصيل ذلك في كتاب خلاصة الكلام ص ١٩٨ وما بعدها .

قطع الطريق على الحجاج

ذكر ابن فهد في حوادث سنة خمس وخمسين وثلاثمائة ما نصه :

وفيها نهبت بنو سليم حاج مصر والشام ، وكانوا عَالَماً كثيراً وأخذ جميع ما كان معهم من الأموال ، وكان مالاً لا حدَّ له ، لأنَّ كثيراً من الناس من أهل الثغور والشام هربوا خوفاً من الروم بأموالهم وأهليهم وقصدوا مكة ليسيروا منها الى العراق فأخذوا وقتل أمير الركب وهلك من الناس مالا يحصى ، وتمزقوا في البراري ، ولم يسلم إلا القليل ، ورَدَّ على الحاج بعض ما أخذ منهم في السنة التي بعدها[1] .

العرب يضعون الحنظل في المياه للحجاج :

وقال ابن فهد أيضاً في حوادث سنة خمس وتسعين وثلاثمائة وفيها أصاب حاج العراق رياح وأهوال ، وطرحت العرب من خفاجة الحنظل في المياه فهلكوا عطشاً ثم أخذوهم ونهبوهم[2] .

أمير مكة محمد بن أبي هاشم ينهب أموال الحجاج :

وفي درر الفرائد ، وفي سنة ست وثمانين وأربعمائة حج الناس من الشام ، فلما قضوا حجهم وعادوا سائرين ، أرسل اليهم أمير مكة محمد بن أبي هاشم عسكراً فلحقوهم بالقرب من مكة ، فنهبوا كثيراً من أموالهم وجمالهم ، فعادوا مستغيثين به وأخبروه ، وسألوه أن يعيد اليهم ما أخذ منهم ، وشكوا اليه بُعْدَ ديارهم فلم يغثهم بما فيه كبير جدوى ، وأعاد بعض ما أخذوا منهم ، فلما ايسوا منه عادوا من مكة على أقبح صفة ، فلما بعدوا عن مكة ، ظهر عليهم جموع من العرب في عدة جهات ، فضايقوهم على مال أخذوه من الحاج بعد أن قتل منهم

---

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٦٠٤/٦٠٥ .

(٢) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٦٠٥ .

جماعة وافرة ، وهلك كثير بالضعف والانقطاع وعاد السالم منهم على أقبح صورة ، وفي حالة عجيبة[١] .

نهب الحجاج بالحرم الشريف :

وفي سنة تسع وثلاثين وخمسمائة نهب أصحاب هاشم بن فليتة أمير مكة ، نهبوا الحجاج بالحرم الشريف وهم يطوفون ، وذلك لفتنة كانت هناك بين أمير الحج وبين هاشم أمير مكة ، كذا في تحصيل المرام[٢] .

أقول : وقعت الفتنة بين هاشم بن فليتة أمير مكة وبين أمير الحج العراقي فنهب أعوان أمير مكة الحجاج العراقين وهم يطوفون بالكعبة المعظمة .

وقد دامت ولاية هاشم بن فليتة بمكة الى سنة ٥٤٩ ، وقيل الى سنة ٥٥٩[٣] .

أعراب بني زغب يقاتلون حجاج العراق وينهبونهم :

وفي سنة أربع وأربعين وخمسمائة كان قيماز الارجواني أميراً للحاج العراقي ، فلما وصل الحاج العراقي الى مكة طمع أمير مكة فيهم واسترزى بقيماز ـ لعله يقصد أنه ازدراه واستضعفه ـ فطمع العرب ووقفوا في الطريق وبعثوا يطلبون رسومهم فقال قيماز للركب « المصلحة أن يعطوا ونكتفي شرهم » فامتنع الركب من ذلك فقال لهم : فاذا لم تفعلوا فلا تزوروا هذه السنة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستغاثوا عليه فقالوا نمضي الى سنقر فنشكوه ، فسار بهم الى أن وصلوا الى مضيق بين مكة والمدينة ، فخرج عليهم العرب من بني زغب بعد عصر يوم السبت الرابع عشر من المحرم من سنة خمس وأربعين وخمسمائة فقاتلوهم وتكاثر العرب وظهر عجز قيماز عنهم ، فطلب لنفسه أماناً ، واستولوا على الحجاج فأخذوا من الثياب والأموال والحجاج مالا يحصى وأخذوا من الدنانير ألوفاً كثيرة ، فتحدث جماعة من التجار أنه أخذ من هذه عشرة آلاف ، ومن هذا عشرون ألفاً ، ومن هذا ثلاثون ألفاً ، وأخذ من خاتون أخت مسعود ما قيمته مائة ألف دينار ، وتقطَّع الناس وهربوا على أقدامهم يمشون في البرية ، فماتوا من الجوع والعطش والعري ، وقيل أن النساء طيَّنَّ أجسادهن لستر العورة ، وما وصل قيماز الى المدينة إلا في نفر قليل وتحملوا منها الى البلاد ، وأقام بعضهم مع العرب حتى توصل الى البلاد .

كذا في أتحاف الورى في أخبار أم القرى[٤].

---

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٦٠٧/٦٠٨ .
(٢) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٦٠٨ .
(٣) خلاصة الكلام ص ٣٣ .
(٤) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٦٠٨/٦١٠ .

القتال بين أمير الحج وصاحب مكة :

وفي سنة خمسمائة وست وخمسين حج الناس فحصلت فتنة وقتال بين صاحب مكة وأمير الحج فرحل الحجاج ، ولم يقدر بعضهم على طواف الافاضة .

قال ابن الأثير : وكان ممن حج ولم يطف جَدَّتُه أمُّ أبيه ، فأتت في العام المقابل وطافت وأحرمت بحجة أخرى وأهدت . انتهى .

ذكره أبو الفداء كذا في تحصيل المرام[1] .

عساكر مصر يخرجون أهل مكة من بيوتهم وينهبون القوافل :

وفي سنة تسعمائة واثنين وثلاثين ورد من مصر سليمان الريس متوجهاً الى اليمن ومعه نحو أربعة آلاف عسكري جهزهم الوزير الأعظم ابراهيم باشا صاحب مصر لأخذ اليمن مدداً لمن سبق من الباشوات فوصلوا جدة في شهر رمضان من السنة المذكورة ، وصار العسكر يتعرضون العرب بالنهب فانقطعت الميرة عن مكة بسبب ذلك ، وحصل بها غلاء لذلك ، ثم وصلت طائفة من العسكر الى مكة وأخرجوا الناس من بيوتهم وسكنوها ، وكثر أذاهم ، فسلطت عليهم العربان وقتلتهم في طريق جدة ، وأينما وجدوهم ، الى أن قتلوا تاجرين عظيمين من تجار مكة ظناً بهم أنهم من العسكر فأمر الشريف حسن العربان بعدم القتل ، لكن بعدما ألحَّ فيهم القتل ، وامتلأ طريق جدة من رممهم ، فبعث الشيخ الشيخ محمد بن عراق جماعته فدفنوا مافي الطريق من جثث القتلى ، ولما كثر العسكر المذكور بمكة نصبوا بيارقهم بالمسجد الشريف من باب السلام الى باب علي ، فشكى الناس ذلك الى الشيخ محمد بن عراق ، فجلس الشيخ في المسجد ودعى الأمير خير الدين وبعض رؤساء العسكر ونهرهم وأمرهم بالخروج من بيوت الناس فأكبُّوا على رجليه يقبلونها وقالوا : قصدنا الحج ونتوجه فقال لهم : اذهبوا الى منى ، فإن بها بيوتاً خالية فاسكنوها ، فامتثلوا أمره ، وخرجوا الى منى ، وقتلوا بعض المسئولين منهم امتثالاً لأمر الشيخ محمد[2] .

القتال بين أمير الحج المصري وبين أهل ينبع :

في سنة سبعين ومائة وألف ، كان أمير الحج المصري محمود درويش بك ابن دفتردار مصر سابقا ، وحصل بينه وبين أهل ينبع قتال عظيم وقتل منهم كثيراً ، ونهب السوق وشال الحج وتوجه حين الوقعة ، وكانت شديدة الحر ومات بها خلق كثير ، وأيضاً مات من البهائم شيء عظيم .

---

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٦١٠/٦١١ .

(٢) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٦٢٦/٦٢٨ .

وفي عودته من المدينة توجه الحج الشامي عن طريق الشرقية حتى طلع على ـ مُكْرَهْ ـ وحصل له مشاق كثيرة من الحرّ وموت الخلائق والبهائم ، ثم نهب الحج الشامي بأجمعه حتى انهم أخذوا المحمل عن آخره ، واجتمعت عليه العربان من كل محل ومكان(١) .

قبيلة حرب تقطع الطريق وتقاتل أمراء الحج :

نقل الغازي عن تاج تواريخ البشر القصة التي أوردها السيد جعفر البرزنجي عن قبيلة حرب ومشايخها الذين كانوا يقطعون طريق الحجاج وينهبونهم ويقاتلون أمراء الحج نلخصها فيما يلي :

في حج سنة ١١٧٥ جمع شيخ مشايخ قبيلة حرب،عيد الظاهري الجموع الكثيرة من العربان حتى قيل أنه اجتمع معه نحو سبعين قبيلة من البادية كانوا يقطعون الطرق وينهبون الحجاج ويعيثون في الأرض فسادا وقد قام عيد الظاهري هذا بمتابعة الحج الشامي بمن معه من القبائل الى أن وصلوا الى تبوك فحصرهم فيها ، وبقي الحجاج محاصرين بها مدة ستة عشر يوما وأرسل أمير الحاج الشامي يستنجد بأمير الشام ليرسل اليه فرقة من جنود الدولة العلية ، ولكن والي الشام لم يسعف أمير الحج ، ولم يستجب لطلب النجدة ، وكانت الشام نفسها أحوالها غير مستقرة وعلم أمير الحاج الشامي أن طلبه لم يجب فقرَّر مغادرة تبوك بمن معه من الحجاج وغادرها في منتصف الليل وأحسَّت قبائلٍ حرب بتحرك ركب الحاج الشامي فساروا خلفهم ، فلما أحس أمير الحج أن الأعراب يحفُون بالركب أمر بالتوقف لقتالهم ونشبت الحرب بين الطرفين ، وقتل خلق كثير من الجانبين .

وحدث أن اعثرت فرس أمير الحاجِ فوقع الى الأرض فظنَّ من حوله من الحجاج أنه قتل فشاع أمر مقتله بين الحجاج ، فدبَّ فيهم الجزع وانهزموا ، وقتل غالبهم ونهب جميع متاعهم ، وهتكت أستار المخدرات ، وأسرت النساء والبنات أو تمزقوا كل ممزق .

يقول الراوي : وبلغ عيد الشقي العنيد ما أمَّله ، واستحوذ هو وجنوده على جميع أموال الحجاج ، وخيلهم ورجلهم ، ورجع بالغنائم وتفرَّق من بقي من الحجاج في كل طريق .

أما أمير الحاج الشامي الذي ظن به القتل فقد لجأ الى قرية قريبة واعتصم بها .

السلطان العثماني يهتم بالأمر :

وصلت أخبار هذه المقتلة التي وقعت من قبائل حرب على الحجاج الى الاستانة ، وصادف هذا تولي السلطان مصطفى الثالث بعد وفاة والده السلطان أحمد الثاني في عام ١١٧١ فغضب السلطان واهتم بالأمر أعظم اهتمام ، واستشار وزراءه فوقع الاختيار على الوزير عبدالله باشا الحسبه جي ، نسبة الى قرية من قرى ديار بكر ، فأسندَ اليه السلطان ولاية الشام وإمارة

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٦٤١/٦٤٢ .

الحج ، ووصل الوالي الجديد وباشر مهام ولايته ، ولما وصل الى المدينة المنورة في طريقه الى مكة أرسل اليه عيد الظاهري شيخ قبيلة حرب ابن عمه برسالة يقول فيها :

انه مقيم على الطاعة للدولة العثمانية ويطلب من الوالي صرف العوائد المقررة له ولقبيلته ، ومقدار هذه العوائد ألف قرش باسمه وخمسة آلاف باسم قبائل حرب ، وأجاب الوالي على رسالة عيد هذا بأنه مسرور لاقامته على هذه الطاعة ووعده بصرف العوائد المقررة بعد عودته من الحج كما جرت العادة بذلك .

ولكن عيداً لم يقبل من الباشا هذا التسويف وترددت الرسل بينه وبين الوالي دون جدوى ، وتحرك الوالي من المدينة المنورة يقصد مكة بمن معه من حجاج الشام ولكن عيداً ومع من معه من الأعراب كمنوا لهم في وادي الصفراء ، وأرسل اليهم عيداً رسوله يقول :

لا نسمح بمروركم حتى تصرفوا العوائد ، ولم يستجب الباشا لطلبه ، فقام عيد ومن معه باطلاق الرصاص على العساكر والحجاج ، وكان أمير الحاج مستعداً لملاقاته فنشبت المعركة بين الطرفين ، ولم تمض ساعة ونصف الساعة إلا وكان قد قتل من قبائل حرب سبعين قتيلاً بينهم شيخهم عيد .

وأسر منهم عددٌ آخر ، وتفرق جمع الأعراب ، وواصل الباشا سفره الى مكة المكرمة فبلغها في أمان ، ولقي الباشا في مكة أميرها سعيد بن سعد بن زيد الذي أشار على الباشا بأن يسلك في عودته الى المدينة المنورة طريق الفرع .

ولم تستسلم قبائل حرب للهزيمة التي نزلت بها فولوا عليهم ابن شيخهم القتيل في المعركة .

وجمعوا القبائل من كل حدب وصوب ، وقطعوا الدروب على سالف عاداتهم ورصدوا عودة الحج الشامي ، فطمّوا الآبار التي في الطريق ، وغوّروا المياه واستطاع أمير الحج الشامي الوصول بالركب الى المدينة المنورة من الطريق الذي سلكه بأمان .

وبعد أن بقي بها ثلاثة أيام خرج لملاقاة قبائل حرب بعساكره فسار اليهم حيث كانوا بالخيف ونشبت بينهم معركة عظيمة استمرت ثلاثة أيام .

واستعملت فيها المدافع وهزمت قبائل حرب هزيمة منكرة قتل فيها شيخهم ابن عيد وأربعة عشر من مشايخ القبائل المشاركة في القتال وعاد الباشا الى الشام مكللاً بالنصر بعد أن عين شيخاً لقبائل حرب ممن يدينون بالطاعة والولاء للدولة العثمانية وكانت هذه الوقعة في عام ١١٧٦ .

يقول الشيخ الغازي : وقد أفرد لها تاريخاً الفاضل السيد جعفر البرزنجي لخصت منه القصة سماه « البعث الفرجي » .

ونقل الغازي ذلك عن تاج تاريخ البشر للحضراوي[1] .

---

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٦٤٢/٦٥٠ .

الدولة العثمانية تمنع بيع الرقيق فى الحجاز

في سنة ألف ومائتين واثنين وسبعين صدر الأمر من الدولة العثمانية الى كامل باشا والي جدة يمنع بيع الرقيق في جدة ومكة ، وأبلغ والي جدة ومكة بهذا الأمر ، وكان هذا الأمر تنفيذاً لاتفاق بين الدولة العثمانية وبعض الدول الغربية[1] .

جمع قائم مقام الوالي بمكة دلالي الرقيق وأبلغهم الأمر الصادر بمنع الرقيق من الدولة العثمانية .

اضطرب الناس في مكة لذلك واجتمع جماعة من طلبة العلم عند رئيس العلماء الشيخ جمال ، محتجين بأن هذا المنع يخالف الشرع الذي أجاز بيع الرقيق واتفق رأي المجتمعين أن يذهبوا الى قاضي الشرع بمكة ويخبروه باعتراضهم ليقوم القاضي بابلاغ الوالي كامل باشا بذلك ، ليتولَّى هو مراجعة الدولة في الأمر .

وفي مسيرة المعترضين الى القاضي تجمَّعت معهم جموع من العامة والغوغاء حتى وصلوا الى بيت القاضي ففزع لرؤية الجموع الغفيرة فدخل هارباً منهم الى بيت الحريم .

ازداد هيمان الناس واضطرابهم ، ورأى عساكر الضابطية في دار الحكومة تجمع الناس وهيجانهم ، وكان بعضهم يحمل السلاح وينادي بالجهاد فقام العسكر من جانبهم بمواجهة هذه الجموع ، وتطوَّر الأمر الى اطلاق الرصاص من الجانبين وثارت بسبب ذلك فتنة عظيمة في أسواق مكة وطرقاتها ، وتبادل العسكر وبعض الناس اطلاق الرصاص في المسجد الحرام ، وقتل بعض الناس من جرَّاء هذه الفتنة العمياء .

شريف مكة يتدخل لاطفاء الفتنة :

فزع الناس الى الشريف منصور بن الشريف يحيى بن سرور في داره وأخبروه بواقع الحال ، فأمر منادياً ينادي في مكة يأمر الناس بالكف عن القتال والهدوء ، وأمر العساكر

(١) انظر ما كتبه السباعي في تاريخ مكة ص ٥٣٢/٥٣٤ .

بالرجوع الى القلعة والبقاء فيها ، وقام الشريف عبدالله بن ناصر بادخال بعض العساكر في دار الشريف محمد بن عون ، وتم اطفاء الفتنة[1].

أقول : ان الرقيق الذي أباح الشرع بيعه هو الرقيق الذي يسلبه المسلمون في حرب جهادية ، أما الرقيق الذي كان منتشراً التداول فيه بالبيع والشراء ، فلم تكن تنطبق عليه هذه الشروط ، لأنَّ هؤلاء الأرقاء كان يسرقون من ديارهم وأهليهم ويؤخذون ليباعوا في البلاد الأخرى ، وكان الواجب على القاضي الاستماع الى الناس بدلاً من الهرب منهم .

وكان الواجب على العلماء ارشاد الناس الى حقيقة الوجه الشرعي في الأمر ومعالجة المسألة بالهدوء والحكمة ، فقد كان بيع الرقيق وشراءه منتشراً منذ عشرات السنين ، والناس تدفع فيه الأموال الكثيرة وهم يظنون أنه بيع شرعي لا شبهة فيه وكان يجب التمهيد لذلك باظهار حقيقة حكم الشرع في هذا الأمر ، وتحبيب الناس القادرين على عتق الرقيق الذي يملكونه .

والى جانب ذلك ترصد الدولة مبلغاً من المال لتعويض الناس أثمان رقيقهم وتتولى هي عتق الرقيق ، كما فعلت الحكومة السعودية في عهد الملك فيصل بن عبدالعزيز رحمه الله ، في حوالي سنة ١٣٨٣هـ وبذلك وضعت نهاية لبيع الرقيق وشرائه وخلصت البلاد من هذه العادة السيئة واللاانسانية .

****

---

(١) نفس المصدر ص ٦٥٠/٦٥٣ .

شورة القبورى بمكة

في شهر شوال من عام ألف وثلاثمائة وست وعشرين حدثت بمكة فتنة كادت أن تفضي الى محنة عظيمة وخلاصة أسبابها أن الدولة العثمانية كلفت أحمد القبوري ـ وهو الذي كان يتولى حفر القبور للموتى ودفنهم ـ بتعمير الجدار المحيط بالمقابر منعاً لرواد القهاوي المحيطة بمقبرة المعلاة من استعمال هذه القبور لقضاء حاجاتهم ، كما أمر القبوري باعمار القبور المتهدمة ، وأن يصرف على بناء الجدار وعمارة القبور المتهدمة مما يستوفيه من الناس الذين يدفنون موتاهم .

وعمد أحمد القبوري الى زيادة ما يتقاضاه على عمله زيادة كبيرة وشاع بين الناس أن الحكومة فرضت للقبوري خمسة ريالات مجيدية على كل قبر يأخذ منها لنفسه ريالاً واحداً ويستعمل الريالات الأربعة لبناء الجدار وتعمير القبور .

وجاءت جنازة أحد الفقراء من التكارنة ، فلما طالبهم القبوري بالمبلغ ، امتنعوا وتضاربوا وقصدوا الى دار الحكومة بالحميدية ، واغتنم السفهاء من الناس هذه الفرصة فانضموا الى القوم وساروا من المقبرة الى دار الحكومة وهم يصيحون باطل ، باطل ، أن تفرض الحكومة ضريبة على دفن الموتى مقدارها خمسة ريالات ، وسارت جموع الناس محتجين الى دار الوالي ، وحينما سمع الوالي بالأمر نفى أن يكون قد أصدر أمراً بذلك ، ولكن الغوغاء أشاعوا الفتنة والاضطراب ، وهجموا بالسلاح على دار الحكومة وعلى بعض المواقع العسكرية ، وجرى اطلاق الرصاص فيما بين الصفا وباب الوداع بالمسجد الحرام ، وقتل في هذه الموقعة بعض الأهلين وبعض العساكر ، ولم تخمد الفتنة إلا بعد أن تدخل بعض الأشراف ووكيل الامارة لاخمادها ، وشارك في ذلك بعض أعيان مكة .

وقامت الحكومة بالقبض على أحمد القبوري ، وعشرين من أعوانه ، واتهم محمد علي بن عبدالواحد الذي كان كاتباً للشريف عون أولاً ، ثم كاتباً للشريف علي في مدة امارته ، اتهم

بأن له يداً في تدبير هذه الفتنة ، فقبض عليه ، ونفي هو والقبوري وأعوانه الى الاستانة وسجنوا هناك مدة ، وقد توفي محمد علي عبدالواحد في الاستانة ، ثم رحل القبوري وجماعته الى بيروت لمحاكمتهم بها ، ثم أطلق سراحهم وعادوا الى مكة بعد سنة من ترحيلهم عنها[1] .

* * * *

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٦٥٣/٦٥٦ .

الضرائب على الحجاج

كان أمراء مكة قد فرضوا لأنفسهم ضرائب نقدية يتقاضونها من الحجاج القادمين الى مكة للحج أو للعمرة ، وكانت هذه الضرائب تستوفى بميناء عيذاب من الحجاج القادمين عن طريق البحر ، ومن لم يُؤَدِّ هذه الضريبة منهم تستوفى منه في مدينة جدة حين وصوله اليها ، وكان مقدار الضريبة سبعة دنانير مصرية على كل انسان وتمَّ ابطال هذه الضرائب في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي ولذلك قصة ذكرها مؤرخو مكة قالوا :

ان الشيخ علوان الأسدي الحلبي حضر الى جدة للحج ، فلما وصل الى جدة طولب بالضريبة فامتنع وأراد الرجوع من حيث أتى ، ويبدو أن الرجل كان اسمه معروفاً ، فخشي وكيل الأمير مكثر بن عيسى صاحب مكة من العاقبة ، واستمهل الشيخ علوان ، حتى يبلغ الأمير بأمره ، وحينما أبلغ مكثر بذلك ، أمر باعفاء الشيخ ومن معه جميعاً من الضريبة ، ولما وصل الشيخ علوان الى مكة اجتمع به الأمير مكثر وقال له :

اننا مضطرون لفرض هذه الضرائب لأن واردات مكة لا تفي بالمصاريف اللازمة لها فكتب الشيخ علوان الى السلطان صلاح الدين بالأمر ، فأمر السلطان صلاح الدين بابطال الضرائب لقاء أن يرسل الى مكة في كل عام ألفين من الدنانير وألفي أردب قمح ، وقيل مقابل ثمانية آلاف أردب من القمح ، وقيل إن الذي فرض هذه الضريبة لأمير مكة على حجاج المغرب الخلفاء العبيديون الذين تولوا الخلافة بمصر[1] .

وربما كانت هذه الضريبة من الدنانير على الحجاج ، فقد ورد أنه كانت هناك ضرائب أخرى تؤخذ بمكة من الحب والتمر والغنم والسمن ، ورفعت هذه الضرائب في زمن السلطان حسن بن قلاوون صاحب مصر ، يقول الفاسي في شفاء الغرام :

---

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٦٦١/٦٦٢ .

وفي سنة ستين وسبعمائة رسم السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسن بن قلاوون باسقاط المكوس من مكة ، ورتّب لصاحب مكة ثمانية وستين ألف درهم من بيت المال بمصر وألف أردب حبٍّ ، وقرر ذلك في ديوان السلطان المذكور وأمضى ذلك الولاة بالديار المصرية الى تاريخه ، وكتب بذلك في أساطين المسجد الحرام جهة باب الصفا وغيره ، فطابت نفس أمير مكة المشرفة وعمل به هو ومن بعده من أمراء مكة . انتهى[١] .

بيان المكوس المقررة :

وأورد الغازي نقلاً عن كتاب المنتقى بيان المكوس التي كانت تؤخذ على البضائع الواردة الى مكة المكرمة على الصورة التالية : مُدُّ حَبٍّ جُدِّي ، وهو مُدَّانِ مكيين من كل جمل حب يصل من جدة ، ومُدُّ مكي وربع مكي من كل جمل حب يصل من جهة الطائف وبجيلة ، وثمانية دنانير مسعودية على كل جمل من التمر واللبان الذي يصل الى مكة ، وثلاث دنانير مسعودية على كل شاة تصل اليها ، وسدس ثمن ما يباع بمكة من السمن والعسل والخضر ، وذلك بأن يحصي ثمنها مسعودية فاذا عرف أخذ على كل خمسة دنانير دينار مسعودي من ثمن سلة التمر اذا بيعت بالسوق من الذي باعها .

قالوا : ان الذي نبه الملك الأشرف الى ما يعانيه أهل مكة من هذه المكوس هو الأمير يلبغا المعروف بالخاسكي مدير المملكة الشريفة في دولة الملك الأشرف حيث نبهه الى ذلك بعض أهل الخير .

ويقول البتنوني في الرحلة الحجازية :

ان بعض أمراء مكة عمدوا الى الأساطين المنقوش عليها ابطال هذه المكوس فكسوها بعجينة من الجبس حتى لا يقرأها الناس[٢].

الملك الأشرف يضاعف النقود لأمير مكة :

وفي درر الفرائد ما يلي :

وفي سنة سبعمائة وتسع وستين اتفق الحال مع الشريف عجلان صاحب مكة أن يرتب له من بيت المال في كل سنة مائة وستون ألف درهم ـ نقره ـ تحمل اليه من مصر ، وألف أردب قمح ، ويترك الجَبَا من مكة في كل ما يؤكل ويجلب اليها من الحبوب والخضروات والثمار والغنم والخشب والسمن والعسل ، وأشهد على نفسه بذلك وكتب ثلاث محاضر يجعل واحد بمكة وواحد بالمدينة ، وواحد بقلعة الجبل بالقاهرة ، وقيد ذلك في ديوان الأشرف شعبان وأمضى الولاة بعد ذلك الى أن انقطع . انتهى[٣] .

---

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٦٦١/٦٦٢

(٢) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٦٦٣/٦٦٥ .

(٣) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٦٦٦/٦٦٧ .

الشريف حسن بن عجلان والقاضي شهاب الدين المحلي :

وفي أتحاف الورى أنه في سنة ثمانمائة وأربع حصل للسيد حسن بن عجلان خمسة وستون ألف مثقال وأزيَدْ فيما قيل عن القاضي شهاب الدين أحمد بن القاضي برهان الدين المحلي ، وجماعة من تجار الكارم ، لأن المركب الذي كانوا فيه ـ انصلح ـ بمقربة من مكة فأعطوه هذا المقدار عن الربع الذي يأخذه ولاة البلد فيما ينصلح في بلادهم من الجلاب .

واشتد غضب القاضي برهان بن المحلي بسبب ذلك على السيد حسن وسعى في ارسال شخص من خواص السلطان بمصر يطالبه بذلك فوصل اليه في آخر رجب ، وبلغ رسالته ، فاعتذر بتفرق ذلك من يده ، ووعده بالخلاص وماطل[1] .

وفي الاعلام :

ان السلطان أبو الفتح سيف الدين قطز الظاهري ، قرر لصاحب مكة الشريف حسن بن عجلان ألف دينار ذهبي تحمل له من خزينة مصر في كل عام ، مقابل ترك المكس على الخضرة والفواكه والحبوب وغيرها بمكة ، وأمر أن يكتب عهده واعترافه بذلك على سواري المسجد الحرام من ناحية باب السلام ومن ناحية باب الصفا ، والسواري المكتوبة بهذا العهد موجودة في المسجد الحرام الى الآن . انتهى[2] .

السلطان قايتباي يبطل المكوس بمكة :

وفي الاعلام ما يلي :

وفي أول ولاية السلطان قايتباي أرسل الى مكة مراسيم تتضمن بابطال جميع المكوسات والمظالم ، وأن ينقر ذلك على اسطوانة من أساطين الحرم الشريف في باب السلام .

مراكب الهند تتحول من عدن الى جدة :

كانت مراكب الهند التي تحمل البضائع الى جدة تصل أولاً الى ميناء عدن وتفرغ بضاعتها فيه ، ثم تنقل هذه البضائع في الجلاب ـ المراكب الشراعية ـ الى جدة .

وفي سنة ثمان وعشرين وثمانمائة بلغ صاحب مصر وصول مراكب من الهند الى بندر جدة ، فأحبَّ أخذ مكوسها فبعث بعض مسالمة القبط سعد الدين بن المرة فقدم مكة ، وصادف وصول أربعة عشر مركباً موسوقة بضائع من الهند فأخذ منها العشر وهذا أول ما أخذ العشر لصاحب مصر بجدة .

وسبب تحول مراكب الهند من عدن الى جدة كثرة الظلم عليهم في عدن فتركوه وصاروا يفدون الى بندر جدة ، فاستمر بندر جدة يعمر ويتلاشى أمر عدن الى أن ضعف بسبب ذلك صاحب اليمن وقلَّ مدخوله ، وضعف متحصله .

---

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٦٦٧/٦٦٨ .

(٢) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٦٦٨/٦٦٩ .

حصيلة الضرائب بجدة تنقل الى مصر :

وكان المتحصل في هذه السنة من عشور بندر جدة ما ينوف على سبعين ألف دينار ذهب حملت الى خزينة مصر[١] .

السلطان الأشرف برسباي أول من فرض المكوس بجدة :

ونقل السنجاري عن ابن فهد أن السلطان الأشرف برسباي هو أول من فرض العشور بجدة في سنة ٨٨٤ ، وأورد الخبر عن وصول المراكب الهندية وعددها أربعة عشر مركباً موسوقة بالبضائع من الهند ، وكان قائد المراكب الهندية ابراهيم الناخودة ، وأرسل السلطان مع سعد الدين بن ابراهيم الذي تولّى استلام العشور الأمير رأس نوبه أونبغا وشاد الديوان شاهين العثماني .

يقول ابن فهد :

وصار قطر جدة وظيفة سلطانية يخلع على متولِّيها ويتوجه اليها في كل سنة أوان ورود المراكب اليها متولٍ جديد ، يأخذ ما على التجار من العشور ، ويحضر بها الى القاهرة ، وبلغ ما حمل الى الخزانة من ذلك سبعين ألف دينار ذهب .

وقد علّق القطب الحنفي على ما ذكره ابن فهد فقال :

وزادت هذه المظلمة في زماننا حتى صاروا يأخذون من الوارد ما يزيد على العشر بكثير .

، وعلّق السنجاري على ذلك فقال :

وفي زماننا هذا زادت زيادات كثيرة وصار صاحب جدة يأخذ ما يريد ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، انتهى مافي تاريخ السنجاري[٢] .

أقول : ذكر ابن اياس في كتابه بدائع الزهور في وقائع الدهور شيئاً عن المكوس التي فرضها السلطان برسباي على جدة ، فذكر أنها كان في سنة ٨٢٨ وليس في سنة ٨٨٤ كما ذكر ابن فهد لأن برسباي تسلم السلطنة سنة ٨٢٥[٣] .

تعليق ابن فهد على فرض المكوس :

قال ابن فهد بعد ذكر هذه الواقعة :

فجاء للناس ما لا عهد له ـ به ـ قبله ، فإن العادة لم تزل من قديم الدهر ، في الجاهلية والاسلام أن الملوك تحمل الأموال الجزيلة الى مكة لتصرف في أشرافها ومجاوريها فانعكست الحقائق وصار المال يحمل من مكة ويلزم اشرافها بجمله .

---

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٦٧٠ .
(٢) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٦٧٠/٦٧١ .
(٣) بدائع الزهور ج ٢ ص ٩٦/١٠٣ .

سلاطين المماليك يأمرون التجار بحمل البضائع الى مصر :

ويواصل ابن فهد تعليقه فيقول :

ومع ذلك منع التجار أن يسيروا في الأرض ، ويبتغوا من فضل الله ، وكلفوا أن يأتوا الى القاهرة حتى يؤخذ منهم المكوس على أموالهم ، فانه في هذه السنة في أيام الموسم منع التجار أن يتوجَّهوا من مكة الى بلاد الشام بما ابتاعوه من أصناف تجارات الهند ، وألزموا أن يسيروا مع الركب الى مصر ، حتى يؤخذ منهم مكوس ما معهم ، فتوجهوا مع الحاج فلما نزل الحاج (بركة الحاج) خارج القاهرة ـ خرج مباشروا الخاص وأعوانهم واستقفوا تفتيش محاير القادمين من الحجاج والتجار وأحمالهم وأخرجوا سائر ما معهم من الهدية ، وأخذوا المكوس ، حتى أخذوا من المرأة الفقيرة مكس النطع الصغير عشرة دراهم مكوس . انتهى[1].

منادي السلطان في عرفات :

ونقل الغازي عن درر الفرائد ما يلي :

ومن الغرائب اظهار النداء في يوم عرفة بالموقف الأعظم لجميع الناس عامة ، من اشترى بضاعة للبحر وسافر بها الى غير القاهرة حلٌ دمه وماله للسلطان .

فسافر التجار القادمين من الأقطار مع المركب المصري ، ليؤخذ منهم مكوس بضائعهم بها ثم اذا سافروا من القاهرة الى بلادهم يؤخذ منهم المكوس بالشام أيضاً ، وغيرها فلا حول ولا قوة إلا بالله العظيم . انتهى ، وكان ذلك في سنة ثلاثين وثمانمائة كما ذكر ابن فهد[2].

السلطان يخصص لشريف مكة ثلث مكوس المراكب الهندية :

وفي يوم الخميس تاسع ربيع الأول سنة ثمانمائة واثنين وثلاثين وصلت المراسم من الأشرف صاحب مصر بالانعام على مولانا الشريف بركات بن حسن ، ثلث ما يتحصل من عشور المراكب الهندية ، وأن الثلثان ـ الثلثين ـ يحملان الى الخزانة فحصل للشريف بذلك غاية السرور[3] .

مضاعفة المكوس على بضائع اليمن :

وفي سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة كتب السلطان صاحب مصر بأن يؤخذ من التجار الشاميين والمصريين اذا وردوا جدة ببضائع اليمن عشران ـ عشرين ـ أي تضاعف المكوس عليهم وأن من قدم الى جدة من التجار اليمنيين ببضاعة ، تؤخذ بضاعته بأجمعها للسلطان من غير ثمن

---

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٦٧٢/٦٧٤ .
(٢) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٦٧٤ .
(٣) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٦٧٥ .

يدفع له عنها وسبب ذلك أن تجار الهند في هذه السنين صاروا عندما يعبرون من باب المندب ، يجوزون عن بندر عدن حتى يرسوا بساحل جدة ، فاقفرت عدن من التجار ، وضعف حال ملوك اليمن لقلة متحصله ، وصارت جدة هي بندر التجار ، ويحصل لسلطان مصر من عشور التجار الواردين من الهند عشر بضائعهم ، ويؤخذ من العشور رسوم تقررت للناظر ، والشاد ، وشهود القبان والصيرفي ونحو ذلك من الأعوان وغيرهم .

وصار يحمل من قبل سلطان مصر مرجان ونحاس ، وغير ذلك مما يحمل من الأصناف الى بلاد الهند فيطرح على التجار ، ويتشبه به في ذلك غير واحد من أهل الدولة ، فضاق التجار بذلك ذرعاً ، ونزل جماعة منهم في السنة الماضية الى عدن فتنكر السلطان بمصر عليهم لما فاته من أخذ عشورهم ، وجعل عقوبتهم أن من اشترى بضاعة من عدن ، وجاء بها الى جدة أن كان من الشاميين أو المصريين أن يضاعف عليه العشر بعشرين ، وإن كان من أهل اليمن تؤخذ بضاعته بأسرها .

الشريف بركات يتدخل لابطال المرسوم :

ويواصل الشيخ / الغازي حديثه نقلاً عن اتحاف الورى فيقول :

فمن لطف الله تعالى بعباده أنه لم يعمل بشيء من هذا الحادث لكن قرئت هذه المراسم تجاه الحجر الأسود ، فراجع السيد بركات أمير مكة السلطان صاحب مصر في ذلك ، حتى عفى من التجار ، وأبطل مارسم به ، كذا في أتحاف الورى[1] .

السلطان يمنح الشريف بركات نصف العشور :

وفي سنة ثمانمائة وأربعين وصل قاصد من مصر للسيد بركات ومعه كتاب من صاحب مصر ، مذكور فيه أنه أنعم عليه بنصف عشور جدة من المراكب الهندية .

السلطان ينقص حصة أمير مكة :

وفي سنة ثمانمائة وثلاث وأربعين وصلت مراسم تتضمن أن جميع الجلاب الواصلة من البحر الى جدة من سائر البلاد ليس لصاحب مكة من عشرها إلا الربع وثلاثة الأرباع تحمل الى مصر .

تركات المتوفين للسلطان :

وأن جميع ما مات بمكة من غير أهلها ليس لصاحب مكة من تركته شيء ، وكله لصاحب مصر وأن صاحب مكة ليس له إلا تركة من مات من أهل مكة .

---

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٦٧٥/٦٧٧ .

السلطان يعفي الشريف بركات من تقبيل خف المحمل :

وأن السلطان قد أعفى السيد بركات من تقبيل خُفِّ المحمل الذي يأتي بالمحمل ، فشكر ذلك من فضل السلطان .

العشور يؤخذ صنفاً لا مالاً :

وان لا يؤخذ من التجار الواردين غير العشر فقط ، يؤخذ صنفاً لا مالاً من كل عشر وأن يبطل ما كان يأخذه غير العشر من الرسوم ـ كذا في تاريخ السنجاري ـ[1].

التجار المصريون يزاحمون تجار مكة :

وذكر ابن فهد ما أورده السنجاري وزاد عليه أن السلطان أمر بمنع الباعة من المصريين الذين سكنوا مكة ، وجلسوا بالحوانيت في المسعى وحكروا المعاش ، وتلقوا الجلب من ذلك وأن يخرجوا من مكة ، فشكر ذلك أيضاً وشكر السلطان أو الناس ذلك ، لعل صحة الجملة ـ وشكر الناس للسلطان ذلك ـ لأن هؤلاء البياعين كثر ضررهم ، وتقووا بحماية المماليك لهم فغلت الأسعار ، وأحدثوا بمكة أحداثاً لم يعهد لها وعجز الحكام عن منعهم لتقوية المماليك المجردين لهم بما يأخذوا منهم من المال . انتهى[2] .

السلطان يصدر مراسيم تتعلق بالرسوم والتركات :

وفي أتحاف الورى :

وفي سنة احدى وثمانين وثمانمائة ، ثاني عشر ذي القعدة ، وصل الى مكة المشرفة نائب جدة قُرْأغا عتيق أروادار الكبير جاني بك ، ومعه مراسم للشريف محمد بن بركات ، وقاضي القضاة برهان الدين الشافعي كمال الدين ، وباش الترك قايتباي فدخلوا جميعاً الى المسجد الحرام وجلسوا بالحطيم ، فقرىء مرسوم الشريف ثم القاضي برهان الدين ، ثم أخيه ، ثم باش الترك ، وتاريخ المراسيم رابع عشر شوال من السنة ، ومضمونهم واحد هو :

ان الواصل الى مكة من المرجان وغيره من بضائع الهند لا يترك شيء منه يذهب به الى اليمن ، حتى لا تبقى المراكب الهندية تدخل اليمن .

والواصل من اليمن من بضائع الهند يكون بين السلطان وبين الشريف نصفين ، ولم تجر بذلك عادة قبل ذلك ، بل كان ذلك مما يختص بالشريف ومن مات بجدة ومكة ولم يكن له وارث يكون من أشرفي الى ألف للشريف ، وما فوق ذلك للسلطان ، ومن مات وله وارث غائب لم يختم على مال الميت القاضي على العادة بل ذلك الى نائب جدة قُرْأغا ، والفلفل الواصل الى جدة من الهند يؤخذ منه للسلطان بسعر العام الماضي والذي قبله ، ولا يعارض نائب جدة في شيء مما يريده ، والمتوجه عليه فانه من المقربين انتهى[3] .

---

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٦٧٩/ ٦٨٠ .

(٢) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٦٧٩/ ٦٨٠ .

(٣) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٦٨٠/ ٦٨١ .

العطارون والبزارون يعتصمون بمكة :

وفي سنة ست وثلاثين وألف ثامن عشر عاشوراء ، عزَّل من السوق جميع العطارة والبزارة ، ودخلوا على ضريح السيد نعمة الله القادري ، نزيل شعب عامر ، وسبب ذلك أن كل شريف من الأشراف استخرج رجلاً منهم على قواعدهم أنه رِجَّاله وأنه اليه في قواعدهم أن كل ما أراد شيئاً أخذه منه ، وان امتنع تصرَّف فيه بكل ما يختار ، وما أحد يعارضه ، ولا صاحب ، حتى ان شريفا يقال له عبدالمعين بن حسن ، نادى على ابن عبدالله شلبي وطلب منه بعض شيء من المعاملة فامتنع ، فسلَّ سيفه عليه وتهدَّده ، فخاف على نفسه ، وألقى بنفسه من طاقة في بيت الشريف فانكسرت رجله .

وفي ظهر ذلك اليوم نادى منادي الشريف ، في حال العطارة والبزارة بأنهم رعية الله ، ورعية السلطان أحمد ، ورعية ملك مكة ، يبسطون دكاكينهم ، ليس لأحد من الأشراف يتعرضهم فبسطوا ، ثم أرسل شريف من ذوي عبدالله ، يقال له زين العابدين لرجل من العطارة ، وناداه وأظهر وصلا من الشريف يتضمن بأنه رجَّاله ، فقال العطار أنا رعية السلطان ورعية الشريف فضربه على فمه وفوق رأسه ، حتى أدمى وجهه وحبسه ، ولا فُكَّ حتى أخذ منه شيئا .

فاجتمعت العطارة والبزارة ، ومضوا الى شيخ الجماعة فاستنظرهم ثلاثة أيام ، فلم يجدوا عنده جواباً شافياً فعرفوا بطلان المناداة الاولى ، وهذه سالفة بين الأشراف لا يمكن قطعها .

وفي هذه المدة فقد من السوق كل شيء ، وطلعت الأسعار ، وزاد العيار ، ولا في السوق إلا الفول والزيت الحار فقلت :

كل شيء عز نائله	فهو مفقود ومجهول
بسوقنا حيث الغلاء به	ليس إلا الزيت والفول

كذا في اتحاف فضلاء الزمن[1] .

شاعر يصف خطباء العصر في مكة :

شكى المنبر المكي جَوْرَ ائمة	عليه بأنواع المواعظ يلعبوا
وقال آلهي أنت أدرى بحالهم	يقولون مالا يفعلون ويكذبوا

وقال آخر :

لقد كانت الخطبة فيما مضى	لمن له في العلم أوفى نصيب
حتى اضمحلت بأناس اتوا	من فارط الجهل بشيء عجيب
فصار من قلة عقل الفتى	وجهله ان قيل هذا خطيب

هذا الشعر قيل في امام خطب في مكة سنة سبع وثلاثين ومائة وألف نقلاً عن اتحاف فضلاء الزمن[2] .

---

(١) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٦٣٧/٦٣٩ .

(٢) افادة الأنام مجلد ٢ ص ٦٣٩/٦٤١ .

السماط

قال العلامة جعفر اللبني رحمه الله في شرح رسالة ابن زيدون : السماط من الطعام ما يُمَـدُّ عليه ، والعامة تضم السين وهو في عرف أهل مكة ومن قرب منهم ، طعام يجمع أنواع المأكولات الموجودات يومئذ في البلد من حلو وحامض ، ومن فواكه ويجلب اليه ما يمكن جلبه من أقرب المحلات ويُصفُّ على أشكال مخصوصة ، لهم فيها اصطلاحات يصنع في الولائم العظام ، ويعرف أوضاعه أساتذة لهم مهارة فيه ، وهي عادة قديمة في مكة واذا قَصرَ عن بعض الأطعمة سمي طرافة أو نصف سماط . انتهى (١) .

اقامة الصلاة في المسجد الحرام بائمة أربعة :

نقل السنجاري عن التقي الفاسي :

ان الصلاة في المسجد الحرام كانت تقام بائمة أربعة على المذاهب الأربعة ، ويقول التقي الفاسي عن ذلك :

وأما حدوث صلاة هذه الائمة الأربعة على هذه الصيغة لا أعلم في أي وقت كان ، ثم نقل ما يدل على أن الحنفي والمالكي كانا موجودين مع الشافعي سنة أربعمائة وسبع وتسعين ، وأن الحنبلي لم يكن موجوداً ، وأنما كان أمام الزيدية .

ثم قال : ووجدت ما يدل على أن الحنبلي كان موجوداً في عشر الأربعين وخمسمائة والله سبحانه وتعالى أعلم . انتهى (٢) .

محمل الحج وتاريخ المحامل :

ذكرنا في الجزء الثالث من أعلام الحجاز شيئاً من المحامل التي كانت تصل بحجاج الأقطار الاسلامية الى مكة ، وقد أورد الشيخ الغازي معلومات أخرى رأيت اضافتها الى ما سبق ذكره (٣) .

---

(١) هامش المجلد الثاني من افادة الأنام صفحة (٩) .

(٢) افادة الأنام مجلد ٢ ص ١٦/١٥ .

(٣) راجع أعلام الحجاز ج ٣ ص ٣٢/٣٠ .

جاء في كتاب الكنز المدفون للسيوطي :

ان أول من أحدث المحامل في طريق مكة شرفها الله الحجاج بن يوسف الثقفي ، وذكر صاحب درر الفرائد : المحامل أربعة ، العراقي ، والمصري ، والشامي ، واليمني ، وحج في بعض السنين الحلبيون بمحمل ، وحج آخرون بمحامل في سنين مختلفة .

المحمل العراقي :

كان المحمل العراقي أعظم المحامل في وقته ، لأن الخلافة الاسلامية كانت في مدينة بغداد عاصمة العراق ، وان معوَّل أقاليم الاسلام على ما يصدر منها ، ويرد اليها . . . الخ .

ثم قال :

ولقد اعتنى أبو سعيد بن خدابنده بأمر حاج العراق عناية تامة ، وغشَّى المحمل بالحرير ورصَّعه بالذهب واللؤلؤ والياقوت ، وأنواع الجواهر الأخرى التي بلغت قيمة الحلية فيه (٢٥٠,٠٠٠ دينار) من الذهب المصري أو (١٢٥,٠٠٠ جنيه) وجعل للمحمل خزاً يسبل عليه اذا وضع ، ولما تقلَّص ظل الخلافة عن طريق العراق ، وآل الأمر الى الملوك المتغلبين من الأمراء والأعيان .

ضعف شأن المحمل العراقي فكان العربان يستهترون بركبه ، وكثيرا ما اعتدوا عليه .

وفي سنة ٦٣١ رجع الحج العراقي إذْ طَمَّ عرب الاجاورة الآبار ، واختلف الحجاج مع العربان حتى ضاق الوقت ، وفي السنوات ٦٣٣ : ٦٣٦ ، وسنة ٦٣٩ لم يحج العراقيون لدخول التتر بغداد ، ثم صار المحمل العراقي يجيىء مرة وينقطع أخرى الى القرن التاسع الهجري[1] .

السلطان سليم أول من رتب ارسال الغلال الى مكة والمدينة :

نقل الغازي عن ابراهيم رفعت باشا في مرآة الحرمين ، ان السلطان سليم هو أول من رتَّب صدقة الحب لأهل الحرمين ففي سنة ٩٢٤ وصل من السويس الى جدة سفائن تحمل سبعة آلاف أردب من القمح جهزها خاير بك نائب السلطنة بمصر منها ألفين أردب لأهل المدينة ، والخمسة الباقية لأهل مكة ، وأخذ سلاطين آل عثمان يزيدون هذه الصدقات كلما تولى سلطان جديد ، حتى وصلت الى اثنى عشر ألف أردب لمكة ، وثمانية آلاف لأهل المدينة[2] .

أول من أرسل صرة النقود الى مكة المقتدر العباسي :

وفي مرآة الحرمين ، ان أول من أرسل صرة النقود الى الحرمين المقتدر بالله العباسي سنة ٣٢٠ هجرية ، ثم تبعه الأمراء والخلفاء كل يزيد منهم على سلفه ما يليق بكرم نفسه ، وأول

---

(١) افادة الأنام مجلد ٣ ص ٢٨ / ٣٠ .

(٢) افادة الأنام مجلد ٣ ص ٤٢ / ٥٣ .

من جهز صَرَّ النقود الى مكة من سلاطين آل عثمان السلطان محمد خان بن السلطان يلدرم خان ، وكانت ترسل من بلاد الروم قبل تولي آل عثمان أمر الحرمين ، واقتفى أثره ولده السلطان مراد خان فكان يرسل أضعاف ما أرسله أبوه ، فالسلطان بايزيد خان ضاعف الصدقة .

ولما آل الأمر الى السلطان سليم خان أرسل الصدقات أضعاف ما كان يرسله أبوه[1] .

وقال ابن فهد في حوادث سنة ست وثلاثمائة ما يلي :

وفي أيام المقتدر بالله وهي من سنة خمس وتسعين ومائتين الى أواخر سنة عشرين وثلاثمائة في وزارة حامد بن العباس ، رتّب علي بن عيسى بن الجراح لأن يحمل الى الحرمين الشريفين والى المجاورين بهما ، والى أرباب الوظائف بمكة والمدينة في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار وخمسة آلاف دينار وأربعمائة وستة وعشرين ديناراً .

هكذا قال الامام السروجي في باب زكاة المال من كتاب الغاية في شرح الهداية[2] .

السلطان نور الدين الشهيد أول من أرسل الطواشية الى المدينة :

نقل الغازي عن أتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن ما يلي :

وفي سنة خمسمائة وسبع وخمسين حسَّنوا للسلطان نور الدين الشهيد أن يرسل بعض خدم طواشيته الى المدينة المنورة ، ليكونوا سدنة لقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحرمه المحترم فاستحسن ذلك إلا أنه قال :

كيف نعمل شيئاً ما سبقنا عليه أحد من الخليفة ـ الخلفاء ـ قبلنا ، فلم يزالوا به حتى وافقهم على ذلك ، فجعل اثنا عشر طواشياً لا غير ، وشرط أن يكونوا حُفَّاظاً للقرآن ، ولربع العبادات لذلك[3] ، وأن يكونوا أحباشاً فإن لم يكونوا فأرواماً ، فإن عُدِمُوا فتكارنة ، وإن لم يوجد فهنود ، واستمر الأمر مستقيما مدة ، ثم مازال فَقْدَ شيء بعد شيء ، حتى صار الآن من الهنود ، وصاروا عامية ليسوا بأهل علم ، وكانوا اثنا عشر فعادوا فوق الأربعين ، فسبحان من يغير ولا يتغير ، وأنكروا علماء المدينة ذلك وألَّفوا في ذلك تأليفاً ولكن يد الخلافة لا تطاولها يد . انتهى[4] .

المهدي العباسي يأمر بنفي المغنين من مكة :

وفي سنة تسع وخمسين ومائة أو في التي بعدها أمر المهدي بنفي كل من بمكة من المغنين ومنع فِتْيَتَها من الغناء ، وأخرج كل من فيها من المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من

---

(١) افادة الأنام مجلد ٣ ص ٦١/٦٢ .

(٢) افادة الأنام مجلد ٣ ص ٨٦/٨٧ .

(٣) افادة الأنام مجلد ٣ ص ٩٦/٩٧ .

(٤) الجملة غير واضحة لعل المراد أن يكونوا على علم بالعبادات وأركانها .

الرجال بالنساء ، ومنع مِنْ لعب الشطرنج ، وغيره من الأمور التي تجرُّ الى اللهو والطرب ، وطهَّرها من كثير من المباحات الملهية عن الصلوات ، والمُشْغلة عن اغتنام القرب وألزم حجبة الكعبة اجلالها وتوقيرها ، وتنزيهها ، وتطييبها للزائرين وتجميرها وفتح بابها بـالسكينة والخشوع ، وزجر النساء عن الخروج الى المسجد متعطرات[1] .

المهدي أول من أقام البريد بين مكة والمدينة :

وفي صفر سنة ست وستين ومائة أمر المهدي باقامة البريد بين مكة والمدينة ، فخصصت لذلك بغال وأبل ، ولم يكن هناك بريد من قبل[2] .

المستضيء بالله العباسي يأمر بعمارة الأميال الخضر بالمسعى :

وفي سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة أمر أمير المؤمنين المستضيىء بالله بعمارة الأميال الخضر بالمسعى المعظم[3] .

المظفر كوكبري ينشىء الاعلام الثلاثة بعرفة :

وفي سنة خمس وستمائة في شهر شعبان ، انشئت الاعلام الثلاثة التي هي بين منتهى أرض عرفة ووادي عرنة ، أمر بانشائها المظفر كوكبري بن علي بكتكين صاحب اربل[4] .

اغلاق أبواب المسجد الحرام باستثناء أربعة أبواب :

في سنة ثلاثين وثمانمائة وصل مرسوم صحبة الحاج يتضمن منع الباعة من بسط البضائع أيام الموسم في المسجد الحرام ومن ضرب الخيام في المسجد على مساطب وأمامها ، وأن يترك المنبر الذي يُخْطَبُ عليه يوم الجمعة في مكانه مساماتاً لمقام ابراهيم ، ومقام الشافعي ، وأن لا يُجرَّ الى جانب الكعبة لأنَّ عند جَرِّه على عجلات يزعج الكعبة اذا أسند اليها ، وأن يخطب الخطيب عليه هناك ، وأن تُسَدَّ أبواب المسجد بعد انقضاء الموسم إلا أربعة أبواب هي باب السلام وباب العمرة وباب ابراهيم وباب الصفا ، وأن تُسَدَّ الأبوابِ الشارعة من البيوت الى سطح المسجد فامتثل جميع ذلك ، ولم يعرف قَطُّ أن أبواب المسجد غُلِّقتْ إلا في هذه الحادثة ، وصعب عليهم بُعْدُ الأبواب فروجع السلطان في ذلك فأمر بفتح باب الزيادة ، وباب الجنائز ، وقد نظم الشاعر شهاب الدين أحمد بن سعد بن أحمد الحنفي قصيدة يخاطب فيها

---

(١) افادة الأنام مجلد ٣ ص ١١٤/١١٥ .
(٢) افادة الأنام مجلد ٣ ص ١١٥ .
(٣) افادة الأنام مجلد ٣ ص ١١٦ .
(٤) افادة الأنام مجلد ٣ ص ١١٦

أهل مصر في غلق أبواب المسجد ، ومنبر الخطيب ، وعزل القاضي ، يقول فيها :

يـا أهـل مصر يـا كـرام الـورى ... مـا بـالكم جئتم بـأمـر عجيب
أغلقتم الأبـــواب عن طـائـف ... وعن مُصَلٍّ داخـلٍ من قـريب
ومنـبر الخـطبة أضحى إذاً ... من فـرقـة البيت حـزينـا كئيب
ومنصب الشرع الشريف الـذي ... شيبتمـوه قبـل وقت المشيب
فبالـذي شرَّفكم دائما ... بخدمـة البيت وقـبر الحبيب
مُنُّـوا عـلى سكـان أم القرى ... بَعـوْد قـاضيهم وقُرْب الخـطيب
وفَتِّحـوا الأبـواب التي غُلِّقَتْ ... حتى يـرى مـا كـان ضَنْكـاً رحيب
فضـلا فقـد أصبـح جـيرانها ... في حـيرة عـظمى وأمـر عصيب

ثم جاء في الموسم مرسوم صحبة الركب المصري أن تفتح الأبواب كلها ويعزل البوابون القدماء ، وكانوا قضاة وفقهاء ، ويولَّى على أبواب الحرم بوابون يتفرَّغون لهذه الحرفة ، ويحرصون على نظافة الأبواب وما حولها ، ويمنعون دخول ما يَضُرُّ المصلين ويلازمون الأبواب ليلاً ونهاراً ، ورُتِّبَتْ لهم الرواتب على هذه الخدمة(١) .

أول قاض يرد الى مكة من الروم :

كان قضاة مكة يعينون من علماء مكة ، وفي سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة عيَّنت الحكومة العثمانية قاضياً من الروم وأرسلته الى مكة ، وهو أول قاض يرد من الروم(٢) .

ترك القمائم أمام البيوت جزاؤها الضرب على الأقدام :

وفي صبح يوم الأحد خامس عشر ذي القعدة ظننا سنة خمس عشرة وتسعمائة ، شق الأمير ـ خير بك المعمار ـ المسعى وغيره ، ونادى بشيل القمائم من أمام البيوت ، ثم مرَّ على بيت الزمزمي ، فرأى أمام بيتهم بعض شيء من ذلك ، فسأل عن أصحابه فحضر اليه ثابت بن حسن الزمزمي فوشحه بعصا ، ثم أمر به فوضع في الأرض فضربه تحت رجليه ، ثم مرَّ على رباط السيد حسن عجلان ، فرأى شيئاً تحت جانبه مما يلي زقاق الحمام ، فنادى شيخ الرباط ، فحضر اليه شيخه وهو أحمد الفقيه بن عبدالمعطي بن حسَّان فوضع الآخر وضربه تحت رجليه ، ثم مرَّ على أوقاف الجمالي ناظر الخاص ، فرأى شيئاً من ذلك ، فسأل عن المتكلم على ذلك ، فقيل محمد زمان ، فحضر فضربه على رجليه ضرباً كثيرا ، وطيف به البلاد ، فلما رأى الناس منه ذلك بادروا بشيل ما تحت بيوتهم ، نقلاً عن بلوغ القرى(٣) .

---

(١) افادة الأنام مجلد ٣ ص ١٢٥/ ١٢٩ .
(٢) افادة الأنام مجلد ٣ ص ١٤٧ .
(٣) افادة الأنام مجلد ٣ ص ١٥٢/ ١٥٣ .

الشريف سرور يبني بيتاً في عرفة :

وفي سنة ألف ومائتين أرسل الشريف سرور ستين من المعلمين غير أتباعهم الى عرفة ليبنوا له بيتاً ، ولم يسبق لغيره بناء بيت في عرفة ، نقلاً عن خلاصة الكلام[١] .

دار الامارة بسوق الليل :

وفي الرحلة الحجازية للبتنوني : أن دار الامارة في سوق الليل قد بناها والي مصر محمد علي باشا سنة ١٢٢٨ لتكون دار الحكومة الحجازية ، ولما ترك ولايتها جعلت مقراً لامارة مكة الى الآن[٢] .

أقول : أدركت دار الامارة في الخمسينات من القرن الماضي ، وهي مقر لدائرة الأمير فيصل بن عبدالعزيز ـ الملك فيما بعد ـ الذي كان نائباً لوالده الملك عبدالعزيز في الحجاز ، وهي مكونة من عدة بيوت متلاصقة وتقع في محلة الغزة ، وقد هدمت فيما بعد .

عمارة قلعة أجياد :

كنت ذكرت في الجزء الثالث من أعلام الحجاز ان الوالي عثمان نوري باشا عمَّر قلعة أجياد ، وقد وجدت في افادة الأنام تفصيلا عن بناء هذه القلعة وما حدث لها من تعمير أورده فيما يلي :

في سنة ألف ومائة وستة وتسعين شرع مولانا الشريف سرور في عمارة القلعة التي في أجياد بعد أن اشترى ما حولها من البيوت ، وأنفق في عمارتها مالاً كثيراً ، ثم نقض بعد سنتين كثيراً من بنائها وأعاده على أحسن اتقان .

وقد جَنَّدَ الشريف غالب جميع العمال والمعلمين الذين في مكة وجدة والطائف واشترى بيوتاً كثيرة وخاصة في شعب عامر وهدمها ليستعمل أحجارها ، وتم هدم هذه البيوت بالتفجير ، فهدمت في أيام قلائل وتحولت الى أكوام ، فانطلق المنادي في شوارع البلاد على جميع الحاضر والباد ، حتى العبيد والعساكر ، والأكابر ، والصغار وأرباب الحرف ، وكلفهم الحضور ونقلِ هذا الدمار ، ومن لم يكن له استطاعة بالمشاركة الشخصية فعليه ارسال أتباعه ، وعيّن للعاملين أجرة للعمل ، وقد بلغت الأجرة اليومية ألفي قرش ، نقلاً عن خلاصة الكلام ، وكتاب أشراف مكة وامراؤها[٣] .

الشريف غالب يبني الأبراج التي بأطراف مكة وقلعة لعلع :

وفي سنة ألف ومائتين وخمسة عشرة بنى الشريف غالب بن مساعد الأبراج التي بأطراف مكة ، والقلعة التي على جبل لعلع المطل على العبادي ، ذكر ذلك السيد دحلان في خلاصة الكلام .

---

(١) افادة الأنام مجلد ٣ ص ٢١٢ .

(٢) افادة الأنام مجلد ٣ ص ٢١٥ .

(٣) افادة الأنام مجلد ٣ ص ٢١٣/٢١٤ .

وفي السابع والعشرين من رجب سنة ألف ومائتين وواحد وعشرين أمر مولانا الشريف غالب أن يبنى له حصن على رأس الجبل المسمى بجبل الهندي ، وتم بناؤه في عاشر رمضان ، فحصَّنه بالرجال والذخائر .

أقول : ويبدو أن هذه القلعة تعرضت للخراب فقام بتعميرها وتوسيعها وأحكم عمارتها وأتقنها والي الحجاز عثمان نوري باشا في سنة ألف وثلاثمائة كما جاء في سالنامة الرحلات[١] .

السلطان عبدالحميد يبني قشلة جرول :

وفي سنة ١٣١٨ بنى قشلة جرول السلطان عبدالحميد واحتفل بافتتاحها في الخامس عشر من ذي الحجة من العام المذكور ، وكان السلطان عبدالحميد أمر ببنائها من ماله الخاص لتكون نزلاً لفقراء الحجاج ، وقد حضر حفلة الافتتاح ابراهيم رفعت باشا مؤلف كتاب مرآة الحرمين ، ووصف المبنى وصفاً جيداً ، ثم علق على ذلك فقال :

وأعجب لهذا السراي التي بها ناظر ، وخدم ، وطباخون ، يأخذون مرتبهم من ثلاث سنين خلت ، في حين أنه لا توجد حجرة من حجراتها مفروشة ولا يوجد بها فقير واحد ، وقد بلغني أن جلالة السلطان أنفق على اقامتها تسعين ألف جنيه مجيدي . انتهى[٢] .

الثلج يحمل الى المهدي من العراق الى مكة :

حجَّ الخليفة العباسي الثالث أبو عبدالله ولد المنصور الملقب بالمهدي ، وحمل له الأمير محمد بن سليمان الثلج حتى وافى به مكة ، وهذا شيء لم يتم لأحد قبله ، وقسَّم المهدي في الحرمين الشريفين أموالاً عظيمة ، وهي ثلاثون ألف درهم ، وصل معه بها من العراق ، وثلاثمائة ألف دينار وصلت اليه من مصر ، ومائتا ألف دينار وصلت اليه من اليمن ، ومائة ألف ثوب وخمسين ألف ثوب ، فرَّق جميع ذلك على أهل الحرمين ، ذكره ابن فهد[٣] .

أقول : ذكرت في الجزء الثالث من أعلام الحجاز أن الثلج حمل الى الرشيد بمكة نقلاً عن تاريخ مكة للسباعي ، وأود أن أذكر هنا أن المهدي العباسي هو والد الرشيد فاذا صح أنه نقل اليه الثلج بمكة ، فيكون أول من نقل اليه الثلج من العراق الى مكة .

جميلة بنت ناصر وأعمالها في الحج :

وفي سنة ثلاثمائة وست وستين حجت جميلة بنت ناصر الدولة التي يضرب بها المثل في أفعال البِر .

كان معها أربعمائة محمل على لون واحد ، ولم يعلم هي في أي محمل ، ولما رأت البيت الحرام نثرت عليه عشرة آلاف دينار ، وكست المجاورين بالحرمين وأنفقت أموالاً عظيمة ـ

---

(١) افادة الأنام مجلد ٣ ص ٢١٤/٢١٥ .
(٢) افادة الأنام مجلد ٣ ص ٢٢١/١٢٤ .
(٣) افادة الأنام مجلد ٣ ص ٢٨٠/٢٨١ .

والذي أنفقته في حجها ألف ألف وخمسمائة ألف دينار من ضرب أبيها وزوجها وزوجت كل علوي وعلوية بالحرمين ، وسقت أهل عرفة كلهم السويق ، والسكر والثلج حملته معها ، وحملت معها البقول مزروعة في مراكن الخشب وأعدت للفقراء خمسمائة بعير تحملهم عليها في الطريق .

ولم توقد في الحرم مدة اقامتها إلا بشمع العنبر .

وأعتقت بمكة ثلاثمائة عبد ومائتي جارية ، وأغنت جميع الفقراء المجاورين .

كذا في تاريخ السنجاري ، وتحصيل المرام ، وفي الأتحاف .

وكان معها عشرة آلاف جمل وألف عجل[1] .

الأمير عثمان الزنجبيلي يحمل الحجاج بين عرفة والمزدلفة :

وفي سنة تسع وسبعين وخمسمائة ، وصل مكة صاحب عدن الأمير عثمان الزنجبيلي ، وفي الثامن من ذي الحجة بكّر الناس بالصعود الى منى ، وغدوا فيها الى عرفة وتركوا المبيت بها لخوف الأعراب المغيرين على الحجاج في طريقهم الى عرفات ، واجتهد الأمير عثمان الزنجبيلي في حفظ الحاج اجتهاداً بل جهاداً يرجى لديه المغفرة لجميع خطاياه .

وذلك أن تقدم جميع أصحابه شاكين السلاح الى المضيق الذي بين مزدلفة وعرفات فضرب قبته في المضيق بين الجبلين ، بعد أن قدم أحد أصحابه فصعد بفرسه الى رأس الجبل الذي على يسار المار الى عرفات فأمرَّ جميع الحاج ، واتصل صعود الناس ذلك اليوم كله ، كلها الى يوم الجمعة كله ، فاجتمع بعرفات من البشر جمع لا يحصي عدده إلا الله عز وجل[2] .

السلطان غياث الدين ملك بنقالة يرسل أموالاً لبناء مدرسةٍ ورباط بالمدينة :

في ذكر ما أرسله السلطان غياث الدين ملك بنقالة الى مكة ذكر الغازي عن صدقته للمدينة المنورة مايلي :

وكان السلطان غياث الدين أرسل مع ياقوت الغياثي خادماً يسمى حاجي اقبال أرسله بصدقة أخرى عنده لأهل المدينة المنورة ، وجهَّز مالاً ليبني له بها مدرسة ورباطاً ، وهدية الى أمير المدينة يومئذ جماز الحسيني ، فانكسرت السفينة التي فيها هذه الأموال وغيرها بقرب جدة فأخذ الشريف حسن بن عجلان ربع ما خرج من البحر على عادتهم اذا انكسرت سفينة عندهم ، وأخذ ما يتعلق بالسيد جماز الحسيني لأنه عصى ، وظهرت منه شنايع بالمدينة المنورة ، من أخذ مفتاح خزانة النبي صلى الله عليه وسلم من قاضي المدينة جبراً بعد أن أهانه ، وهو القاضي زين الدين أبوبكر بن حسين المراغي ، وضرب شيخ الخدام ، وأخذ من خزانة النبي صلى الله عليه وسلم أحد عشر خوشخانة وصندوقين كبيرين ، وصندوقاً صغيراً كلها ممهورة فيها ذهب لملوك العراق ، وخمسة آلاف كفن ، وصادر الخُدَّام ، وأخذ

---

(١) افادة الأنام مجلد ٣ ص ٣١٢/٣١٣ .

(٢) افادة الأنام مجلد ٣ ص ٣١٥/٣١٦ .

قناديل الذهب من الحجرة ، فمنعه الله ، ونهب العربان ما جمعه ومات .

فأرسل الشريف حسن بن عجلان الى المدينة الشريفة عسكراً وصلوا اليها وولى عليها عجلان بن نمير الحسيني ، وكل ذلك سنة أحد عشر وثمانمائة . انتهى[1] .

وزير السلطان مراد يمزج الماء بالسكر والعسل ويسقي الحجيج :

وفي سنة خمسين وثمانمائة حج وزير من وزراء السلطان مراد الثاني وجاء بصدقات جليلة وخيرات وافرة لأهل الحرمين الشريفين ، ورمى في بركة قُبَّة العباس بالحرم الشريف ثلاثمائة وستين رأس سكر وعدة قناطير من العسل وسقى الناس ، وملأ القرب ، وخرج بها الساقون الى المسعى يسقون الناس ، وصرف على الحجاج وأهل الحرمين أموالاً جزيلة . كذا في الاعلام[2] .

أول مكوس فرضت على جدة :

وفي سنة ثمانمائة وثمان وعشرين عين سلطان مصر سعد الدين بن ابراهيم بن المرة القطبي لأخذ مكوس جدة وهو أول مكس أخذ من جدة ، واستمر من يومئذ عمال الى الآن ببندر جدة .

أقول : كان السلطان بمصر هو الأشرف سيف الدين أبوالنصر برسباي الظاهري[3] .

الجودرية اسم حارة بالقاهرة :

ذكر ابن اياس في بدائع الزهور أن السلطان برسباي أمر بكبس حارة الجودرية ، وكان مختفياً بها أحد المتصوفة الذين يطلبهم السلطان ، فكبست الحارة وأخليت وبقيت خالية مدة طويلة[4] .

وفاة الشيخ عبدالله غازي :

توفي الشيخ عبدالله الغازي سنة ألف وثلاثمائة وسبعة وخمسين ، تغمده الله برحماته الواسعة[5] .

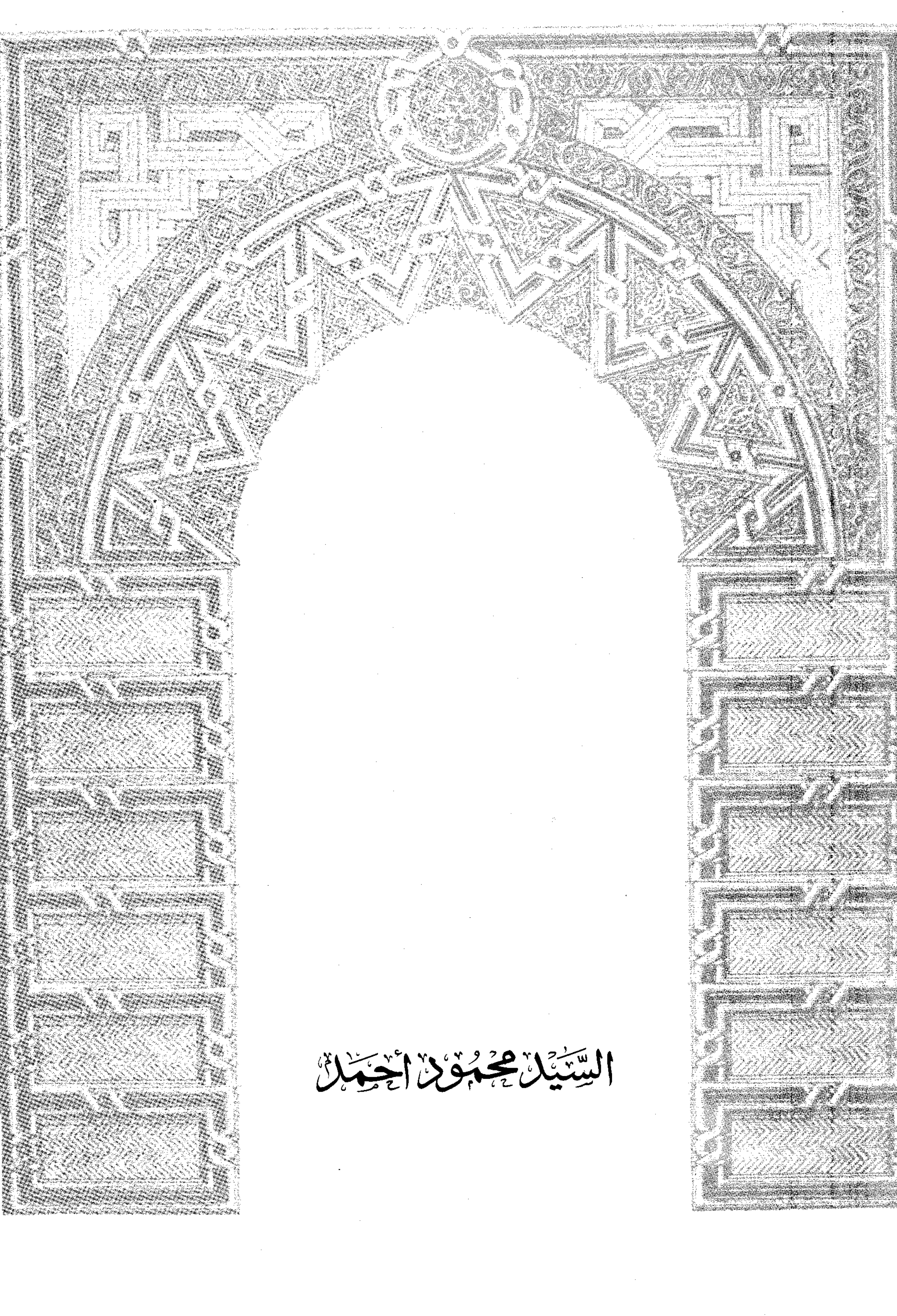
ونختم الحديث عن كتاب افادة الأنام راجين لمؤلفه الشيخ عبدالله غازي الرحمة والغفران ، متمنياً أن تهتم جامعاتنا العزيزة بنشر مؤلفه الموسوعي الكبير وتحقيقه قريباً بإذن الله .

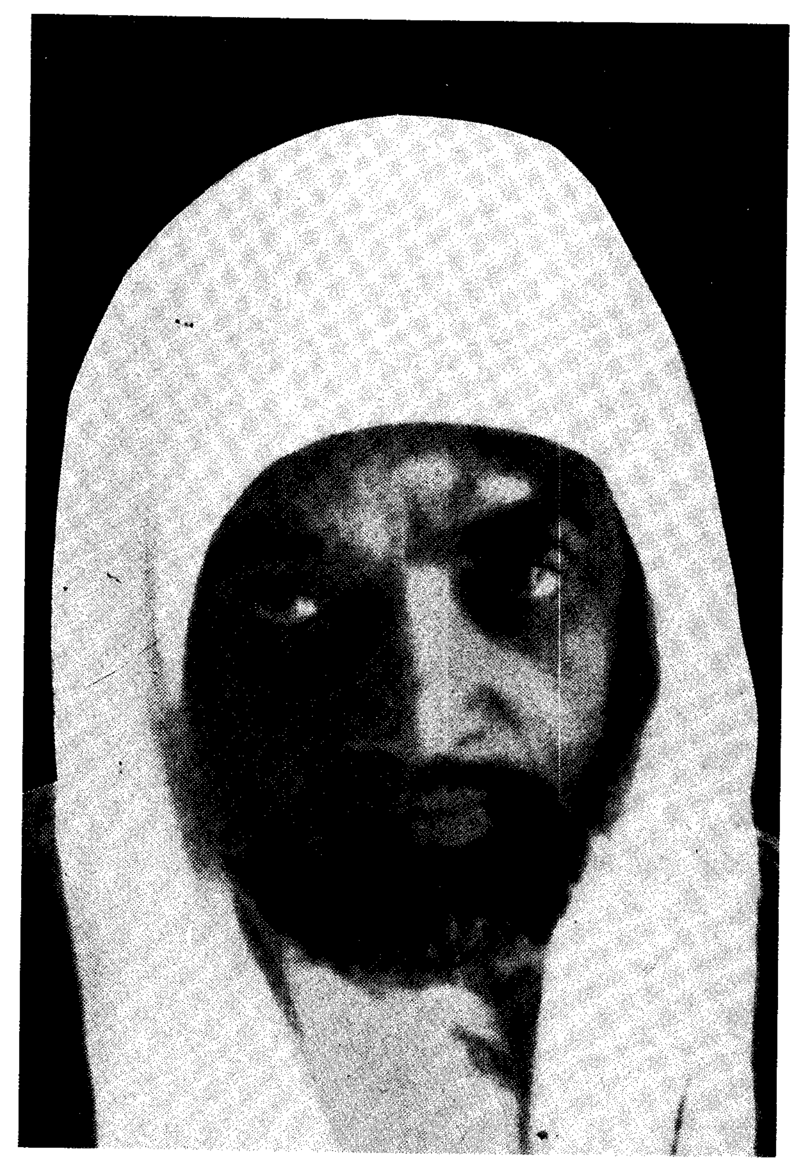


---

(١) افادة الأنام مجلد ٣ ص ٣٣٣/٣٣٥ .
(٢) افادة الأنام مجلد ٣ ص ٣٣٦/٣٣٧ .
(٣) بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٦ .
(٤) بدائع الزهور ص ١٠٥ .
(٥) سيرة وتراجم ص ٢٠٢ .




السيد محمود أحمد



السيد محمود أحمد

السيد محمود أحمد

أسمر اللون واسع العينين أقنى الأنف متوسط القامة ، أقرب الى النحافة منه الى الامتلاء ، تزين وجهه لحية سوداء تشمل الشارب والعارضين ، يرتدي العباءة ويسدل على رأسه شالاً أبيض بدون عقال ، وهو الزي الذي يتميز به رجال الدين والقضاة .

ولد السيد محمود أحمد سنة ١٣٠٨هـ بالهند وقدم مع والده الى المدينة وهو في الثامنة من العمر ، وتعلم بالمدرسة الاعدادية بالمدينة في العهد العثماني ، وتخرج منها سنة ١٣٢٥هـ ، وتابع دراسته في المسجد النبوي الشريف في حلقات الدروس على العلماء الذين كانت تملأ حلقاتهم رحاب المسجد الشريف .

وظائفه :

عمل كاتباً بالمحكمة الشرعية بالمدينة المنورة في العهد العثماني ، وفي العهد الهاشمي رُقِّي بأمر ملكي الى وظيفة رئيس الكتاب فيها .

ثم عين قاضيا بمدينة جدة عام ١٣٤٩هـ ولكن صحته توعكت فاستقال من وظيفة القضاء وعاد الى المدينة المنورة بعد عامين قضاهما في جدة .

وبعد عوته الى المدينة عين كاتباً للعدل بالمدينة المنورة ، وفي عام ١٣٦٤ عين عضواً في رئاسة القضاة بأمر ملكي .

ثم عين عضواً في المجلس الاداري وترأس مجلس الاوقاف بالمدينة المنورة ، كما ترأس المجلس البلدي بها[1] .

التجارة والتطوير :

المدينة المنورة كما هو معروف بلد زراعي ، تقوم حياة سكانه على الزراعة ، وعلى استقبال

---

(١) مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة ص ١٣/ ١٤ .

الوافدين اليه لزيارة المسجد النبوي الشريف ، والسلام على رسول الله صلوات الله وسلامه عليه .

وكانت الزراعة في المدينة المنورة تعتمد على الوسائل القديمة في ري المزروعات حيث تستخدم الحيوانات في سحب المياه من الآبار لري الزرع ، وشاهد الشاب السيد محمود ذلك ، ولكنه كان الى جانب عمله في المحاكم الشرعية وفي دوائر القضاة متفتح الذهن راغباً في ادخال التطوير المفيد ، وكان قد تعلم اللغة الانجليزية وكاتب بعض المصانع في انجلترا بحكم عمله التجاري الذي بدأه فقام باستيراد طلبات سحب المياه المزودة بمكائن رستن ، وجرى تركيب أولى المكائن في المدينة المنورة فأحدث هذا العمل ثورة في طرق الري التي كانت مستخدمة ، واتجه القادرون من أصحاب البساتين والزراع الى استخدام هذه الآلات في ري مزارعهم ، فكانت نقلة عظيمة في الري ، استخدمت فيها الآلة بدلا من الحيوان .

وكان السيد محمود أحمد هو رائد هذا العمل العظيم في المدينة المنورة .

ولم يكتف محمود أحمد بهذا ، ولكنه وقد رأى ما تفعله الآلة استورد أول آلة لطحن الحبوب ، بعد أن كانت المطاحن تدار كذلك بالحيوانات فحلَّت الآلة محلها ، وكان هذا تطوراً آخر أدخله محمود أحمد على حياة المدينة المنورة .

والصيف في المدينة المنورة شديد الحرارة تصل الحرارة فيه الى أعلى الدرجات فتتجاوز الأربعين درجة في الظهر والأصيل ، وهي في أشد الحاجة الى الوسائل التي تخفف هذه الحرارة على الناس ، واستورد السيد محمود أحمد أول مصنع للثلج في المدينة المنورة ، فكان بحق رائداً من الرواد أدخل الآلات في حياة الناس فاستغنوا بها عن استعمال الحيوانات ، وادخل الرفاهية الضرورية بايجاد الثلج ميسورا في المدينة المنورة يقبل الناس على شرائه واستعماله لمقاومة الحرارة الشديدة في الصيف .

قد يقول البعض ، ولكنه بادخاله هذه الآلات في المدينة المنورة ربح ربحاً عظيماً وجوابي على ذلك ، ان الربح حلال طيب ، وان هذا لا يطعن في ريادته في هذا المجال .

وقد يتمحك المتمحكون وما أكثرهم فيقولون انه احتكر استيراد هذه الآلات وتحكم في أسعارها .

وجوابي على هذا ان المصانع التي تنتج الآلات سواء لتوليد الكهرباء أو لرفع المياه أو لادارة المطاحن ، أو لصنع الثلوج تعد بالمئات ان لم تكن بالآلاف فلماذا لم يتقدم غيره للبحث عن هذه المصانع ويستورد منها كما استورد محمود أحمد ويثري كما أثرى ؟

وهنا يظهر الفارق بين العامل المُجِد ، وغيره من الناس .

وبعد هذه المقدمة التي رأيتها ضرورية بين يدي البحث أصل الى السبب الأعظم الذي دفعني للكتابة عن محمود أحمد ووضعه بين أعلام الرجال الذين أكتب عنهم وأترجم لهم في هذا الكتاب وما سبقه من أجزاء .

لمحمود أحمد مكرمة صنعها وأخفاها عن الناس ويأبى الله تعالى إلا أن يظهرها فالعمل الطيب كالعطر الزكي الرائحة لابد أن ينمّ عن نفسه ، فتظهر آثاره ويشتمّه الناس عطراً شذيا .

في عام ١٣٦٩ كان السيد محمود أحمد يتولى رئاسة مجلس الأوقاف في المدينة ورأى أن المكائن الكهربائية التي تضيء المسجد النبوي الشريف في حاجة الى تقوية فاستأذن الملك عبدالعزيز يرحمه الله أن يسمح له باستيراد مكينة كهرباء لتقوية الاضاءة ، وبعد حصوله على الاذن الملكي استورد على حسابه مكينة كهربائية بقوة مائتي كيلووات ، مع كافة مستلزماتها من تمديدات وكوابل ، واستورد معها مائتي مروحة هوائية ومصابيح الفلوراسنت ، وتم تركيب هذه المكنة ، كما تم تركيب المراوح والمصابيح الفلوراسنت لتقوية الاضاءة بالمسجد النبوي الشريف .

وقد أخبرني من أثق بروايته أن السيد محمود أحمد كتم هذا العمل عن الناس فلم يعلن عنه في الصحف ، ولم ينشر خبره بين الناس ، وانما بقي مكتوماً في دائرة ضيقة بين السيد محمود وموظفي الأوقاف الذين تسلموا المكينة الكهربائية والمراوح والمصابيح عمل هذا ابتغاء مرضات الله تعالى ، ورغبة فيما عنده ، وتعبيراً عن حبه العظيم للرسول صلوات الله وسلامه عليه وتعلقاً بمسجده الشريف ، وقد رأيت بهذه المناسبة أن نستكمل الحديث عن اضاءة المسجد النبوي الشريف بالكهرباء فأقول :

اضاءة المسجد النبوي بالكهرباء :

في الجزء الثاني من أعلام الحجاز ذكرت عن انارة المسجد النبوي الشريف بالكهرباء مايلي :

كانت الاضاءة في المسجد النبوي تعتمد على قناديل الزيت التي لا تزال بقاياها معلقة في العوارض الحديدية بين أعمدة المسجد ، كما كانت الشموع توقد في المسجد للاضاءة الى جانب القناديل .

وأول من أضاء المسجد النبوي الشريف بالكهرباء هو السلطان عبدالمجيد الثاني العثماني الذي بعث مكينة كهربائية لاضاءة المسجد ، وكان بدء الانارة فيه بالكهرباء يوم ٢٥ شعبان ١٣٢٦ للهجرة ، وهو يوم الاحتفال بافتتاح سكة حديد الحجاز بالمدينة المنورة[١] .

ويقول السيد حبيب محمود أحمد رئيس مجلس الأوقاف الأعلى بالمدينة المنورة عن هذه المكينة أنها كانت من مصنع رستن الانجليزية وانها كانت تدار بغاز الفحم ، وقد وردت هذه المكينة مع كافة اللوازم للاضاءة ، وانه تم بناء محطة توليد الكهرباء شمال المسجد الشريف في المنطقة المعروفة بدار الضيافة ، وبعد إكمال التمديدات والتجهيزات أضيء المسجد النبوي

---

(١) اعلام الحجاز ٢ ص ٢٠٥ .

الشريف بالتيار الكهربائي لأول مرة ، ثم ألحق السلطان ذلك بمحرك آخر من مصنع تانجي الانجليزي ، وكان المحركان يتناوبان على العمل[1] .

وذكرنا في الجزء الثاني من أعلام الحجاز :

ان الحاج الشاوي الجزائري - ويسميه السيد حبيب أحمد - ابشاري الجزائري ، أهدى للمسجد النبوي الشريف مكينة جديدة لاضاءته بعد أن ظلت المكائن المرسلة من السلطان العثمانية تعمل أكثر من ربع قرن وتم وصول المكينة المهداة من الحاج ابشاري أو الشاوي سنة ١٣٥٣ للهجرة[2] .

وكذلك أهدى الوزير المصري الأسبق أحمد حمزه مكينة كهربائية رائعة للمسجد النبوي الشريف بعد وصول المكينة التي أهداها الحاج الجزائري ، فيكون مجموع المكائن الكهربائية الى ذلك الوقت أربع مكائن كهربائية[3] .

وفي عام ١٣٦٩هـ أهدى السيد محمود أحمد المكينة الكهربائية التي قدمنا الحديث عنها ،وفي عام ١٣٧٤هـ قامت الدولة بانشاء محطة خاصة لاضاءة المسجد النبوي الشريف ضمن مشروع التوسعة الاولى للمسجد النبوي الشريف ، والتي كانت نواة لتأسيس شركة كهرباء المدينة المنورة[4] .

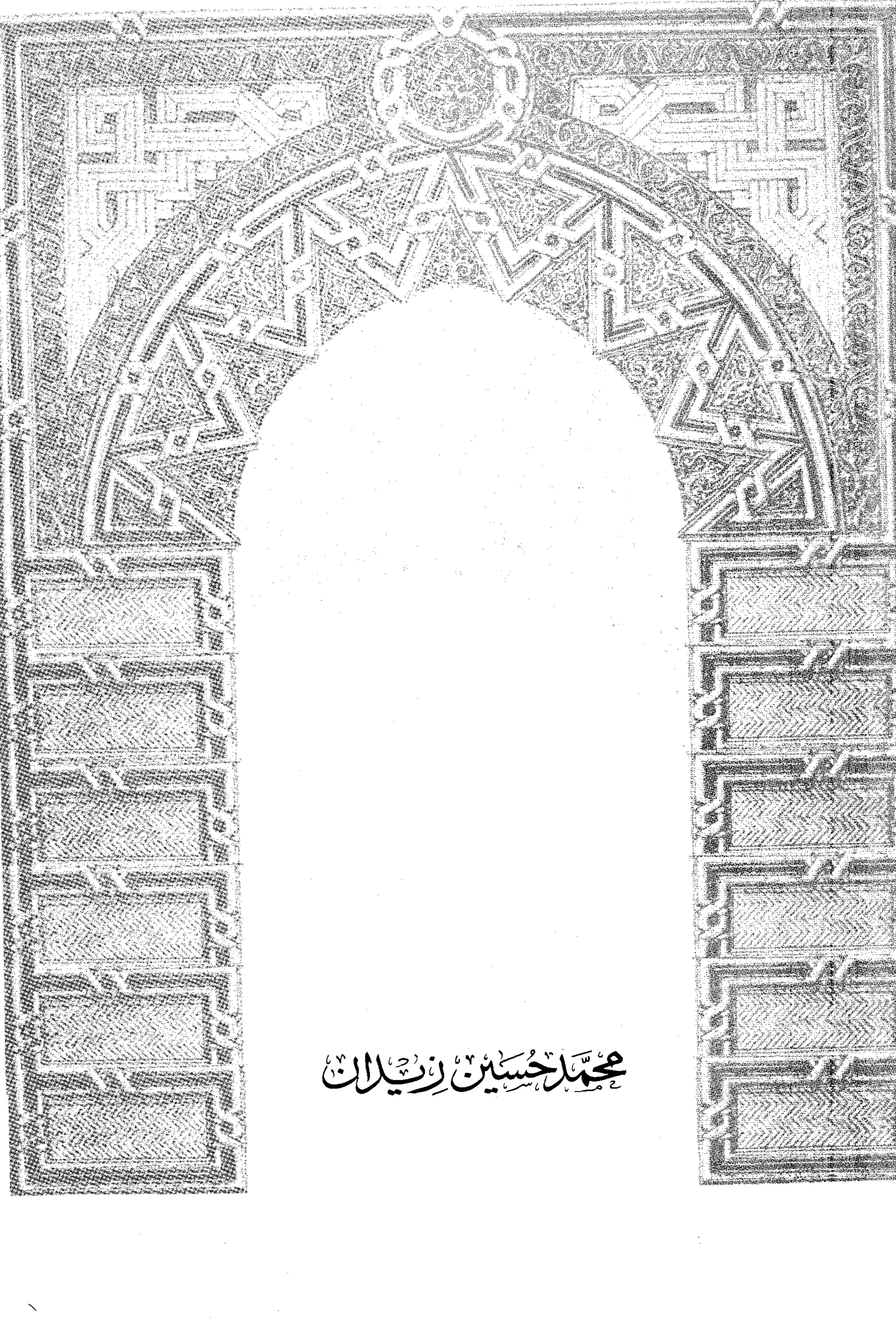
وبهذا الايضاح التفصيلي نكون قد استكملنا ايراد ما يتعلق باضاءة المسجد النبوي الشريف بدءاً من سنة ١٣٢٦هـ الى انشاء المحطة الكهربائية الخاصة به من قبل الحكومة السعودية سنة ١٣٧٤هـ ، ثم تأسيس شركة كهرباء المدينة المنورة .

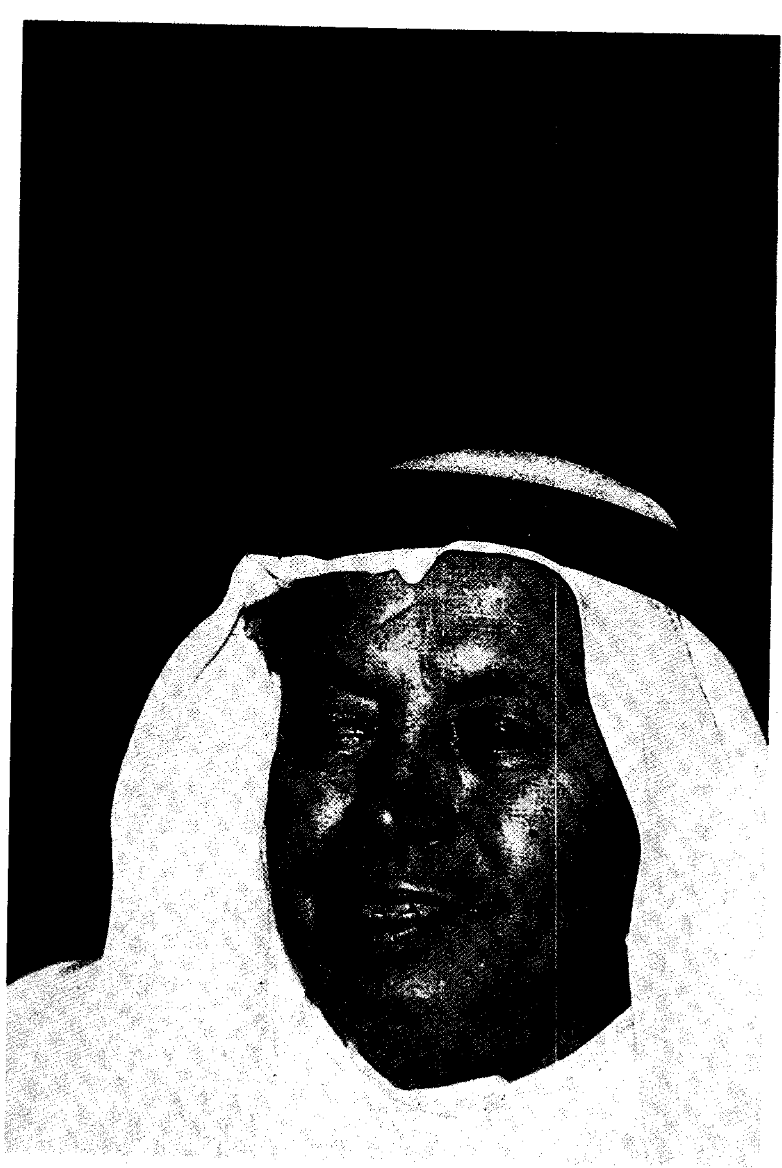
وفاة السيد محمود أحمد :

مرض السيد محمود أحمد مرضاً طويلاً ، وقاوم كل المحاولات التي بذلت معه للعلاج في خارج المدينة الى أن وافاه الأجل المحتوم في ٢٤ ربيع الثاني سنة ١٣٩٢هـ ، ودفن بها كما كان يتمنى رحمه الله رحمة واسعة ، انه سميع مجيب .



(١) من رسالة خاصة من السيد حبيب محمود أحمد الى المؤلف .
(٢) أعلام الحجاز ج ٢ ص ٢٠٥ .
(٣) رسالة خاصة من السيد حبيب محمود أحمد الى المؤلف .
(٤) رسالة خاصة من السيد حبيب محمود أحمد للمؤلف .


محمد حسين زيدان



محمد حسين زيدان

محمّد حسَين زيدان

أصفر اللون ، متوسط القامة ، واسع العينين ، حليق اللحية والعارضين ، كان نحيف البدن في شبابه فلما علت به السن صار أقرب الى الامتلاء ، وفي السنوات الأخيرة من عمره عشي بصره فكان يرى الأشباح ولكنه لا يميز التفاصيل ، ولكن مرض عينه لم يقعده عن الحركة والعمل ، فكان يملي ما يريد أن يكتب ، ويزور من يحب زيارته وكان يرافقه غالباً صديق عمره السيد يسن طه ، مدَّ الله في حياته .

ولد بالمدينة المنورة سنة ١٣٢٥ للهجرة ، وتلقى تعليمه في الكُتَّاب مثل أبناء جيله في ذلك الزمن ، والتحق بالمدرسة الراقية الهاشمية وتخرج منها سنة ١٣٤٣ هـ كما درس على المشايخ في حلقات المسجد النبوي الشريف ، وعمل بالتدريس في المدرسة السعودية بالمدينة مدرساً للمواد الدينية والتاريخ سنة ١٣٤٦ هـ ، ثم قام بتدريس العقيدة السلفية في دار الأيتام بالمدينة المنورة ، ثم عين مديراً مساعداً لها واستمر عمله بالتدريس الى سنة ١٣٥٨ هـ .

وانتقل الزيدان من المدينة المنورة الى مكة المكرمة سكرتيراً لشيخ مشايخ الجاوه الشيخ / حامد عبدالمنان في النصف الثاني من الخمسينات ولعل ذلك كان سنة ١٣٥٨ هجرية(١) .

ثم انتقل الى العمل الحكومي عام ١٣٥٨هـ ، فعين سكرتيراً للمجلس المالي بوزارة المالية ، فرئيساً للقسم الحسابي ، ثم رئيساً للمحاسبة .

ثم عين مديراً عاماً مساعداً لمديرية الحج بمكة ، وانتقل بعدها مديراً لمالية مكة ، ثم مديراً عاماً لشئون الرياض ، ثم مفتشاً عاماً للحج .

وترك العمل الحكومي في سنة ١٣٧٤ ليتفرغ للعمل الصحفي فشغل منصب مدير تحرير جريدة البلاد ، ثم رئيساً لتحريرها ، كما ترأس بعدها تحرير جريدة الندوة وكان خلال رئاسته لتحرير الصحيفتين وبعدها كاتباً بارزاً في الصحف ، وفي صحف المنطقة الغربية خاصة .

---

(١) ذكريات العهود الثلاثة ص ٥ .

كان الزيدان يرحمه الله صاحب ثقافة موسوعية ، وكان فصيح اللسان قوي الجنان خطيباً مفوهاً ، اذا اعتلى المنبر ارتجل فأسمع وأبدع ، وحينما بثت الاذاعة ثم التلفزة براجمها كان هو أحد فرسان الكلمة ، بل كان من أحب المتحدثين الى السامعين والمشاهدين ، واني لأذكر برنامجه الناجح في سير الصحابة الذي كان يبثه التلفاز في شهور رمضان لسنوات مضت ، ثم توقف مع انه كان من أنجح البرامج التلفزيونية وأحبها الى الناس .

وقد جمع الزيدان يرحمه الله أحاديثه في هذا البرنامج وأضاف اليها ما يماثلها ونشرها في كتاب سماه « سيرة بطل » وحينما تأسست رابطة العالم الاسلامي عمل الزيدان مساعداً لأمين عام الرابطة .

وحينما انشئت دارة الملك عبدالعزيز بالرياض عين عضواً في مجلس ادارة الدارة ، وكان لمكانته الثقافية أكبر الأثر في اختياره لهذا المنصب .

ثم عين رئيساً لتحرير مجلة الدارة ، وهي مجلة تعنى بالآثار التاريخية للمملكة سياسية وثقافية وعمرانية ، وكان الزيدان يرحمه الله يمثل مجلة الدارة في الندوات العلمية والمؤتمرات[١] أصدر الزيدان ثمانية عشر كتاباً نورد أسماءها فيما يلي :

مؤلفات الزيدان :

- سيرة بطل .
- أشياخ ومقالات .
- تمر وجمر .
- محاضرات في الثقافة .
- بنو هلال .
- عبدالعزيز والكيان الكبير .
- المنهج المثالي لكتابة التاريخ .
- صور .
- كلمة ونصف .
- خواطر مجنحة .
- قضايا ومقالات في الشرق الأوسط .
- العرب بين الارهاص والمعجزة .
- رحلات الأوربيين الى نجد وشبه الجزيرة العربية .
- ذكريات .
- فواتح مجلة الدارة .
- مع الأيام .

(١) استقيت هذه المعلومات من رسالة ابنه الاستاذ حسين محمد زيدان بتاريخ ١٤١٤/٢/٧هـ .

ـ المقالات .

مخلاة الكاتب كشكول القارىء ، وقد صدر منه الجزء الأول والثاني ، وهناك خمسة أجزاء معدة للطبع كما ذكر لي نجله الكريم الاستاذ/ حسين زيدان .

ذكرياتي عن الزيدان :

عرفت الاستاذ/ محمد حسين زيدان أول ما عرفته كاتباً في الصحف يتميز باسلوب فريد ، فقد كان أحد كتاب جريدة المدينة المنورة حين صدورها فى ٢٥ محرم سنة ١٣٥٦هـ بل كان أحد أفراد هيئة التحرير ، كما ذكر الاستاذ عثمان حافظ[١] .

كما أنه كان يرسل مقالاته الى جريدة صوت الحجاز في مكة المكرمة .

وعرفته كذلك من رسائله التي كان يبعث بها الى الشيخ محمد سرور الصبان الذي كان يتلقى الرسائل من الناس على مختلف طبقاتهم ، حينما كنت أعمل سكرتيراً خاصاً له منذ نهايةب عام ١٣٥٥هـ في مكة .

وحينما وصل الزيدان الى مكة سنة ١٣٥٨هـ للعمل في مكتب الشيخ حامد عبدالمنان شيخ مشايخ الجاوه اذ ذاك كان يسكن في بيت الشيخ حامد عبدالمنان في سوق الليل ، وكان منزل الشيخ محمد سرور يرحمه الله على بعد خطوات من منزل الشيخ عبدالمنان .

وكان الزيدان يتردد على مكتب الشيخ / محمد سرور ، وكنت أرى الزيدان كثيراً في تلك الأيام .

كان قد ترك المدينة المنورة ، وله فيها ذكريات وصداقات ، ذكريات عزيزة وصداقات حميمة ، وكان يشعر بشيء من الوحشة أول مقدمه الى مكة ، وكان يتحدث عن المدينة والعواطف تتدفق في كلماته ، والشوق يتجلى في ذكرياته ، فكان يخرج معنا في الأصائل والأماسي الى ظاهر مكة في المسفلة وجرول ، وكنا مجموعة من الأدباء الشباب اتفقت مشاربهم ، وتشابهت آمالهم ، يتحدثون عما قرأوا ويزجون أوقات فراغهم في هذه المجالس التي تضمهم في المساء وصدر الليل .

وحينما حل الصيف كان الزيدان أحد أفراد هذه المجموعة التي تجتمع أصيل كل يوم في الطائف في قروة في سفح جبل السكارى ، وفي الفضاء الفسيح الممتد أمام الثكنة العسكرية هناك .

وحينما دعوته أول مرة الى بيتي في الطائف ، ورأى الجبل شامخاً وهو يجلس في الروشان قال لي ان هذا المنظر يذكرني بالمدينة وجبالها . .

ما أكثر ما كانت المدينة في قلب الزيدان وفي روحه يرحمه الله ، وكتابه ذكريات العهود الثلاثة من أمتع ما كتب عن المدينبة وسأتحدث عنه حينما نتحدث عن مؤلفاته يرحمه الله .

---

(١) تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية ج ١ ص ١٦٢ .

كان يزورني ذات صباح في مكتب الشيخ محمد سرور الصبان بالقشاشية ، وكان له مكتب بها ، وكان هذا المكتب في مواجهة مدرسة الفلاح في مكة المكرمة .

وكان الحاج محمد على زينل مؤسس الفلاح يرحمه الله قد وصل الى مكة لزيارة المدرسة في ذلك الصباح ، وكنت أرغب في السلام عليه ، فاصطحبت الزيدان يرحمه الله وذهبنا الى مدرسة الفلاح ، كان الحاج محمد علي زينل يرحمه الله قد سبقنا الى الوصول الى المدرسة ، وكان وصحبه يجلسون في صالة الاستقبال ، وكلمات الترحيب تلقى أمامه من الطلبة والمدرسين ، وكان السيد محمد علوي مالكي يرحمه الله استاذاً بمدرسة الفلاح كما كان من قبل تلميذاً بها ، ووقف السيد علوي أمام مؤسس الفلاح وقفة التلميذ أمام الاستاذ ، فقد كان الجميع يقرون له بالفضل ، ويعدُّونه الأب الروحي لهم .

وقف السيد علوي مالكي أمام مؤسس الفلاح يلقي كلمة كلها الثناء والاعزاز والحب والتقدير .

وانتفض الزيدان يرحمه الله وكان الى جانبي واندفع يرتجل خطاباً يتساءل فيه ويوجه الخطاب الى مؤسس الفلاح وكأنه يقول له : من أنت الذي يقف هذا العالم الجليل بين يديك ليرتِّل لك آيات الثناء .

ورد الحاج محمد علي زينل بأدبه الجم وتواضعه الكبير على الزيدان يؤيده ويقول :

نعم من أنا حتى يقوم السيد علوي مالكي العالم الفاضل الجليل ليثني عليَّ وماذا أكون الى جانب علمه وفضله ، ودينه وتقواه . . . ؟

هكذا كان الزيدان اذا انفعل لا يملك زمام نفسه . . . ؟ وهكذا كانت ملكته الخطابية وقدرته على الارتجال تفسحان له مكاناً للخطابة والكلام . . . ؟

لم يكن الزيدان قد عرف مقدار الحب العظيم الذي كان يحظى به مؤسس الفلاح في مكة وجدة اللتين حظيتا بمدارسه العظيمة فيهما .

كان الزيدان مدنياً ـ مدني المولد والنشأة والهوى ـ ولم يكن الحاج محمد علي زينل معروفاً في المدينة بمقدار عرفان الناس له في مكة وجدة ، ولهذا فقد كان استغراب الزيدان ان يقف السيد محمد علوي مالكي « وكانت شهرته بالعلم والفضل تعم الحجاز كله » كان استغرابه عظيماً أن يقف هذا العالم الجليل وقفة التلميذ أمام مؤسس الفلاح وعلى أي حال فان الزيدان يرحمه الله أخذ من هذه الوقفة الدليل على عظمة مؤسس الفلاح ، واستحقاقه لما لقي ويلقى من حفاوة وتقدير .

محاضرات جمعية الاسعاف بمكة :

وعلى ذكر ملكة الزيدان الخطابية ، فقد كانت تعقد في جمعية الاسعاف بمكة المكرمة محاضرات أسبوعية يدعى اليها العلماء والأدباء والمؤرخون ليحاضروا فيها ، وكان يجتمع لسماع هذه المحاضرات جمع غفير وقد أصدرت جمعية الاسعاف ـ التي تحولت فيما بعد الى

جمعية الهلال الأحمر ـ أصدرت كتاباً ضم بعض المحاضرات التي ألقيت في الجمعية ، وكان من أبرز محاضريها السيد محمد شطا يرحمه الله ، وكان يتحدث في محاضراته عن قصص الأنبياء ، كما كان من أبرز المحاضرين الدكتور الفلسطيني حسني الطاهر ، وكان يعمل في مستشفى أجياد في مكة المكرمة ، ومن المحاضرين الذين تحدثوا في الجمعية السيد صالح شطا ، والشيخ أحمد ابراهيم الغزاوي وكانت محاضراته بعنوان « ما نحن أحوج اليه » وقد ألقى بها الأديب الجهير حمزة شحاته محاضرته الطويلة الرجولة عماد الخلق الفاضل والتي استمر في القائها حوالي الخمس ساعات وقد طبعت في كتاب خاص أصدرته شركة تهامة سنة ١٤٠١هـ ، وكان لي شرف القاء محاضرة فيها عن شعر الغزل والشعراء الغزلون قديما في الحجاز ، وقد بحثت عن هذه المحاضرة بين أوراقي فلم أجدها ، فلم أكن احتفظ بما أكتب وأنظم إلا في السنوات الأخيرة .

وقد ألقى الزيدان في جمعية الاسعاف محاضرة بعنوان رعاية الشباب ، وكان يرتجل الكلام ولا يستعين بأوراق مكتوبة ، كما يفعل الكثيرون من الخطباء ، وهي مقدرةٌ يعد الزيدان فيها واحداً من أفراد قلائل كانوا قادرين على الارتجال في ذلك الزمان .

ذكريات الزيدان :

كتاب الزيدان ذكريات العهود الثلاثة من أمتع ما كتبه الزيدان ، فقد امتد به العمر ليشهد العهد العثماني والعهد الهاشمي ثم العهد السعودي في الحجاز ، وقد اختزنت ذاكرته القوية أحداثاً كثيرة في هذه العهود مما رأى وسمع ، وأضاف الى ذلك رحلات عديدة ، وقراءات موسوعية كثيرة .

فسرد هذه الذكريات في مقالات نشرها في جريدة المدينة ، وربما في غيرها من الصحف ، ثم طبعها في كتاب ، وقد رأيت أن أشرك القراء في بعض هذه الذكريات الغنية بالمعلومات التاريخية والطرائف ، وان كنت أفضل أن يقرأها القراء بقلم الزيدان يرحمه الله .

والآن الى بعض هذه الذكريات .

المخزن :

يقول الاستاذ/ محمد حسين زيدان ان من الآثار التي تركها حكم محمد علي باشا رأس الاسرة الخديوية الحاكمة في مصر ، من الآثار التي تركها في المدينة ـ المقاس المعروف بالمخزن ـ أي تقسيم الأرض الى مخازن ، والمخزن هو ستة أمتار في سبعة أمتار ومجموعه اثنان وأربعون متراً ، وهذا المقاس يساوي واحد في المائة من مساحة الفدان[1] .

أقول : ان الأراضي تباع في جميع أنحاء المملكة بالمتر بينما ان البيع بالمخزن هو السائد في المدينة المنورة ، ولعل بقاء هذا الاصطلاح في المدينة يرجع الى طبيعة أرضها الزراعية فان حكم محمد علي باشا لم يقتصر على المدينة وحدها وانما عمَّ الحجاز كله .

---

(١) ذكريات العهود الثلاثة ص ٣٠ .

الوظائف في عهد محمد علي باشا :

السباهية : يعني الخيالة .

القلعجية : يعني حماة القلعة .

النوباتشية : حماة الأبواب .

البيرقدارية : أصحاب البيرق ـ العلم والبنديرة أو الرايه .

باب عرب : وهو الذي ينتهي اليه أمر القبائل العربية اذا ما اختلفوا يحكمونه[١] .

باب المجيدي :

كان المحل الذي يسمى باب المجيدي في الوقت الحاضر هو وادي مشعط[٢] .

مدحت باشا أبو الدستور :

كان مدحت باشا يلقب في دولة الخلافة العثمانية بأبي الدستور ، فقد أصدر الدستور العثماني في أواخر سنة ١٢٩٣هـ الموافقة لسنة ١٨٧٦ ميلادية حينما تولى منصب الصدارة العظمى في الاستانة ، ولكن السلطان عبدالحميد عزله من منصبه وانتهى به الأمر الى أن نفي الى مدينة الطائف بالحجاز ، وبقي فيها بضع سنوات ، ثم قتل غدراً بأمر السلطان[٣] .

يقول الاستاذ/ محمد حسين زيدان : ان جثمان مدحت باشا دفن في الطائف أمام باب الريع ، وان مصطفى كمال أرسل وفداً الى الملك عبدالعزيز يرحمه الله لنبش القبر واستلام جثمانه والعودة به الى تركيا ، وان مكان القبر لم يعرفه الا محمد خوجه وكمال خوجه ، فقد دلاّ الوفد التركي على مكانه ، فنبشوا القبر وحملوا الرفات وعادوا بها الى تركيا[٤] .

محمد خوجة وكمال خوجة كانا من أصل تركستاني وكان لهما محل كبير للخياطة في محلة أجياد ، وقد توفيا الى رحمة الله تعالى ، ومن أبنائهم الآن الأطباء ورجال الأعمال ، والسفير السعودي حالياً في موسكو الاستاذ/ عبدالعزيز خوجه هو ابن أخيهما محيي الدين ، وكانا يصيِّفان بالطائف كل عام ، ولابد أنهما علما بموضع قبر مدحت باشا فدلا عليه .

عبدالحميد بدوي باشا :

كان عبدالحميد بدوي باشا القاضي المصري في محكمة العدل الدولية في لاهاي من أعظم رجال القانون في العالم ، حتى اختير لهذا المنصب الرفيع بعد أن تدرج في الوظائف القضائية الكبرى في مصر ، وكان أبوه محمد بدوي من محبي المدينة المنورة والمترددين عليها ، وقد تلقى

---

(١) ذكريات العهود الثلاثة .

(٢) نفس المصدر ص ٢٦ .

(٣) انظر تفصيل ذلك في الاعلام ج ٧ ص ١٩٥ .

(٤) ذكريات وعهود ص ٣١ .

عبدالحميد بدوي وهو طفل تعليمه التحضيري في المدينة المنورة ، يقول الاستاذ/ محمد حسين زيدان عنه ، قال الدكتور طه حسين وهو يقدمه حين اختياره عضواً في مجمع اللغة العربية في مصر :

لقد حَفَّتْه بركة المدينة حيث أول ما فكَّ الحرف فيها[1] .

الداودية :

نسبة الى داود باشا الوالي التركي الذي ثار على السلطان العثماني وأسس ملكاً في العراق ، وصك عملة في أحد وجهيها ـ ياداود انا جعلناك خليفة في الأرض ـ وقد انتصر السلطان على داود باشا وأسر ورحّل الى المدينة المنورة ، فبستان الداودية خارج باب الشامي ، كان باسمه ، ويقول الاستاذ الزيدان : ولا أدري هل الداودية في مكة مثل الداودية بالمدينة أم هو داود آخر[2] .

أقول : الداودية في مكة ـ أو مدرسة الداودية بناها الملك المنصور عمر بن علي صاحب اليمن ـ بين مدرستي دار السلسلة وطاب الزمان ـ وكانت عمارتها في سنة ستمائة واحدى وأربعين ، وتعرف الآن بالداودية أوقفها الملك المنصور على الفقهاء الشافعية والمحدثين[3] .

الخديوي عباس يبتعث طلاباً من الحجاز الى مصر :

ذكر الاستاذ/ محمد حسين زيدان ان الخديوي عباس حينما حضر الى الحج سنة ١٣٢٨هـ ابتعث من مكة عبدالرؤوف الصبان للدراسة في مصر ، كما ابتعث من المدينة حسن ناصر بن دياب ناصر ، وقال الزيدان تعليقاً على ذلك : كان يقلد السلطان عبدالحميد ، يريد أن يجمع حوله رجالاً من هنا وهناك[4] .

أوائل المبتعثين من الحجاز :

أما أوائل المبتعثين من الحجاز فقد كانوا في أواسط العشرينات في عهد الدولة العثمانية ، أولهم جميل أحمد شقيق أحمد الفيض آبادي مؤسس مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة ، وحسين طه وأحمد أبوبكر حمد الله ، ومحمد المغيربي وعبدالقادر عبدالجواد[5] .

طلب فصل المدينة عن مكة في العهد العثماني :

يقول الاستاذ/ محمد حسين زيدان ما ملخصه :

كانت المدينة المنورة تابعة لشريف مكة في العهد العثماني ، فلما وصل قطار السكة الحديدية

---

(١) ذكريات العهود الثلاثة ص٣٣ .
(٢) ذكريات العهود الثلاثة ص ٣٣ .
(٣) انظر ترجمة الشيخ عبدالله الغازي في القسم الخاص بالمدارس في هذا الكتاب .
(٤) ذكريات العهود الثلاثة ص ٣٨ .
(٥) نفس المصدر ص ٣٨ وانظر ترجمة محمد المغيربي في الجزء الثالث من أعلام الحجاز ص

بين الشام والمدينة ، أراد الاتحاديون أن يفصلوا المدينة عن سلطة شريف مكة ويلحقونها بالشام ، فانتدبوا علي رضا الركابي ، وهو من نوابغ الضباط السوريين ، وكان لم ينضم الى القوميين العرب ، وانما بقي ولاؤه خالصاً للعثمانيين .

انتدب الاتحاديون علي رضا الركابي فجاء الى المدينة وسعى لتحقيق طلب الانفصال ، يقول زيدان : فالقدامى من الأسر لم يلّبوا طلبه ، والمحدثون منهم كانوا له ، ولم يشذ عن الأسر القومية إلا الشيخ أبوالحسن السمان .

استطاع الركابي أخذ تواقيع أهل المدينة الذين أشرنا اليهم على مضبطة يطلبون فيها فصل المدينة عن مكة وضم المدينة الى الشام ، وكانت الأسباب التي استندوا اليها هي سرعة الاتصال ، القطار والتلغراف .

وكان وصول التلغراف الى المدينة سنة ١٣١٨هـ ، وكان في خفارة علي ناصر .

يقول زيدان : وتم فصل المدينة ، والواقع أن ذلك قد يسَّرَ كثيراً من الأعمال بينها شريف مكة الحسين بن علي يرحمه الله قد غضب ، فعاتب السمان لأنه ابن لصديقه ، كان مُرًّا في عتابه ، وقاسياً في شكيمته ، ولكن لا حول ولا قوة له ، فمضى الأمر(١).

احسان الله البواب الجاسوس :

عرفت وعرف معي أهل جدة احسان الله الهندي الذي كان يعمل نائباً للقنصل الانجليزي بجدة في أواخر العهد الهاشمي وأوائل العهد السعودي ، وكان رجلا عظيم النفوذ لدى الانجليز ، أو هكذا كان يتصوره الناس وخصوصاً أولئك الذين ترتبط مصالحهم بحجاج الهند ، وكانت الهند مستعمرة انجليزية ، وكنت اسمع الناس يتحدثون عن احسان الله هذا ويصفونه بأنه كان بواباً في المسجد النبوي الشريف لسنوات طويلة بالمدينة المنورة ، وقد أيَّد الاستاذ حسين زيدان هذه الرواية وذكر عنها ما خلاصته :

انه رجل من مسلمي الهند بقي مدة ثمانية عشر عاماً في المدينة المنورة بواباً على باب النساء أحد أبواب المسجد النبوي ، وتربطه صلات قرابة بكل من : عبدالحق النقشبندي ، وعبدالحميد عنبر من جهة النساء ، وكانت هذه القرابة هي الساترة لأحواله ، ولم يعرف عنه أهل المدينة إلا أنه البواب على باب المسجد ـ وبواب المسجد هو الذي توضع لديه أحذية الداخلين الى المسجد لحفظها في أدراج خاصة خارج المسجد ـ الى جانب مراقبة ما يجب منع دخوله الى المسجد .

يقول الزيدان ما معناه :

وكم كان استغراب أهل المدينة الذين رحَّلهم فخري باشا الى الشام ومنهم زين صافي ، وزين مدني ، وأسعد طرابزوني وابراهيم شاكر وغيرهم ، كم كان استغرابهم عظيما حينما

---

(١) ذكريات العهود الثلاثة ص ٤١/٤٢ .

احتل فيصل بن الحسين دمشق بعد أن نزح عنها جمال باشا وحين دالت دولة الأتراك ، وجاء المرشال اللنبي الى دمشق ليوطد الأمر لفيصل رأى هؤلاء المدنيون احسان الله البواب على باب النساء ، ضابطاً كبيراً يدخل مع اللنبي . . . الخ[1] .

أقول :

ظل احسان الله يقوم بوظيفة نائب القنصل الانجليزي في جدة سنوات طويلة ، ثم نقله الانجليز منها الى عدن ، ورُحِّل ورحلت معه عائلته الى هناك ، ويبدو أن نقله الى عدن انما تم بعدما عرف عن صلته بالمخابرات البريطانية وشاع ذلك كثيرا ، وربما لأسباب أخرى والله أعلم .

الشيخ مخلوف والبشير الابراهيمي :

يقول الاستاذ/ محمد حسين زيدان ، اجتمع في حج أحد الأعوام في مخيام الشيخ محمد سرور الصبان وزير المالية الأسبق الشيخ محمد حسنين مخلوف مفتي الديار المصرية في ذلك الزمان والشيخ البشير الابراهيمي الجزائري ، وكانوا ضيوفاً عليه في عرفات ، وأخذ المستفتون من الحجاج يتوافدون يسألون مفتي الديار المصرية عما يرغبون الاستفسار عنه من شئون الحج ، فكان الشيخ مخلوف يسأل السائل عن مذهبه ويجيب عليه بحسب مقتضى مذهبه وطلب البشير الابراهيمي من الشيخ محمد سرور اغلاق الصيوان بحيث لا يدخل أحد ، ثم وجه خطابه للشيخ مخلوف قائلا :

لماذا تسأل عن المذهب . . . ؟فأنت تعرف القاعدة ، العامي لا مذهب له ، المذهب للمفتي ، إن رأى مخرجا يَسَّرَ عليه ، وان رأى مسرفاً عسَّر عليه ، كلمة حق ينتصر به الحق ولا يهزم المذهب[2] .

الامام يعين بفرمان :

كانت الامامة في المسجد النبوي الشريف تتم بصدور فرمان من السلطان العثماني باسناد الامامة اليه ، وكانت الامامة دائماً لمن يتبعون الامام أبي حنيفة النعمان لأن السلطان العثماني والخديوي المصري يتبعان الامام أبي حنيفة ، فاذا صدر الفرمان بأن يكون ـ الأفندي ـ فلان اماماً ، فأبناؤه يرثون الامامة ، ولا يسألون أن يقوموا بالوظيفة فالواحد منهم ولو لم يفك الحرف ـ امام بالوراثة ، حتى اذا وصل اليه الترتيب لأداء الصلاة يتخذ قارئا ينوب عنه في أداء المهمة ، فهي مراتب افتخار يمتازون بها ويحرصون عليها .

---

(١) ذكريات العهود الثلاثة ص ٤٢/ ٤٣ .

(٢) ذكريات العهود الثلاثة ص ٤٤ .

فالصلاة الجامعة يؤديها الامام الحنفي ، وبعده يأتي الامام الشافعي يصلي بالذين لم يدركوا الجماعة الاولى ، وهو أيضاً صاحب رتبةٍ منح الامامة بالفرمان ، وان تخلف بعض المصلين يأتي امام على مذهب مالك يصلي في محراب المواجهة ، ولم يكن بالمدينة امام على مذهب الامام أحمد بن حنبل ، وذلك لأسباب سياسية في ذلك الزمان(١).

أقول :

أوردنا في الجزء الثاني من أعلام الحجاز نبذة عن الائمة في المسجد الحرام والمقامات الأربعة وفيها الكثير من المعلومات في هذا الباب(٢) .

الريال المجيدي :

السلطان عبدالمجيد العثماني هو الذي صك الريال المجيدي ، وكان التعامل قبله بالريال الفرنسي الذي جلبته الحملة الفرنسية على مصر والشام ، وليس هو ريالاً فرنسياً ، ولكنه ريال نمساوي عليه صورة الامبراطورة ماري تريزا امبراطورة النمسا .

ثم طبع السلطان عبدالمجيد الريال المجيدي ، والسلطان رشاد الريال الرشيدي .

أصناف العملة الذهبية :

الجنيهات الانجليزي والعثماني ، والمسكوفي نسبة الى موسكو ، والفرنسي واسمه المنتو وقد أطلق المغاربة اسم لويز على الجنيه الفرنسي يعني لويس .

وحينما وصلت الريالات الفرنسية الى سوريا ولبنان أطلق عليها السوريون واللبنانيون كلمة مصريات ومصاري لأن هذه العملة من بقايا حملة ابراهيم باشا على الدولة العثمانية(٣) .

هذا ما رأيت أن أشرك القراء في قراءته من ذكريات الاستاذ/ محمد حسين زيدان يرحمه الله في كتابه الممتع ذكريات العهود الثلاثة ، وكما ذكرت قبل فإني أفضل أن يقرأ القارىء الزيدان بقلمه وبأسلوبه الخاص الذي تفرد به وعرف عنه .

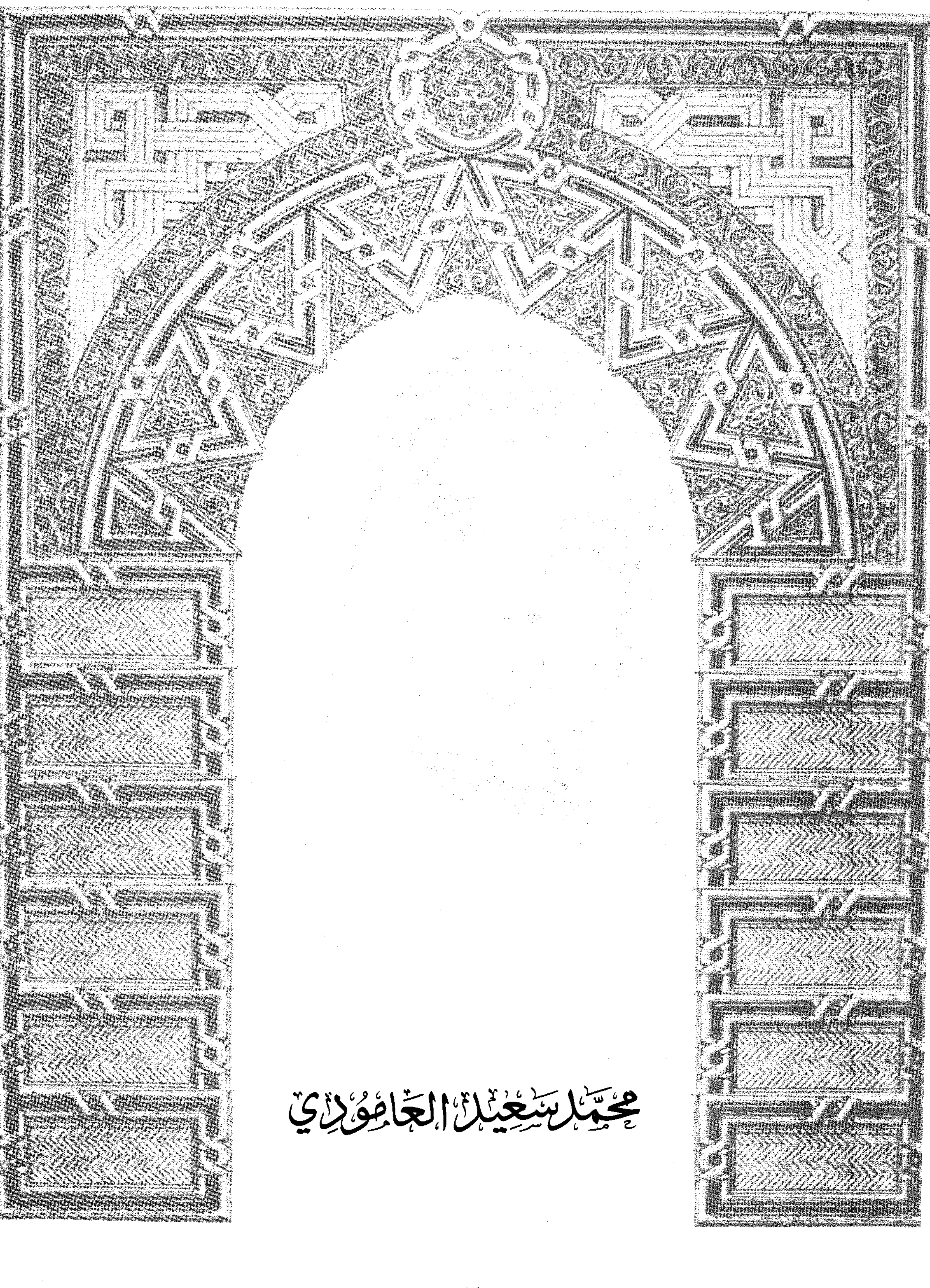
وفاة الزيدان :

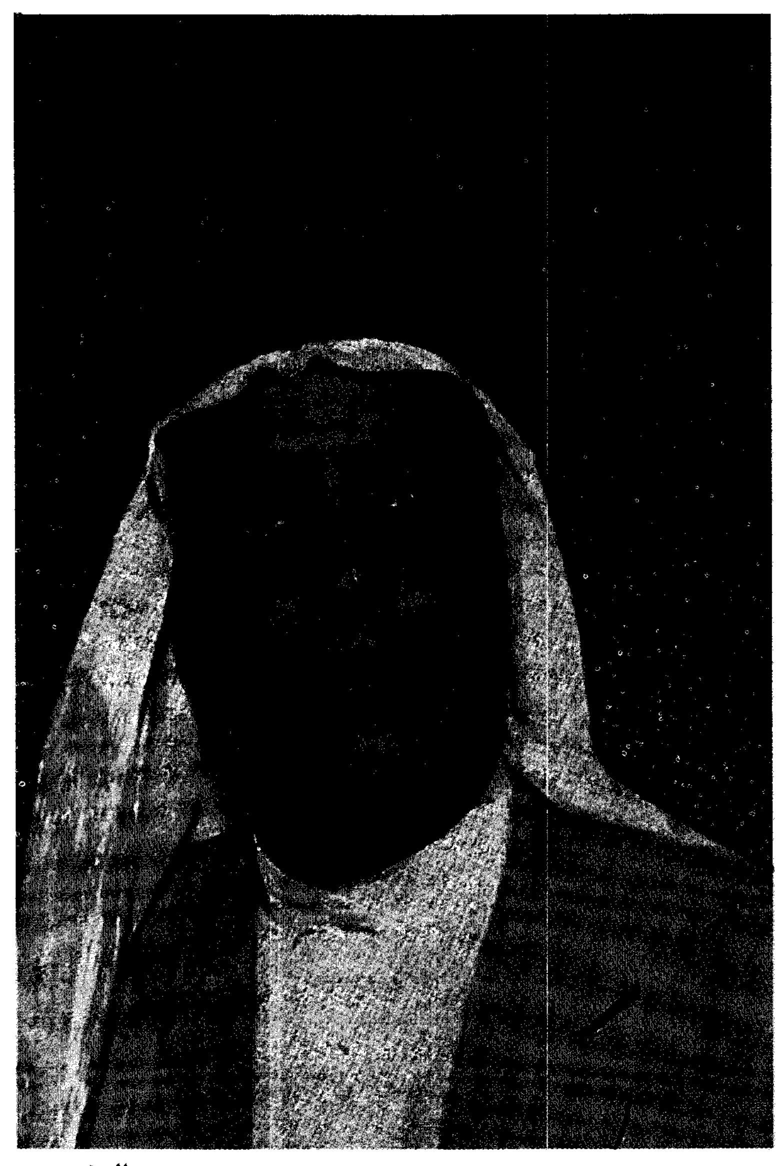
مرض الزيدان وتردد على المستشفيات ، وكان في أيامه الأخيرة قد غشيته كآبة رانت على نفسه ، وتوفي صباح السبت التاسع والعشرين من شهر شوال سنة ١٤١٢هـ ، تغمده الله برحماته الواسعة ، إنه كريم رحيم .



---

(١) ذكريات العهود الثلاثة ص ٤٦ .
(٢) أعلام الحجاز ج ٢ ص ٤٩/٣٦ .
(٣) ذكريات العهود الثلاثة ص ٥٦ .


محمد سعيد العامودي



محمد سعيد العامودي

محمّد سَعيد العَامودي

طويل القامة ، أسمر اللون ، أقرب الى النحافة منه الى الامتلاء ، أقنى الأنف ، ساجي النظرات ، حليق اللحية والشارب ، تلمح في وجهه سيماء الحياء المشوب بالوقار والاتزان .
ولد بمكة المكرمة سنة ١٣٢٣هـ ، وتعلم بمدرسة الفلاح وتخرج منها ، وعمل مع أبيه وكان تاجراً يشتغل بتجارة الأقمشة ، وله حانوت في السويقة ، وهي السوق الخاصة بتجار الأقمشة والعطور ، وقد أدخلت سويقة في المسجد الحرام في توسعته الاولى ، وكان موضعها مجاوراً للمسعى ولها مدخل من المسعى ، ومدخلها الآخر من الشبيكة .

وانتقل محمد سعيد العامودي من العمل مع والده الى الوظائف الحكومية فعمل في وظائف كتابية وادارية مختلفة منها رئاسة ديوان التحرير بمصلحة البريد والبرق العامة بمكة المكرمة ، وحينما صدرت جريدة صوت الحجاز اختير للاشراف على رئاسة التحرير لفترة قصيرة ، ولكنّ عمله الحكومي في ادارة البرق والبريد لم يسمح له بالاستمرار في العمل فيها .

واختير عضواً بمجلس الشورى فظل به لمدة ثلاث سنوات ، وقام بادارة ورئاسة تحرير مجلة الحج منذ عام ١٣٦٩هـ الى نهاية عام ١٣٩١هـ .

كما عمل في رئاسة تحرير مجلة رابطة العالم الاسلامي من عام ١٣٨٥هـ الى نهاية عام ١٣٩٨هـ ، والى جانب هذه الأعمال كانت له مشاركات في أعمال أدبية واجتماعية متنوعة .
فقد اختير من قبل وزارة المعارف مرتين لعضوية المجلس الأعلى للعلوم والآداب ، وكان من الأعضاء المؤسسين في لجنة مشروع القرش ، ولجنة النشر والتأليف ، ولجنة نشر مخطوطات التواريخ الحجازية ، قبل أن تتوقف هذه اللجان عن العمل .

كما شارك في الدورة الثقافية التاسعة ضمن وفد وزارة المعارف للجامعة العربية التي عقدت في سنة ١٣٧٤هـ .

وقام برحلات عديدة أثناء عمله الوظيفي والصحفي الى القاهرة وتونس وايران والجزائر[1].

مؤلفاته :

من تاريخنا : دراسات ، نشر عام ١٣٧٤هـ وأعيد طبعه باضافة فصول جديدة عام ١٣٨٧ وطبع الطبعة الثالثة سنة ١٤٠١ .

قام مع الاستاذ/ أحمد علي بتحقيق كتاب المختصر من نشر النور والزهر وظهرت طبعته الاولى سنة ١٣٩٨ وأعيد طبعه سنة ١٤٠٦هـ .

رباعياته : ديوان شعر نشر سنة ١٤٠١هـ .

رامز وقصص أخرى نشر سنة ١٤٠٣هـ .

من حديث الكتب ثلاثة أجزاء نشر سنة ١٤٠٣هـ .

من أوراقي : مقالات أدبية نشر سنة ١٤٠٤هـ .

بقية الرواد :

يعتبر الاستاذ/ محمد سعيد العامودي يرحمه الله البقية الباقية من جيل الأدباء الرواد في الحجاز ، وكثيراً ما قرأت في الصحف اسماءاً نُعِتَ أصحابها بأنهم من الرواد أو من الرعيل الأول للأدباء وهم مع احترامي لهم ومحبتي ليسوا كذلك .

وقد رأيت وأنا أتحدث عن الاستاذ/ محمد سعيد العامودي أن أتحدث عن جيل الرواد هذا وأن أذكر اسماءهم بالتحديد لايضاح الأمر من الناحية التاريخية على الأقل .

كان ظهور كتاب أدب الحجاز في سنة ١٣٤٤هـ وكتاب المعرض وكتاب خواطر مصرحة سنة ١٣٤٥ كان ظهور هذه الكتب الثلاث هو البشير بظهور جيل الرواد في الأدب في الحجاز .

هذه الكتب الثلاث قام باصدارها ونشرها معالي الشيخ محمد سرور الصبان يرحمه الله ، أما الكتاب الأول فقد قدم فيه قصائد لتسعه من الشعراء ، وأما الكتاب الثاني فكان سؤاله موجهاً الى الأدباء ، هل الأوْلى الالتزام في الكتابة باللغة العربية الفصحى أو الكتابة باللغة العامية ، وكانت قد انتشرت الدعوة الى الكتابة باللغة العامية بدعوى أن الناس أقدر على فهمها ، وقد أجاب على هذا السؤال ثلاثة عشر كاتباً وكانت اجاباتهم كلها الاصرار والالتزام بالكتابة باللغة الفصحى التي هي لغة القرآن ، وقد شارك في كتاب المعرض ثلاثة عشر كاتباً .

---

(١) جريدة عكاظ العدد ٨٩٧٩ ٣ شعبان ١٤١١هـ ، كتاب رباعياتي .

وأنقل هنا عن كتابي ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز الذي طبع طبعته الاولى في سنة ١٤٠١ هـ ما ذكرته عن الادباء الذين اشتركوا في الكتابين « فإذا استثنينا الاسماء المكررة التي شارك بعض أصحابها في كتاب أدب الحجاز خلص لنا ثلاثة عشر أديباً بعضهم يجمع بين الشعر والنثر والبعض الآخر ينفرد بالكتابة دون الشعر وهؤلاء هم الطلائع الاولى التي كانت بشيراً بميلاد الأدب الحجازي الحديث وهم الذين أطلق عليهم فيما بعد اسم الرعيل الأول ، بعضهم فرض اسمه على الحياة الأدبية الى أن أسلم الروح كالاستاذ/ محمد حسن عواد يرحمه الله ، وبعضهم لا يزال يعمل في صمت ودأب كالاستاذ/ محمد سعيد العامودي - أمد الله في عمره - وبعضهم استمر في العطاء طويلاً ثم توقف ، وأغلبهم فارق الحياة الدنيا وأصبح في ذمة التاريخ » .

هذا ما كتبته في ملامح الحياة الاجتماعية قبل ثلاثة عشر عاماً ، واذا كان لابد من ذكر الأسماء فإن الثلاثة عشر أديباً الذين ظهرت اسماؤهم في الكتابين هم :

الأساتذة :

عبدالوهاب آشي : كاتب وشاعر كان أحد ثلاثة تولوا الاشراف على جريدة صوت الحجاز حين ظهورها ، والراجح أن بعض قصائده جمعت في ديوان صغير .

محمد صبحي : وصل الى مكة صغيراً وتلقى تعليمه بها وربما يكون قد عاد الى سوريا بعد ذلك .

محمد حسن عواد : كاتب وشاعر ومؤلف ، وقد ترجمنا له في الجزء الأول من أعلام الحجاز[1] .

محمد عمر عرب : من أوائل من كتب الشعر المنثور ، وقد أجاد فيه كثيراً ولم تصدر له مؤلفات ، وقد عمل في ديوان النيابة العامة سنوات طويلة .

محمد صلاح خليدي : شاعر توفي في الخامسة والعشرين من العمر في مسقط رأسه في الهند .

عبدالقادر عثمان : كاتب كان يعمل في مكتب الحاج محمد علي زينل رضا مؤسس الفلاح ، وبعد عودته من الهند عمل في جدة .

عبدالوهاب النشار : كاتب شاعر ، عمل في التدريس بمدرسة الفلاح بجدة ، وتولى ادارتها وأخرج أجيالاً من المتعلمين ، ثم عمل في التجارة وتفرغ لها .

محمد جميل حسن : كاتب ومدرس ، وقد ترجمنا له في أعلام الحجاز[2] .

حامد كعكي : كاتب ، وكان يعمل في قسم التحريرات بوزارة المالية بمكة المكرمة .

عثمان قاضي : كاتب من مدينة الطائف ، كان مديراً لادارة البرق والبريد بها وتوفي شاباً .

---

(١) أعلام الحجاز ج ١ ص ١٧٩/٢١٨ .

(٢) أعلام الحجاز ج ١ ص ١٦٩/١٧٥ .

محمد البياري : كاتب شاعري الأسلوب عمل في ديوان النيابة العامة ، وليس له مؤلفات .

محمد علي رضا : كاتب عمل في الوظائف الحكومية ، وآخرها كان في مديرية الأوقاف بمكة ، وليس له مؤلفات .

عبدالله فدا : كاتب ، كان يعمل في تجارة الكتب وله حانوت لبيع الكتب في باب السلام بمكة المكرمة ، وليس له مؤلفات .

محمد سرور الصبان : كاتب وشاعر مقل واليه يرجع الفضل في التعريف بالأدب الحجازي وكانت له في مطلع شبابه مكتبة في مكة المكرمة ، قامت بنشر كتاب أدب الحجاز والمعرض ، وكتاب خواطر مصرحة لمحمد حسن عواد ، وقد كان موظفاً بالبلدية ثم عمل في وزارة المالية وأسس شركة الطبع والنشر التي كانت تصدر جريدة صوت الحجاز وقد تولى وزارة المالية في عهد الملك سعود ، وطبع على نفقته كثيراً من الكتب القيمة الهامة ، وقد ترجمنا له في الجزء الأول من أعلام الحجاز[1] .

السيد هاشم السباك : كاتب ، وموظف وقد اشتغل بالمحاماة وليس له مؤلفات .

أحمد ابراهيم الغزاوي : شاعر وكاتب ، وقد عينه الملك عبدالعزيز آل سعود يرحمه الله شاعراً له وسماه ـ حسَّاناً ـ عمل في المحاكم الشرعية وفي عضوية مجلس الشورى بمكة المكرمة الى أن صار وكيلاً لرئيس المجلس ، وكان ينشر قطعاً نثرية بعنوان « من شذرات الذهب » في مجلة المنهل ، على مدى ثلاثة وعشرين عاماً أصدرتها مجلة المنهل في كتاب خاص بعد وفاته ولم يُجمع شعره الكثير حتى الآن .

السيد بكر حمدي : كاتب ، كان يعمل في المحاكم الشرعية وفي رئاسة القضاة وليس له مؤلف .

هؤلاء هم الرواد الذين ظهرت آثارهم في كتابي أدب الحجاز والمعرض ، ومنهم صاحب المقالة والمقالتين أو القصيدة والقصيدتين ، ومنهم من ألَّف الكتب ، وأثرى الحياة الفكرية والأدبية الى أن توفاه الله تعالى ، ومنهم من عمل بالأدب ثم شغلته الحياة عنه ، فهم بشر ينطبق عليهم ما ينطبق على البشر ، فاذا استعرضنا هذه الأسماء تبين لنا أن الاستاذ محمد سعيد العامودي يرحمه الله هو أحد هؤلاء الرواد الكبار الذي واصل المسيرة كاتباً وباحثاً ومؤلفاً طيلة حياته مع التواضع الجم وحسن الخلق يرحمه الله .

وهناك الجيل الثاني والثالث الذين أتوا بعدهم والذين ساروا على دربهم ، وقد صدرت المؤلفات تضم آثارهم وتشرح أفكارهم .

---

(١) أعلام الحجاز الجزء الأول ص ٢٤١ / ٢٥٢ .

ولست في حاجة لأن أذكر للقارىء أسماء الأدباء الذين استمر عطاؤهم الى أن فارقوا الحياة الدنيا ، والأدباء الذين أخذتهم مشاغل الحياة اليومية عن الكتابة والأدب فإن ذلك كله معروف لمن يتابع الحياة الأدبية في هذه البلاد .

هناك الجيل الثاني الذي ظهر بعد جيل الرواد ، ومن أبرز اسمائه : أحمد قنديل ومحمد حسين كتبي ، ومحمد حسن فقي وحمزة شحاته وعزيز ضياء ، ومحمد عمر توفيق ، وضياء الدين رجب ، ومحمدحسين زيدان ، وعبدالقدوس الأنصاري ، وطاهر زمخشري واعتذر عن استقصاء الأسماء فليس هذا مجاله ، وانما القصد هو تصحيح مفهوم شاع بين الناس واعطائه الملامح الحقيقية انصافاً للجيل الأول من الرواد ، والذين نتحدث اليوم عن آخر فارس منهم ، ولمن أراد المزيد من هذا البحث أن يرجع الى الموسوعات الأدبية التي تؤرخ للأدباء السعوديين مثل أدب الحجاز ، ووحي الصحراء ـ الموسوعة الأدبية لعبدالسلام الساسي وغيرهم ، وأن يرجع كذلك الى الصحف والمجلات التي صدرت في تلك الأزمان .

نعود بعد هذا الاستطراد الى الاستاذ/ محمد سعيد العامودي يرحمه الله فهو البقية الباقية من جيل الرواد الأوائل بحق ، والذي استمر في العطاء الى آخر أيام حياته ، وقد امتد به العمر حتى تجاوز الثمانين من العمر يرحمه الله .

يمتاز الاستاذ/ محمد سعيد العامودي بالاخلاص والتفاني في عمله الأدبي لا ابتغاء مصلحة أو شهرة فقد كان أبعد ما يكون عنهما .

حدثني الاستاذ/ علي مختار وكيل وزارة الحج أن الاستاذ/ محمد سعيد العامودي كان يقوم باصدار مجلة الحج ، وكان هو الذي يتولى كل شيء في المجلة من رئاسة التحرير الى جمع المقالات وترتيب الأعداد والاشراف على الطبع والتوزيع وكان كلما يتقاضاه من وزارة الحج ثلاثمائة ريال لمجلة شهرية من الألف الى الياء ، استمر محمد سعيد العامودي يقوم باعبائها ثلاثة وعشرين عام فأي انكار للذات ؟ وأي ترفع عن طلب الدنياب وأسبابها ؟

مجلة الحج مجلة تصدرها الدولة ، وكان بوصفه رئيساً لتحريرها يستطيع أن يستخلص لها ميزانية شهرية إن لم تصل الى عشرات الألوف فإنها حتماً تصل الى الألوف .

ولكن محمد سعيد العامودي لم يكن يمارس اصدار المجلة لغرض مادي ، وإنما كان يمارس عمله ارضاءاً لمطامحه الفكرية والأدبية ، فقد كان يعيش وأسرته على المرتب الذي يتقاضاه من عمله الحكومي في ادارة البرق والبريد العامة ، وفي مجلس الشورى ، وكانت مجلة الحج بالنسبة له واجباً أدبياً يؤديه في رضا واغتباط .

ومع مجلة الحج تولي رئاسة تحرير مجلة رابطة العالم الاسلامي ، واستمر في مجلة الرابطة الى نهاية عام ١٣٩٨ بعد أن علت به السن ، وأقعدته الشيخوخة ، هناك ميزة أخرى لمحمد سعيد العامودي هي البعد عن المهاترات كان الرجل كريماً ينأى بنفسه عن الضجيج فلم يعرف عنه أنه شارك بقلمه في معركة من المعارك الأدبية التي كان بعض أدباء الجيل

يخوضونها ، ولم يكن مع هذا الترفع محتجباً عن دنيا الفكر ، فلقد كان يقرأ الكتب ويختار منها ما يكتب عنه ، وأمامي كتابه من حديث الكتب ، وقد صدر في ثلاثة أجزاء تتحدث عن تسعة وستين كتاباً من أهم الكتب التي صدرت في العالم العربي أو ترجمت عن لغات عالمية أخرى ، فلم يكن الرجل يعيش في صومعته ، وانما كان يعيش في دنيا الفكر ، يقرأ ، ويكتب عما يقرأ ولكنه يؤثر أن يكتب المعجب والمفيد .

ولا نستطيع الاسهاب في مؤلفات محمد سعيد العامودي ، ولكني أتحدث عن بعض هذه الكتب في محاولة لاكمال الصورة أو تقريبها أمام القراء .

المختصر من كتاب نشر النور والزهر :

كتاب نشر النور والزهر ألفه القاضي والعالم المكي الشيخ عبدالله مرداد أبوالخير وهو يضم تراجم - أفاضل مكة - كما وصفه مؤلفه من القرن العاشر الى القرن الرابع عشر الهجري وكان الكتاب مخطوطاً ، وقد ذكر الاستاذ/ العامودي في التعريف به ما يغني عن تكرار ذلك هنا .

هذا الكتاب توفّر الاستاذ/ محمد سعيد العامودي ومعه الاستاذ/ أحمد علي على اختصاره وترتيبه والتعليق عليه ونشره .

انه يتحدث عن علماء البلد الحرام وأدبائه على مدى خمسمائة عام ، فهو من أهم الكتب من الناحية التاريخية ، ولعله من أوفى ما كتب في تراجم علماء مكة وأدبائها بعد كتاب العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، للفاسي المتوفي سنة ٨٣٢ هجرية ، والذي ترجم فيه لنحو ثمانمائة عالم من علماء مكة وعالماتها والذي قام بنشره معالي الشيخ محمد سرور الصبان في سنة ١٣٧٩ هجرية .

واذا كان الفاسي قد توفي في الثلث الأول من القرن التاسع الهجري ، فإن كتاب الشيخ / عبدالله مرداد الذي يترجم لأفاضل مكة علماء وأدباء من القرن العاشر الهجري يعتبر امتداداً لهذه التراجم لعلماء وأدباء البلد الحرام عبر التاريخ .

يضم كتاب نشر النور والزهر تراجم لستمائة عالم وأديب ، كما يضم تراجم لبعض النساء اللاتي بلغن درجة من العلم سمحت لهنَّ بالقاء الدروس وتعليم التلاميذ من الرجال والنساء ، ولعل هذا الأمر يكشف لنا جانباً مجهولاً عن النشاط العلمي للمرأة في البلد الحرام في القرون الماضية ، ويبين لنا كيف أن أنوثة المرأة لم تقف حائلاً بينها وبين أن تطلب العلم حتى تنال منه ما يؤهلها لأن تجلس مجلس المعلم للناس .

كما يوضح للمتأمل أن الحياة العلمية في مكة المكرمة كانت تتسم بالنشاط العلمي عبر هذه القرون التي غابت أخبارها عنا ، فلم يكن تصورنا عنها واضحاً ، ولا صحيحاً ، والمرء عدو ما يجهل .

وقد استعان الشيخ المرداد بمن سبقه من المؤرخين في التراجم التي أوردها وأشار الى ذلك ، فبيَّن المصادر التي استقى منها المعلومات التي أوردها عن المترجم لهم ، وناقش في بعض

الأحيان ما وجده في هذه المصادر من أخبار غير صحيحة أو تحامل من بعض المؤلفين وهو جهد مشكور للمؤلف .

يقول الاستاذ/ محمد سعيد العامودي والاستاذ/ أحمد علي في تعريفهما بالكتاب :

اننا على يقين من أن قارئه سوف يشعر بارتياح عظيم ، حين يتبين له من خلال كل سطوره .

ان حركة التعليم الديني في أم القرى لم تتوقف أو تضعف في أي عهد من العهود ، برغم كل الظروف والأحداث والفتن ، وانما ظلت مستمرة مضيئة منذ القرن الهجري الأول الى اليوم ، وهذا من فضل الله ـ ولا شك ورعايته للبلد الحرام[1] .

ونكتفي بهذه الكلمة الموجزة عن هذا الكتاب الذي أود من القارىء أن يقرأه ليطلع على تاريخ الحركة العلمية الدينية في البلد الحرام عبر خمسمائة عام ممثلة في تراجم موجزة عن رجال العلم والأدب في هذه البلاد .

من حديث الكتب :

ذكرنا في التعريف بالاستاذ/ العامودي يرحمه الله كتابه أو على الأصح كتبه الثلاث التي سماها ـ من حديث الكتب ـ والتي تحدث فيها عن تسعة وستين كتاباً في مختلف العلوم والفنون ، وأود أن أذكر هنا كلمة موجزة للتعريف بهذا الكتاب القيم ذي الأجزاء الثلاث .

كان محمد سعيد العامودي يقرأ الكثير من الكتب ولكنه لا يتحدث إلا عما يعجبه منها وكان هذا الحديث تلخيصاً موجزاً للكتاب يخرج منه القارىء بفكرة موجزة عن محتوياته فإما أن يدفعه هذا التلخيص الى البحث عن الكتاب وقراءته ان كان من هواة القراءة ، وإما أن يخرج منها بفكرة عن أهم ما ورد فيه .

وتلخيص الكتب فن لا يقدر عليه إلا كاتب استطاع الاحاطة بمحتويات الموضوع الذي يقوم بعرضه على القارىء ، فيقدم له في سطور ما بسطه المؤلف في صفحات ، وليس هذا بالأمر الهين ولا اليسير ، واستطيع أن أقول ان الاستاذ/ محمد سعيد العامودي يرحمه الله قد وفق في حديثه عن الكتب توفيقاً عظيماً ، أولاً باختياره للكتب التي يتحدث عنها ، وثانياً بعرضها عرضاً جيداً في أسلوب جميل ، وفي لغة سهلة لا غموض فيها ، ولا يتسع المقام للافاضة في الحديث عن هذه الكتب فمن الخير للقارىء أن يقرأها بنفسه ليخرج منها بالفائدة التي توخاها المؤلف وهو يتحدث عنها ويوجزها .

مؤلفاته الأخرى :

وليس حديث الكتب هو كلما كتبه الاستاذ/ العامودي فقد نظم الشعر ، وكتب القصة ، كما كتب المقالة ، وقد أثبتنا في صدر هذه الترجمة أسماء مؤلفاته المطبوعة وتواريخ نشرها ، وقد

---

(١) المختصر من نشر النور والزهر ص ١٠ .

أخبرني ابنه الاستاذ/ عمر محمد سعيد العامودي المحامي والكاتب المعروف أن والده ترك أوراقاً كثيرة مما لم ينشر من انتاجه ، وأرجو أن يتم جمعها وترتيبها ونشرها ، ومن أجدر بهذه المهمة من أبنائه . . ؟ وفقهم الله .

أريد أن أقول ان محمد سعيد العامودي كان أديباً مارس الفنون الأدبية كلها من شعر ونثر وكتب القصة الى جانب المقالة ، واذا كان قد آثر التفرغ للبحث فكان نصيب النثر في أدبه هو النصيب الأكبر فذلك راجع الى أنه وجد فيه المجال الأكبر للتعبير والأجدى في الافادة والتنوير .

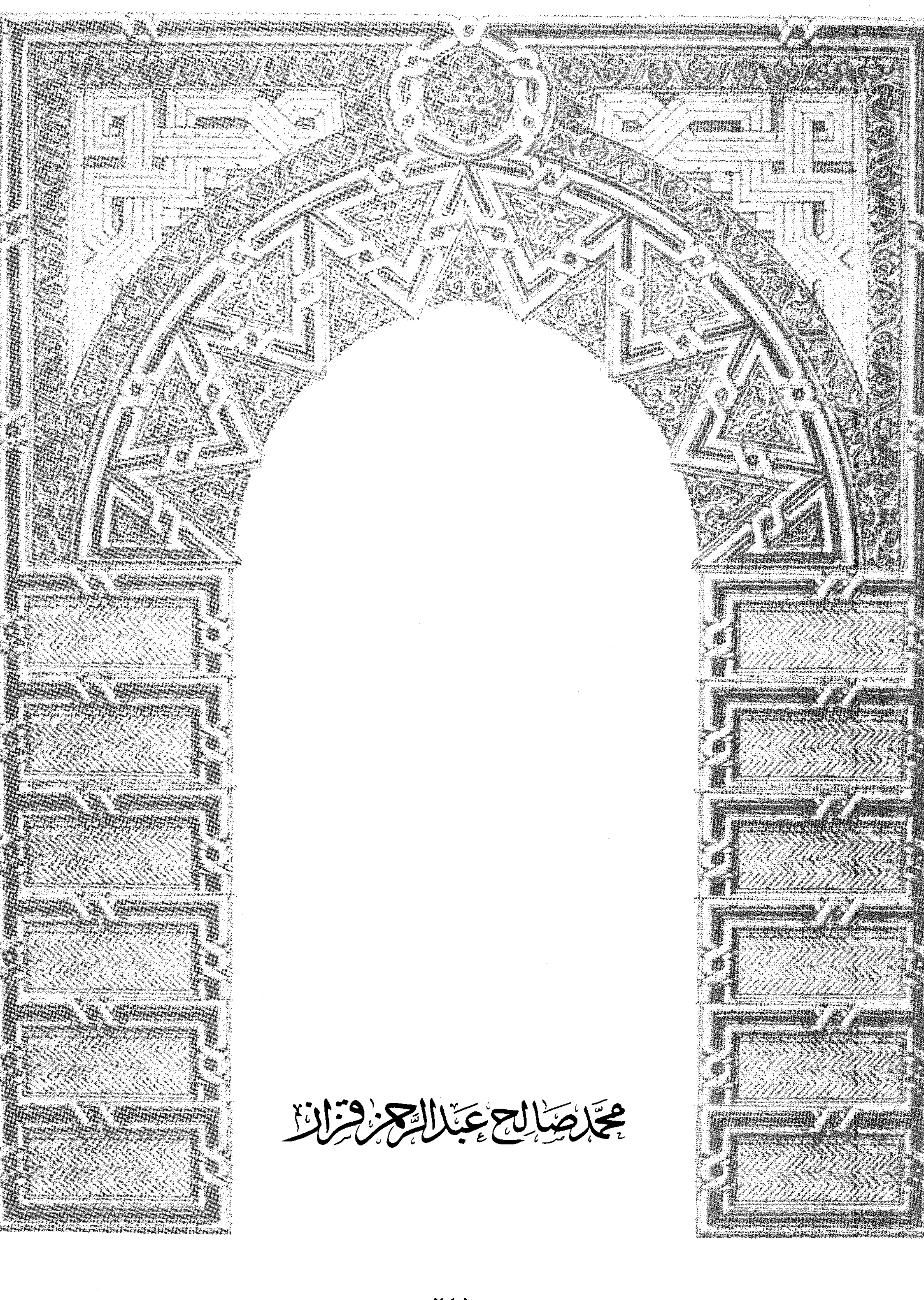
وفاة العامودي :

توفي الاستاذ/ محمد سعيد العامودي يوم السبت الثاني من شعبان سنة ١٤١١هـ بعد مرض طويل وعن عمر يناهز الثامنة والثمانين عاماً ، وقد كان رائداً من رواد الأدب والفكر مجاهداً بقلمه داعياً الى الله على بصيرة ، وخلّف وراءه من الآثار المطبوعة والمكتوبة ما ينبىء عن حياة حافلة بالفكر والعمل .

وأرجو أن يوفق الله تعالى أبناءه الكرام الاستاذ/ عمر ، والاستاذ/ أحمد لاخراج ما ترك من آثار مخطوطة ونشرها لينتفع بها القراء والأدباء .

رحم الله محمد سعيد العامودي رحمة واسعة ، وأسكنه فسيح جنـاته ودار مغفـرته ورضوانه .




محمد صالح عبد الرحمن قزاز



محمد صالح عبدالرحمن قزاز

محمد صالح عبد الرحمن قزاز

طويل القامة ، حنطي اللون ، متوسط الجسم مشرق الوجه بابتسامة دائمة ، تنم نظراته عن ذكاء وقاد تكسو وجهه لحية خفيفة لمع فيها بياض المشيب لما علت به السن .

ولد بمكة المكرمة سنة ١٣٠١ للهجرة ، وتعلم القراءة والكتابة فيها ، وحفظ القرآن الكريم كاملاً ، وكان جهوري الصوت يحسن القراءة والترتيل ، وتولى إمامة الناس في صلاة التراويح كما كان يفعل أمثاله من حفظة القرآن الصغار .

انتقلت أسرته الى الطائف في أواخر العهد الهاشمي فقد أسندت اليهم اعاشة الجند في الطائف ، وعين الشاب محمد صالح القزاز أميناً للصندوق في مالية الطائف ، وحينما نقل مدير المالية الشيخ / عبدالله قاضي الى جيزان في العهد السعودي ، تولى صالح قزاز مديرية المالية في الطائف .

ثم عين مديراً لمالية مكة المكرمة ، ثم اختير ناظراً عاماً للجمارك يوم كانت واردات الدولة تعتمد على الجمارك قبل ظهور الزيت وتسويقه ، وحينما شكلت أول مديرية لشئون الحج عين الشيخ محمد سرور الصبان رئيساً لها فاختار صديقه الشيخ محمد صالح القزاز ليكون مديراً عاماً مساعداً له سنة ١٣٦٥ ، ثم أصبح مديراً لها سنة ١٣٦٨ .

وحينما قررت الدولة تشكيل مديرية لشئون الزراعة اختير مديراً لها الى جانب عمله كمدير لادارة الحج .

وحينما قرر جلالة الملك عبدالعزيز يرحمه الله جلب الماء الى جدة اختار الشيخ عبدالله السليمان وزير المالية إذ ذاك الشيخ صالح قزاز للمفاوضة لشراء وجبات الماء من ملاك عيون وادي فاطمة لاسالتها الى مدينة جدة ، واشترك معه رجال آخرون واشتريت منهم وجبات في ثماني عيون فصَّلها الاستاذ عبدالقدوس الأنصاري في كتابه موسوعة مدينة جدة[1] وكان شراء

---

(١) انظر قصة الماء في مدينة جدة عبر التاريخ في كتاب موسوعة مدينة جدة ص ١٤١/١٧٣ .

هذه الوجبات هو الذي مكَّن الدولة من ايصال الماء الى مدينة جدة في قنوات تمتد من وادي فاطمة الى مدينة جدة مما كان سبباً في تطور المدينة واتساعها فالماء اكسير الحياة ، وصدق الله تعالى حيث يقول : ﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي ﴾ .

وحينما وفق الله تعالى جلالة الملك عبدالعزيز يرحمه الله للعمارة الاولى للمسجد النبوي الشريف وأسند أمر هذه العمارة العظيمة الى المعلم محمد بن لادن يرحمه الله طلب من معالي الشيخ عبدالله السليمان ترشيح شخص لادارة المشروع حيث أن ابن لادن سيتفرغ للقيام بالأعمال الهندسية والانشاء ، فاختير الشيخ صالح قزاز لادارة المشروع ، ومنه انتقل الى ادارة مشروع العمارة السعودية الاولى للمسجد الحرام ، وأسند أمر اصلاح قبة الصخرة بالقدس الى المعلم محمد بن لادن ، فتولى الشيخ صالح قزاز ادارة المشروع كذلك ، وهكذا جمع الله لهذا الرجل الاشراف على تعمير أعظم مساجد الاسلام في مكة والمدينة وبيت المقدس .

وحينما تأسست رابطة العالم الاسلامي في مكة المكرمة ١٣٨٢ واختير معالي الشيخ محمد سرور الصبان يرحمه الله أميناً عاماً لها ، اختار صديقه الشيخ صالح قزاز أميناً عاماً بالوكالة يقوم بأعمال الأمين العام للرابطة في حضور الأمين أو غيابه .

وحينما توفى الشيخ / محمد سرور الصبان يرحمه الله سنة ١٣٩٣ اختير الشيخ صالح قزاز أميناً عاماً للرابطة ، وكان قد رشح لها أحد الوزراء ولكن المجلس التأسيسي للرابطة وهو مكوَّن من علماء المسلمين في جميع أنحاء العالم الاسلامي اختار وباجماع الآراء الشيخ صالح قزاز ليكون الأمين العام للرابطة وطلبوا من جلالة الملك فيصل يرحمه الله الموافقة على اختيارهم فتم لهم ما أرادوا ، وتجدد اختيار الشيخ صالح قزاز للأمانة العامة للرابطة لفترة ثانية ، وكان راغباً في التخلي عن أعمال الرابطة بعد أن قضى فيها أعواماً كثيرة وبدأت السنُّ تعمل عملها في صحته . وأتمَّ الفترة الثانية وقدم استقالته الى المجلس التأسيسي للرابطة ، حاول أعضاء المجلس اثناءه عن الاستقالة فزاره وفد منهم بمنزله لهذه الغاية فقال لهم :

الرابطة أمانة عظيمة ولا أستطيع القيام بواجبها فأرجو اعفائي ، وأمام اصراره قُبلت الاستقالة وتم تعيين فضيلة الشيخ محمد الحركان يرحمه الله أميناً عاماً للرابطة حيث بقي فيها الى أن توفاه الله .

رجل المهمات العظيمة :

كان الشيخ صالح قزاز رجل المهمات العظيمة بحق ، وذلك لما يتمتع به من أخلاص في العمل ، ونزاهة في الضمير ، والرغبة في تحقيق الخير أينما حلَّ وَرَحِل .

ولعل الكثيرين لا يعلمون أن الشيخ صالح قزاز يرحمه الله لم يكن يتقاضى من المعلم محمد بن لادن أجراً حينما كان يقوم بادارة الأعمال العظيمة في توسعة المسجد النبوي الشريف الاولى ثم في توسعة المسجد الحرام ، ثم في اصلاح مسجد قبة الصخرة في بيت المقدس ولذلك قصة نوردها فيما يلي :

الرغبة في الهجرة الى المدينة :

يقول صديقنا الاستاذ حسن قزاز الكاتب ورجل الأعمال وتربطه صلة القرابة بالشيخ صالح قزاز يقول : في بداية عام ١٣٧١ كنا بعوائلنا « يقصد عوائل آل قزاز » جميعاً في زيارة المسجد النبوي الشريف ، وفي ضحى أحد الأيام اصطحبني الشيخ/ صالح الى المسجد وصلّينا في الروضة المطهرة الشريفة ، ثم وقفنا مسلّمين على الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه .

التفت الشيخ صالح إليّ قائلا : أتمنى لو أحصل على راتب تقاعد مقداره ألف ريال شهرياً أعيش به في هذا المكان الطاهر بجوار المسجد النبوي الشريف ، وأقضي بقية عمري في هذه الرحاب الطاهرة .

يقول حسن قزاز : قلت له ياعم صالح إنك لا تزال في عنفوان رجولتك وأمامك الحياة طويلة ودواعي الطموح كثيرة .

قال الشيخ صالح ان شعوراً خفياً يدفعني لهذه الأمنية وأرجو أن يحققها الله .

يقول حسن قزاز وعُدْنا من المدينة الى الطائف .

ومضت سنوات وأقام الشيخ صالح قزاز وأخوه الشيخ أحمد قزاز في منزلهما بالطائف حفلاً لتكريم معالي الشيخ عبدالله السليمان وزير المالية رحمه الله ، وفي هذا الحفل أعلن الشيخ عبدالله السليمان أن جلالة الملك عبدالعزيز يرحمه الله أمره بعمارة المسجد النبوي الشريف بعدما ذكرت الصحف المصرية أن تصدعاً حدث في بعض الأعمدة ، ودعى مصطفى النحاس باشا المسلمين الى التبرع لعمارة المسجد ، وتقدم البعض بتبرعاتهم ، ولكن الملك عبدالعزيز يرحمه الله أبى أن يقبل تبرعاً من أي جهة كانت وأعلن قائلاً : نحن أولى بتعمير المسجد الشريف ، وطلب أن تعاد للناس تبرعاتهم وأصدر أمره الى وزير ماليته الشيخ عبدالله السليمان لتنفيذ العمارة المطلوبة .

وقال الشيخ عبدالله السليمان ، لقد كلفت المعلم محمد بن لادن بالقيام بالعمارة المطلوبة التي تشمل ازالة التصدعات وتوسعة المسجد وهي التوسعة الاولى التي تمت في العهد السعودي(١) .

وفي هذا الاجتماع طلب الشيخ محمد بن لادن اختيار رجل كفء ليقوم بعبء الأعمال الادارية لهذا المشروع العظيم لأنه سيتفرغ للأعمال الهندسية وأعمال البناء .

وفي هذا الاجتماع تم اختيار الشيخ صالح قزاز ليكون هو الرجل الاداري الذي يطلبه المعلم محمد بن لادن .

وتحققت أمنية الشيخ/ صالح قزاز وانتقل الى المدينة المنورة لا ليكون مهاجراً في رحاب

---

(١) انظر كلما يتعلق بهذه التوسعة في الجزء الثاني من أعلام الحجاز ص ٤٣ ـ ٥٣

المسجد النبوي الشريف ، وانما ليكون مشرفاً على عمارة المسجد النبوي الشريف وتوسعته ، وابرازه في أجمل الحلل .

ولكن هل اكتفى صالح قزاز بأن حقق الله له أمنية غالية تمناها وأجاب الله دعوة دعاها وهو في الروضة المطهرة ، وفي رحاب المسجد النبوي الشريف . . . ؟

لم يكتف صالح قزاز بهذا ، وانما قرَّر بينه وبين نفسه أن يقوم بهذا العمل دون أن يتقاضى أجراً من المعلم بن لادن ، أراد أن يكون عمله في ادارة هذا العمل العظيم قربى الى الله تعالى ، خالصاً لوجهه ؟

كتب خطاباً سرياً الى جلالة الملك فيصل وكان نائباً لجلالة والده في الحجاز يرحمهما الله تعالى ، كتب اليه قراره بأن لا يتقاضى من المعلم بن لادن أي أجرٍ على قيامه بهذا العمل ، وطلب من سموه تدبير راتب شهري له يعيش وأسرته عليه .

واستجاب يرحمه الله فأصدر أمراً الى وزارة الخارجية وكان وزيرها ،بتعيين صالح قزاز وزيراً مفوضاً في وزارة الخارجية ، ومن راتب هذه الوظيفة الاسمية كان صالح قزاز يعيش وينفق على أسرته حتى وفاته[1] .

في رابطة العالم الاسلامي :

وحينما اختار الشيخ محمد سرور الصبان يرحمه الله الشيخ صالح قزاز ليكون وكيلاً له في رابطة العالم الاسلامي سنة ١٣٨١ ، ثم اختير أميناً عاماً لها بعد وفاة الشيخ محمد سرور لم يتقاض صالح قزاز راتباً من الرابطة طيلة عشرين عاماً بل كان يتحمل النفقات التي يتقاضاها عمله ، ويجنب صندوق الرابطة أن يتحملها ، يقول الشيخ محمد صفوت السقا الأمين العام المساعد لرابطة العالم الاسلامي ما يلي :

وشهادة لله أزكيها ويعرفها كل من كان له شرف العمل معه ـ مع صالح قزاز ـ في الرابطة أنه لم يقبض ريالاً واحداً كراتب أو تعويض أو حتى كمساهمة في النفقات التي يتطلبها العمل في الرابطة ، فكانت السيارة من ماله وسائقها وحتى أجور السفر ، وكانت كل الولائم التي نقيمها على مدار العام في داره من جيبه من مرتبه الذي يتقاضاه من تقاعده . . . الخ .

لقد أكرمني الله أن أكون مطوفاً للعلماء :

ويواصل الشيخ محمد صفوت السقا حديثه عن الشيخ صالح قزاز فيقول :

وعندما يقوم باسقبال الوفود والاشراف على راحتهم من مختلف أنحاء العالم يقول : تعلم أنني تركت الطوافة هرباً ولكن الله سبحانه وتعالى أكرمني أن أعمل مطوفاً لعلماء العالم الاسلامي بحكم طبيعة عملي في الرابطة ، ويا أخ صفوت مهنة الطوافة تشريف وتكريم لأهل مكة المكرمة ، وكم كان يتمنى أن يتفرغ للتدريس في الحرم المدني والمكي[2] .

---

(١) انظر مقال حسن قزاز بجريدة الندوة العدد ٩١٢٤ بتاريخ ٢ رجب ١٤٠٩هـ .

(٢) انظر مقال محمد صفوت السقا في جريدة المدينة المنورة العدد ٧٩٤٩ بتاريخ ٢ رجب ١٤٠٩هـ .

عمل وانجاز :

كان الشيخ صالح قزاز يهب نفسه للعمل الذي يوكل اليه مدفوعاً بالرغبة في الانجاز والاصلاح .

اختير مديراً عاماً لأول مديرية للزراعة حين تأسيسها عام ١٣٦٨ للهجرة ، وجاء هذا الاختيار ليجمع الرجل بين عمله في مديرية الحج العامة ، ومديرية الزراعة ، يقول معالي الاستاذ/ عبدالله الدباغ وزير الزراعة الأسبق الذي عمل مساعداً للشيخ صالح قزاز في مديرية الزراعة في جدة حين تأسيسها مايلي :

لم أر في حياتي رجلاً كالشيخ محمد صالح قزاز في نشاطه ، ودأبه وحرصه على أداء واجبه وأكثر من واجبه في تفان واخلاص .

لم يكن يعرف للراحة طعماً ، فنهاره كله عمل من حين أن يصبح الى أن يمسي وحتى يأوي الى فراشه .

كان يرحمه الله أول الحاضرين الى مكتبه وآخر من يخرج منه الى داره ، وكانت داره مكتباً آخر يمتد فيها العمل حتى ساعة متأخرة من الليل ، والاجازة الاسبوعية كان يقضي معظمها في زيارات للمناطق الزراعية يتفقد أحوالها ، ويبحث مشاكلها ، ويحل منها ما كان قادراً على حله .

وكانت مسئوليته في أعمال الحج تتطلب منه الانتقال يومياً بين مكة وجدة أكثر من مَرَّةٍ في اليوم الواحد أحياناً ، خصوصاً في موسم الحج حرصاً منه على قضاء مصالح الحجاج ، وكنت أرافقه في بعض المرات ، وعندما نكون سوياً في المقعد الخلفي للسيارة يطلب مني الانتقال الى جانب السائق لينال هو قسطاً من الراحة بالاسترخاء بعض الوقت بعد عناء العمل ليلاً .

وكان بتوجيه من جلالة الملك عبدالعزيز يرحمه الله وبأمر من معالي الشيخ عبدالله السليمان أول من أدخل مضخات الماء لتوزع على المزارعين في مختلف مناطق المملكة كوسيلة بديلة للطريقة التقليدية لرفع المياه من الآبار .

كما كان أول من فكر في اصلاح عدد من عيون المياه التي توقف جريانها في وادي فاطمة وغيره من الوديان ، كما أوجد وحدات الخدمة الزراعية المجهزة بآلات التسوية والحراثة لاقامة العقوم وحراثة الأرض للمزارعين في مناطقهم واستورد في عهده الكثير من شتلات أشجار الفاكهة من مصر ولبنان وزعت على المزارعين بدون مقابل .

كل هذا بالرغم من ضآلة الميزانية السنوية لمديرية الزراعة في ذلك الوقت ، والتي أذكر أنها لم تتجاوز اثنى عشر مليون ريال .

ويواصل الاستاذ/ عبدالله الدباغ حديثه فيقول :

ان أكثر ما شدني للشيخ محمد صالح قزاز هو ايمانه العميق ، وعزوفه عن رغد العيش وميله الى التقشف مع ما أنعم الله به عليه من وفرة في الرزق وكرم في العطاء .

كان عندما يضطر الى البقاء طيلة نهارة في جدة لم يكن له بيت يأوي اليه بعد الغذاء ولا فندق يذهب اليه ليرتاح بعض الوقت لكي يستأنف عمله بعد ذلك ، فكان يفترش المكاتب الحديدية في فرع مديرية الزراعة بجدة جاعلاً ذراعه وسادة لرأسه ، وذلك حتى لا يغريه الفراش الناعم الوثير باطالة فترة راحته .

وعندما يكون في البادية لا تختلف معيشته في نومه وطعامه مع معيشة أهل البادية بخشونتها وقسوتها[1] .

مدارس تحفيظ القرآن الكريم :

كان الشيخ صالح قزاز من أوائل الرجال الذين ساهموا في تأسيس مدارس تحفيظ القرآن الكريم التي بدأت في سنة ١٣٨٢ في مكة المكرمة ، ثم انتشرت في جميع أرجاء المملكة ، ولم يكتف الشيخ / صالح قزاز بالمساهمة فيها بجهده . ولكنه ساهم كذلك بماله ، فأوقف عليها عمارة في محلة الشامية بمكة المكرمة تساهم غلتها في واردات الجماعة ، يقول الدكتور حسن محمد باجوده ، رئيس قسم الدراسات العليا بجامعة أم القرى ، والأمين العام لجماعة تحفيظ القرآن الكريم بمكة المكرمة مايلي :

نستطيع أن نقول ان كل إمام يؤم المسلمين حالياً في مكة المكرمة ، وبخاصة في شهر رمضان في صلاتي التراويح والقيام والجماعة لتحفيظ القرآن الكريم في مساجد مكة وفيها ما يزيد على ستمائة شاب يؤمون المسلمين في ليالي رمضان نقول :

ان للشيخ صالح قزاز بفضل الله تعالى يداً على هؤلاء .

ونستطيع القول ذاته عن كل الذين حفظوا القرآن الكريم في جماعة تحفيظ القرآن الكريم وفي العديد من جهات المملكة .

ويبدو هذا الأمر على حقيقته عندما نستعرض جهوده رحمه الله في سبيل النهوض بهذه الجماعة سنة ١٣٨٢هـ ، وكان رئيس هذه الجماعة الشيخ محمد يوسف سيتي الباكستاني الجنسية صاحب هذه الفكرة ، وقد تبنى هذه الجماعة عدد من الرجال الأفاضل ومنهم الشيخ محمد صالح القزاز يرحمه الله .

ويواصل الدكتور باجوده حديثه فيقول :

هذا الرجل جعل كل نشاطه بعد نهاية خدمته للأمانة ـ أمانة رابطة العالم الاسلامي ـ جعل كل همه أن يخدم القرآن الكريم ، فلقد كان في المملكة جماعة مكة ، وترتبط بها الجماعات الأخرى في جدة والطائف والرياض ، وبلجرشي والليث وغيرها ، وكانت المساعدات التي تتدفق على جماعة مكة تنال تلك الجماعات حظها منها .

الشيخ صالح رحمه الله وجه الجماعة وجهة الحفظ للشباب ترتيلاً بقصد أن يأتي الشباب صلاة الجماعة في المحاريب .

---

(١) جريدة عكاظ العدد ٨٢٥٦ في ٨ رجب ١٤٠٩هـ .

وبفضل الله تعالى نهضت الجماعات واستقلّت ونمت الجماعات .

وكان للشيخ القزاز بعد الله ثم المسؤولين الغيورين على هذا الكيان كبير الفضل فمثلاً وقف للجماعة عمارة في الشامية وحوّل حسابها للجماعة .

ومما ينبغي أن يذكر أن الشيخ القزاز مع فريق من الجماعة كانوا يصلون العشاء في رمضان ، وينطلقون الى مساجد مكة التي يؤم أبناء الجماعة فيها المساجد من أجل توجيههم ونصحهم واعطائهم المكافآت .

كان رحمه الله حريصاً على تشجيع الشباب على حفظ القرآن والقراءة في كل المناسبات ، فكان يتيح لهم الفرص في المواسم وفي افتتاح الندوات ، بل كان يأخذ فريقاً على حساب الرابطة للحج كل ذلك احتفاءاً بِحَملة القرآن ، وتشجيعاً للبراعم الصغيرة .

وبفضل الله تعالى ثم بفضل المنزلة التي يتمتع بها في قلوب الناس انهال الخير على جماعة التحفيظ في مكة فدعمته الحكومة ، وقام بدوره بدعم الجماعات الأخرى فالمساعدة السنوية مستمرة ، والملك خالد رحمه الله أعطى مبلغاً كبيراً أقامت به عمارة مؤجرة للمالية تنتفع بها الجماعة ومدارسها للبنين والبنات التي تشتمل كل أحياء مكة المكرمة .

ويقول الدكتور باجودة :

في الحرم وحده ٤٥ مدرسة للبنين بين باب السلام وباب العمرة اضافة الى معهد الأرقم ومقره الحرم أيضاً .

كان رحمه الله حريصاً على تخريج المدرسين المجودين فأقام معهد الأرقم بن أبي الأرقم وبه الآن أربعمائة طالب ولله الفضل والمنة ، ومدارس البنات بلغ تعدادها أربعاً وعشرين مدرسة .

والحقيقة أن الشيخ القزاز يرحمه الله كان في السنوات الأخيرة شبه منقطع في منزله ولكنه كان في نفس الوقت يوجه نشاطه كله للجماعة ، فكان يدير أمورها من منزله ، ويعتبر كل صاحب مسألة أن الشيخ القزاز هو صاحبها لشدة حبه للجماعة والقرآن .

ثم يختم الدكتور باجودة حديثه قائلاً :

مرت سبعة وعشرون سنة على الجماعة ، وحفظ بها حوالي ألف وخمسمائة شاب القرآن الكريم ، وفي العام الماضي وحده كان عدد الحفاظ مائة وستين شاباً[1] .

هذه شهادات الرجال الذين عملوا مع الشيخ صالح قزاز في المجالات المختلفة ، شهاداتهم بعد أن فارق الرجل هذه الحياة الدنيا ، وصار في رحاب الله تعالى نطقت بها ألسنتهم ابراءاً للذمة ، واظهاراً للفضل الذي كان صاحبه أزهد الناس في ذكره والاشارة اليه .

---

(١) جريدة عكاظ العدد ٨٢٥٠ في رجب ١٤٠٩هـ .

معرفتي بالشيخ صالح قزاز :

عرفت الشيخ صالح قزاز وأخاه الشيخ أحمد يرحمهما الله في النصف الثاني من القرن الماضي . فقد كنت أعمل سكرتيراً لمعالي الشيخ محمد سرور الصبان يرحمه الله ، وتوجه الى الطائف في أوائل صيف سنة ١٣٥٦ للهجرة ، ونزل وأنا بمعيته في بيت القزاز بالطائف ، وكان الشيخ أحمد وأخوه الشيخ صالح يسكنون في منزل بجوار باب الريع ، وكان منزلهما دار ضيافة للقادمين من أعيان المكيين ، ولم تكن الفنادق إذ ذاك قد عرفت في الحجاز ، وانما كان الناس ينزلون على بيوت أقربائهم ومعارفهم ، وكانت كل الدور معدة لاستقبال الضيوف القادمين اليها والذين يلقون كل ترحيب واكرام .

رأيت الشيخ صالح وكان في كمال رجولته مشرق الوجه ، دائم الترحيب بالناس ، وكان جهوري الصوت ، يجيد ترتيل القرآن الكريم ، فكان الشيخ محمد سرور الصبان يقدمه لإمامة الناس بالصلاة في منزله حينما يفد لزيارته قبل الغروب .

وحينما أسندت اليه مديرية الزراعة في جدة سنة ١٣٦٦ ازدادت صلتي به وثوقاً . كانت مديرية الزراعة قد بدأت في ادخال رافعات المياه وتوزيعها على المزارعين ، وكانت تشجع المزارعين باعطائهم الآلات بقروض ميسرة تتحمل مديرية الزراعة جزءاً منها ، وتقسط باقي القيمة على المزارعين أقساطاً سهلة .

وسافرت الى أمريكا سنة ١٩٤٨ للميلاد ، واتصلت باحدى الشركات التي تصنع طلمبات الماء ، وتأكدت من جودتها فاستوردت ثلاث رافعات ذات مقاسات مختلفة لتقديمها لمديرية الزراعة لتجربتها توطئة لاستيرادها بكميات تجارية .

وحينما وصلت الرافعات ذهبت لمقابلة الشيخ صالح قزاز يرحمه الله وقلت له انكم تشترون الرافعات من شركة بكتل وتتحملون جزءاً من القيمة مساعدة للمزارعين ، وأنا على استعداد لأن أقدم لكم الرافعات بالأسعار التي تباع على المزارعين ، ولا تتحملون الفروق التي كنتم تتحملونها ، ولكني أريد أولاً أن تجربوا هذه الآلات فاذا تأكدتم من جودتها عملت على استيرادها ، وأمر الشيخ صالح قزاز باستلام المكائن الثلاث التي استوردتها وبعد فترة اتصل بي تليفونيا وقال :

ماهو العدد الذي لديك من الطلمبات اثنين بوصة . . . ؟

قلت : إن ما لديَّ قدمته لك وأنا في انتظار نتائج التجربة .

قال : المكائن جيدة ونحن على استعداد لشرائها فاعمل على توريدها .

واستوردت الدفعة الاولى ثلاثين مكينة وطلمبة وقبل اخراجها من الجمارك اتصل بي يرحمه الله تليفونياً وقال :

لقد حَوَّلْت عليك مزارعين من الطائف بثلاثين مكينة ، ومع كل واحد منهم أمراً بالتحويل .

وعجبت من معرفة الشيخ صالح قزاز بأمر المكائن الثلاثين وهي مازالت في الجمارك ، ثم علمت أنه علم من ادارة الجمارك بوصولها ، وتكررت المسألة ، فلا تصل شحنة من هذه المكائن الزراعية إلا والمزارعون حاضرون لاستلامها ، وهكذا كان الشيخ صالح قزاز يرحمه الله مثابراً ودقيقاً في عمله ، وبفضل هذه المثابرة وهذا الاخلاص انتشرت المكائن الزراعية في جميع قرى الطائف ووديانه ، واستفاد المزارعون منها فائدة عظيمة في تطوير الزراعة واستبدال الحيوان بالآلة في زمن وجيز .

ولا شك أن ما تم في الطائف تم في نفس الوقت في أماكن أخرى من المملكة وتعددت الآلات الزراعية وأصنافها حسب طبيعة المناطق الزراعية ومتطلباتها .

هذه تجربة عملية أتيح لي أن أتعرف منها على اخلاص الرجل في عمله ومتابعته له . وحينما اطلعت على أول تقرير للأمانة العامة لرابطة العالم الاسلامي وجدت فيه مرتب الأمين العام وكان معالي الشيخ محمد سرور الصبان يرحمه الله ، ومرتب الأمين العام المساعد وهو الشيخ صالح قزاز قد حسم من بند المصروفات لأن الرجلين كانا يعملان بدون مرتب ابتغاء مرضاة الله تعالى ، ولم استغرب أن يحدث هذا من الأمين العام فقد كان في بحبوحة من العيش بما أفاء الله عليه ، ولكني أكبرت في الشيخ صالح قزاز يرحمه الله خدمته للرابطة بدون مقابل بل تحمله النفقات في سبيل أداء الواجب كما فصل ذلك الشيخ محمد صفوت السقا في الكلمة التي نقلناها قبل ، ولم افاجأ باصرار الأعضاء المؤسسين في الرابطة بعد ذلك على اختيار الشيخ صالح قزاز أميناً للرابطة بعد وفاة أمينها العام الشيخ محمد سرور الصبان ، ثم محاولتهم التأثير عليه ليبقى في الأمانة بعد أن علت به السن ، ولم يعد قادراً على القيام بأعباء العمل العظيم .

وقد تبين أن رغبة الشيخ صالح قزاز في العمل بدون مرتب كانت رغبة قديمة نفذها منذ أسند اليه الاشراف على عمارة المسجد النبوي الشريف السعودية الاولى عام ١٣٦٨ للهجرة ، وقبل اختياره أميناً عاماً مساعداً لرابطة العالم الاسلامي بربع قرن ، وقد كشف لنا أمر هذه الحسنة الاستاذ/ حسن قزاز جزاه الله خير الجزاء في الكلمة التي نقلناها عنه قبل ، وقد تجنب الشيخ صالح قزاز الاشارة اليها أو اظهارها للناس رغبة فيما عند الله ، ولكن العمل الطيب كالعطر الزكي الرائحة ينم عن نفسه ، وقد شاء الله تعالى أن يظهر هذا العمل الطيب للناس بعد وفاة صاحبه ليذكر له بالخير وليترحم عليه كل من اطلع عليه .

اعتكف الشيخ صالح قزاز في داره بعد استقالته من الرابطة ، وانقطع برغبته عن الناس ولكنه لم ينقطع عن متابعته لأعمال جماعة تحفيظ القرآن الكريم التي احتضنها منذ عام ١٣٨٢ ، والتي أراد الله تعالى لها النمو والانتشار ، وتخرج منها الائمة والمدرسون والحفاظ ولا تزال تعمل وتنمو كما بيّن ذلك الدكتور باجوده في كلمته التي نقلناها قبل ، وأراد الله تعالى أن يتم فضله على الشيخ صالح قزاز فأوقف عمارته الكبيرة بالشامية على جماعة تحفيظ القرآن الكريم في حياته ، وأصبح ريع هذه العمارة ملكاً للجماعة يصرف عليها .

ولابد أن نذكر أن الشيخ صالح قزاز وأخوه الشيخ أحمد قزاز حينما انتقلوا من الطائف ، وأقاموا في مكة المكرمة اشتروا قطعة أرض كبيرة خارج مكة المكرمة ، وبتوالي السنين واتساع العمران ارتفعت قيمة هذه الأرض فباعوا أجزاءاً منها وأنشأ الشيخ صالح قزاز عمارته في الشامية من قيمة هذه الأرض التي أكرمه الله تعالى بها في آخر حياته ، فاستعملها في أشرف القربات وأكرمها في خدمة القرآن الكريم .

وفاة الشيخ صالح قزاز :

توفي الشيخ صالح قزاز في ٣٠ جمادي الآخرة من عام ١٤٠٩ للهجرة من عمر يناهز التسعين عاماً ، ودفن في مكة المكرمة ، تغمده الله بواسع رحماته ، وجزاه الله خير الجزاء ، انه سميع مجيب .



(مصادر الكتاب)

اسم الكتاب	المؤلف والمطبعة وتاريخ الطبع
١ ـ القرآن الكريم	
٢ ـ صفوة التفاسير	محمد على الصابونى ، مطابع دار القرآن الكريم ـ بيروت الطبعة الثانية سنة ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م .
٣ ـ التاريخ القويم لبيت الله الكريم	محمد طاهر الكردي ـ الطبعة الاولى ١٣٨٥هـ .
٤ ـ افادة الأنام بذكر أخبار البلد الحرام	عبدالله محمد الغازي ـ مخطوط .
٥ ـ أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار	أبو الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد الأزرقي ـ الطبعة الثالثة دار الثقافة بمكة ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م .
٦ ـ أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه	الامام أبوعبدالله محمد بن اسحاق الفاكهي ـ تحقيق الاستاذ/ عبدالملك بن عبدالله بن دهيش مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة مكة المكرمة الطبعة الاولى ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م .
٧ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة	عز الدين بن الاثير أبوالحسن علي بن محمد الجزري ـ القاهرة ١٩٧٣م .
٨ ـ أعلام الحجاز الجزء الأول	محمد علي مغربي ـ مطابع دار العلم الطبعة الثانية سنة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .
٩ ـ أعلام الحجاز الجزء الثاني	محمد علي مغربي ـ مطابع دار العلم الطبعة الاولى سنة ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م .
١٠ ـ امراء البلد الحرام	السيد أحمد بن السيد زيني دحلان الدار المتحدة للنشر والتوزيع بيروت/ لبنان .

١١ ـ البداية والنهاية — أبوالفداء الحافظ بن كثير مكتبة دار المعارف الطبعة الثانية ١٩٧٧م .

١٢ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة — جمال الدين أبوالمحاسن يوسف بن تغري بردي اصدار وزارة الثقافة والارشاد القومي ـ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر .

١٣ ـ العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين — الامام أبوالطيب التقي الفاسي محمد بن أحمد الحسيني المكي مطبعة السنة المحمدية بمصر ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م .

١٤ ـ أعلام الحجاز ـ الجزء الثالث — محمد علي مغربي ـ مطبعة المدني بالقاهرة ـ الطبعة الاولى سنة ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م .

١٥ ـ الاعلام — خير الدين الزركلي ـ دار العلم للملايين ـ بيروت الطبعة الخامسة مايو ١٩٨٠م .

١٦ ـ السيد أحمد الفيض آبادي — عبدالقدوس الأنصاري .

١٧ ـ بين السجن والمنفى — أحمد عبدالغفور عطار الطبعة الاولى بمكة المكرمة سنة ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م .

١٨ ـ أجنحة بلا ريش — حسين سرحان ـ اصدار نادي الطائف الأدبي الطبعة الثانية سنة ١٣٩٧هـ .

١٩ ـ الصوت والصدى — حسين سرحان .

٢٠ ـ الهوى والشباب — أحمد عبدالغفور عطار سنة ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م .

٢١ ـ تاريخ التمدن الاسلامي — جورجي زيدان ـ مطبعة الهلال بمصر سنة ١٩٣١م .

٢٢ ـ تاريخ مكة — أحمد السباعي . الطبعة الرابعة ـ اصدار نادي مكة الثقافي سنة ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م .

٢٣ ـ الذهب المسبوك — للمقريزي .

٢٤ ـ تاريخ عمارة المسجد الحرام — الشيخ/ حسين عبدالله باسلامة .

٢٥ ـ بدائع الزهور في وقائع الدهور — محمد بن أحمد بن اياس الحنفي ـ اصدار لجنة المستشرقين الألمانية ـ طبع دار احياء الكتب العربية بمصر سنة ١٩٧٥م .

٢٦ ـ المماليك — الدكتور السيد الباز العريني ـ دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت سنة ١٩٧٩م .

٢٧ ـ ذكريات العهود الثلاثة — محمد حسين زيدان ـ الطبعة الثانية ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م .

٢٨ ـ مأدبة الله في الأرض — أحمد محمد جمال ـ منشورات نادي القصيم الأدبي ، بريدة الطبعة الاولى سنة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .

٢٩ ـ صقر الجزيرة — أحمد عبدالغفور عطار ـ الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م .

٣٠ ـ شعر حسين سرحان — أحمد عبدالله صالح المحسن اصدار النادي الثقافي الأدبي بجدة سنة ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م .

٣١ ـ مذكرات صالح جمال — مخطوط .

٣٢ ـ التقرير السنوي لجمعية البر بمكة المكرمة — سنة ١٤١٢هـ ـ ١٤١٣هـ .

٣٣ ـ نظم الدرر في اختصار نشر النور والزهور — عبدالله مراد أبوالخير . الطبعة الثانية لعالم المعرفة جدة ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .

عمر عبدالجبار

٣٤ ـ سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر — الطبعة الثانية جدة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٢م .

٣٥ ـ شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام — تقي الدين محمد بن أحمد بن علي الفاسي ـ طبع دار احياء الكتب العربية بمصر ١٩٥٦م .

٣٦ ـ دولة الظاهر بيبرس — الدكتور محمد جمال سرور ـ دار الفكر العربي سنة ١٩٦٠م .

٣٧ ـ ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز — محمد علي مغربي ـ مطابع دار العلم بجدة الطبعة الاولى سنة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .

٣٨ ـ عثمان بن عفان ذو النورين — محمد علي مغربي مطابع دار العلم بجدة الطبعة الاولى سنة ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م .

٣٩ ـ تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية — عثمان حافظ ، الطبعة الثانية شركة المدينة للطباعة والنشر جدة سنة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م .

٤٠ ـ رباعياتي — محمد سعيد العامودي .

٤١ ـ موسوعة مدينة جدة — عبدالقدوس الأنصاري مطابع الروضة بجدة الطبعة الثانية سنة ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م .

الصحف والمجلات :

٤٢ ـ مجلة المنهل ، مجلة الأربعاء ، جريدة المدينة ، جريدة عكاظ ، جريدة الندوة ، جريدة الشرق الأوسط .

كتب صدرت للمؤلف

- **البعث** : رواية طويلة صدرت الطبعة الاولى منها في عام ١٣٦٤هـ وأعيد طبعها مع قصص أخرى سنة ١٤٠٣هـ .
- **حبات من عنقود** : مجموعة من الأحاديث القصيرة صدرت عام ١٣٨٧هـ ، وأعيد طبعها في سنة ١٤٠٥هـ .
- **لعنة هذا الزمن** : مجموعة مقالات تتعلق بالأحداث العربية والاسلامية صدرت سنة ١٣٨٧هـ .
- **أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة** : تراجم لثلاثين من أعلام الرجال في الحجاز صدرت طبعته الاولى عام ١٤٠١هـ ، وصدرت الطبعة الثانية في سنة ١٤٠٥هـ .
- **ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة** : تصوير للحياة الاجتماعية في الحجاز خلال النصف الثاني من القرن الرابع عشر للهجرة ، صدرت طبعته الاولى سنة ١٤٠٢هـ وصدرت الطبعة الثانية في سنة ١٤٠٥هـ ، وصدرت الطبعة الثالثة في سنة ١٤٠٥هـ ، وهي خاصة بالمكتبات المدرسية لوزارة المعارف بالمملكة العربية السعودية .
- **أبوبكر الصديق خليفة رسول الله** : الكتاب الأول في سلسلة أعلام الصحابة صدر في سنة ١٤٠٣هـ .
- **عمر بن الخطاب أمير المؤمنين** : الكتاب الثاني في سلسلة أعلام الصحابة صدر في سنة ١٤٠٣هـ .
- **الجزء الثاني من أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة** : تراجم لعشرة من أعلام العلماء والمؤرخين والشعراء والأدباء مع دراسة لآثارهم المطبوعة والمخطوطة دراسة وافية ، صدر في سنة ١٤٠٤هـ .
- **الاسلام في شعر شوقي** : بحث قُدم الى المؤتمر الأول للأدباء السعوديين الذي عقد بمكة

المكرمة من غرة ربيع الأول ١٣٩٤هـ الى السابع منه ، وهو دراسة لشعر شوقي الاسلامي وخاصة في أماديحه النبوية صدر في عام ١٤٠٤هـ .

- **عثمان بن عفان ذو النورين** : الكتاب الثالث في سلسلة أعلام الصحابة صدر في سنة ١٤٠٤هـ .
- **علي بن أبي طالب والحسن بن علي** : الكتاب الرابع في سلسلة أعلام الصحابة صدر في سنة ١٤٠٧هـ .
- **تاريخ الدولة الأموية** : تاريخ مفصل للأحداث السياسية في الدولة الأموية منذ خلافة معاوية بن أبي سفيان الى مروان بن محمد الحمار آخر الخلفاء الأمويين مع تراجم للخلفاء الأمويين جميعاً صدر سنة ١٤٠٩هـ .
- **الجزء الثالث من أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة وبعض القرون الماضية** : صدر سنة ١٤١٠هـ .
- **لمحات من تاريخ الحجاز قبل الاسلام** : صدر سنة ١٤١٤هـ .

تاريخ الحجاز قبل الاسلام تاريخ قديم حاول المؤلف فيه الالمام بملامح هذا التاريخ فتحدث عن بناء الخليل ابراهيم عليه السلام للكعبة المشرفة وما أمكن الوصول اليه من اخبار مكة قبل الاسلام ، وتحدث الكتاب عن يثرب وغزو اليهود اليها ووصول الأوس والخزرج اليها وعن شمال الحجاز النبوات التى ظهرت فى الحجر ومدين أبناء اسماعيل عليه السلام وانتقالهم الى شمال الحجاز ثم عودتهم الى مكة المكرمة .





الفهارس

الصفحة

فهرس الصور

الصورة	الصفحة

فهرس الأعلام

* * * *

فهرس الكتب والمجلات والصحف

* * * *

فهرس الموضوعات والأماكن

* * * *



فهرست الكتاب

الموضـوع | الصفحة

الموضـوع	الصفحة

الموضـوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضـوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضـوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

مطابع دار البلاد - جدة - ت : ٦٧٠٠٣٣٣